الوسيط

في قواعد الإملاء والإنشاء

تأليف

الدكتور عمر فاروق الطباع

مكتبة المعارف
بيروت

الوسيط
في قواعد الإملاء والإنشاء

مكتبة
المعارف
مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر
إستيراد وتصدير

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
بيروت - لبنان

الوسيط
في قواعد الإملاء والإنشاء

تأليف
الدكتور عمر فاروق الطباع

مكتبة المعارف
بيروت

يطلب من مكتبة المعارف ص.ب: ١١/١٧٦١ بيروت ـ لبنان

مقدمة

ليس شيء أدعى إلى ضرورة العناية بـ «**علم الإملاء**» أو ما كان يعرف عند الأقدمين بـ «**الخطّ القياسي**»، من تعظيم علماء العربيّة لهذا العلم والتأكيد على أهميته وفضله في **إحكام أصول الكتابة وشرط هذا الإحكام** في أداء المعاني وإصابة القصد من التعبير والكلام.

ونحن نتلمسّ خطورة هذا العلم، وما له من باع طويل في اتقان الكتابة وتحقيق الغاية منها، فيما ذهب إليه **العلاّمة ابن خلدون** حين عرّف هذا العلم وحدّد مرتبته بقوله «**هو رسوم وأشكال حرفيّة تدل على الكلمات المسموعة الدالّة على ما في النفس فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان**... وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر... وخروجها من القوّة إلى الفعل، **إنما يكون بالتعليم**».

فقد شدّد ابن خلدون على أمور متصلة برسم أشكال الحروف وكتابتها ودلّل على مكانتها في وظائف اللسان واللغة، **وتحقيق التواصل الفكري** بين الناس ما دامت من خواصّ الإنسان التي تميّزه عن البهيمة وبها يتم الاطلاع «على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه في علومهم وأخبارهم، فهي شريفة، بجميع هذه الوجوه والمنافع».

لهذا كلّه أخذ ابن خلدون على الصحابة عدم إحكامهم صناعة الإملاء ومخالفة خطوطهم الإملائية لأصول هذا العلم باعتباره من جملة الصنائع، وحضّ على اتقانه والدأب في تعلّمه وتعليمه؛ وفرّق بين أمّيّة النبي ﷺ وأمّيتنا نحن، فلئن كانت الأمّية كمالاً في حقّه فهي ليست ـ كما ذكر ـ كمالاً في حقّنا.

هذا الذي قرّره ابن خلدون بصدد علم الإملاء ـ كعلم بياني هو أساس في ضروب الكتابة ومختلف مدوّنات العلم والفكر ـ عرض له ياقوت الحموي في معجم الأدباء وأورد في سبيل الحضّ عليه وعدم إغفال أحكامه ـ ما دام سبباً في تحريف الكلام والكلم عن غاياته ومقاصده ـ العديد من أخبار الأوّلين وأسانيدهم التي تؤيد هذا المذهب وترى التقصير في صحة الأداء ورسم الكلمات والعبارات تحريفاً يسم صاحبه بالنقص ويعيّره بالجهل ويزدري شأنه ويخرجه من بوتقة أهل العلم والأدب. ولم نر ضرورة إثبات هذه الروايات فهي في متناول من يقرأ في معجم الأدباء أخبار اللغويين والنحاة من أمثال ثعلب والمبرّد والزجّاج والأصمعي وأبي عبيدة والفرّاء... وهكذا ارتقاء بالأسانيد إلى الأئمة والصحابة الأولين. والحرص على أصول الكتابة هو الخوف من التصحيف والتحريف لاسيّما أن الكثير من هذه الأصول كما يذكر أبو حيان مبنيّ على أحكام نحوية ولاسيما كتابة الهمزة التي تشكل محوراً أساسياً في الإملاء. ومن الطرائف التي تظهر عدم التساهل في مخالفة هذه الأصول ما روي عن المبرِّد عندما سألوه عن تبعية رسم حرف النصب «إذن» فقال: أشتهي أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل أن ومن.

إن كتابنا هذا «الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء» يستجيب أول

ما يستجيب لهذه الغاية المثلى التي لا غِنى للمنشىء والكاتب والأديب وجميع الذين يتعاطون صناعة الحرف، أياً كان الموضوع الذي يتناولونه في تآليفهم ومصنفاتهم. . . عن إتقانها والعناية بها. وليس من باب الصدفة أن يجمع هذا الكتاب «الإملاء» إلى «الإنشاء» في إطار واحد. فالإنشاء الصحيح في عبارته وأدائه إنما يستمد أسباب صحّته من اللغة، والإملاء باب بارز من أبوابها.

إنّ «مكتبة المعارف» حين أهابت بي إلى وضع هذا المؤلّف وعلى هذا النحو من الوضوح والبيان، وبحدود أرقى من حدود كتابنا الأسبق **«الوجيز في قواعد الإملاء والإنشاء»** إنما **توخّت أن تضع بين يدي المهتمّين** بشؤون اللغة إلماماً أو تدريساً **كتاباً جديداً قريب المتناول غير بعيد المأخذ. وقد حرصت على أن يأتي هذا الكتاب متفقاً وطرائق التعليم التربوي الحديث** منطلقة قواعده وفنونه من النصّ والنموذج البياني المشبع تحليلاً ودرساً، والمفضي دونما تعقيد أو التواء إلى الاستنتاج والذي تترسخ معه الأحكام لاحقاً بالتمارين التي تهيء سبل التجربة التعليمية الذاتية وتجعل المتعلّم في مواجهة مباشرة مع خطوات التطبيق الذي هو عماد العلم في الأزمنة المعاصرة.

ليست المؤلفات في بابي الإملاء والإنشاء بالقليلة أو النادرة في محافل النشر العربيّة، لكن مؤلّفنا هذا الذي رسم بأناة وعناية سيكون ولا ريب ـ ودونما غلو أو وقوع في إثم الادعاء والتبجح ـ الوسيط بين ذهن الريّضين ومناهل اللغة **وسيجدون فيه السبيل الأقوم إلى الاحتذاء المؤدي إلى الاتقان والتوليد وترسيخ الملكات في الخطّ القياسي الصحيح** والتعبير الإنشائي الموسوم بعناق متكافىء بين الموهبة والذائقة من ناحية، وبين الواقعية والموضوعية من ناحية ثانية. وقد

راعينا في الاتجاهين المستوى الفكري عند المثقّفين والمتعلّمين فتحاشينا الإسهاب الباعث على الملل والصعوبات في الأفكار والأداء.

وأياً كانت منزلة الكتاب ـ في الإحاطة والشمول وحسن العرض فالمثقف الأريب والمعلم المربّي الموهوب، في ميدان التوجيه والإرشاد والمكتمل ثقافة والمزوّد بالخبرة والتجربة ـ هما بلا منازع حياة الكتاب وسبيله الأول إلى أداء دوره ورسالته.

والله الموفّق وهو نعم المولى ونعم النصير

بيروت ٢٨ محرم ١٤١٣ هـ
٢٨ تموز ١٩٩٢ م
المؤلف د.ع.ف.ط

* * *
* * *

الجزء الاول

في الإملاء

المدخل

أولاً

التعريف بـ «علم الإملاء»

١ نموذج بيانيّ

. . . جاء في مقدّمة ابن خلدون: «الفصل الثلاثون» تحت عنوان:
الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية

قوله:

(الخطّ). . رسومٌ وأشكالٌ حرفيَّةٌ تدلُّ على آلكلِماتِ المسموعةِ الدالةِ على ما في النفس. فهوَ ثاني رتبةٍ عن الدلالةِ اللغويّةِ، وهو صناعةٌ شريفةٌ إذ الكتابةُ من خواصّ الإنسانِ التي يُمَيّزُ بها عنِ الحيوان.

وأيضاً فهيَ تُطلعُ على ما في الضّمائر وتتأدّى بها الأغراضُ إلى آلبلَدِ البعيد. . وخروجُها في الإنسانِ من القُوّة إلى الفعلِ إنما يكونُ بالتعليم، وعلى قدرِ الاجتماع والعمرانِ. . تكونُ جودَةُ الخطِّ في

المدينةِ! **فهو من جملة الصنائِع**.. ولهذا نجدُ أكثرَ البدوِ **أمّيين** لا يكتبونَ ولا يقرأونَ، ومن قرأ منهم أو كتبَ فيكون **خَطُّهُ قاصِراً** وقراءتُهُ غيرَ نافذةٍ..

وينتقل ابن خلدون إلى الكلام على صناعة الخط والكتابة وقوانين إحكامها، ومعلّمي **هذه الصناعة في الأمصار** الذين يلقنون المتعلّمَ أصول الكتابة الصحيحة، **ويعرضُ لتاريخِ الخطّ والكتابةِ عندَ العربِ**، قبلَ الإسلام، ويخلصُ إلى الحديث عن كيفيّة انتقال هذه الصناعة من التبابعةِ في اليمن إلى الحيرة في العراق، ومنها إلى الحجاز، ويؤكّدُ بعدَ ذلك أنّ رسمَ **الصحابةِ للمصحفِ لم يكنْ محكم الإجادة لبعدِ العربِ عن الصنائع**، وكيف أنّ التّابعين اقتفوا رسمَ السّلف تبرّكاً بما رسمه أصحاب رسول اللّهِ ﷺ منبّهاً إلى أن تنزيهَ الصَّحابةِ عن النقصِ في هذه الصناعة ليس صواباً وفي هذا يقول:

«وآعلمْ أنَّ الخطَّ ليسَ بكمالٍ في حقِّهم، إذ الخطُّ من جملةِ الصنائعِ المدنيّةِ المعاشيّةِ.. **والكمالُ في الصنائع إضافيٌ**، وليس بكمالٍ مطلَقٍ إذ لا يعودُ نقصُهُ على الذاتِ في الدّينِ ولا في الخِلال.. **وقد كانَ النبيّ ﷺ أمياً وكانَ ذلكَ كمالاً في حقّهِ** وبالنسبةِ إلى مقامهِ، لشرفهِ وتنزّههِ عن الصنائع العمليّةِ.. **وليست الأميَّةُ كمالاً في حقّنا نحنُ**.. قال الله تعالى: ﴿**خلقَ الإنسانَ علّمهُ البيان**﴾[1] وهو يشتملُ بيانَ الأدلّة كلّها. فالخطّ المجوّدُ، كمالُهُ أنْ تكونَ دلالتُهُ واضحةً بإبانةِ حروفِهِ المتواضَعَةِ وإجادَةِ وضعِها ورسمها..».

مقدّمة ابن خلدون

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرحمن: الآيتان ٣ و٤.

٢ دراسة النموذج

يميّـز ابن خلدون في هـذا الفصـلِ بين نمـطَيْنِ من ٱلخطّ أو الكتابة:

أ ـ الخطّ ـ أي الكتـابـة ـ الـذي اعتُمِـدَ في رسم المصحف الشريف والمقصود «المصحف العثماني» وهو الذي نُسخ بأمر الخليفة عثمـان بن عفّان رضي الله عنـه والذي عُـرف عنـد الصحـابـة بـاسم **المصحف الإمام**. والجدير بالذكر أنّ رسم هذا المصحف يخالف في قليـل أو كثير الأشكـال التي اصطلح عليهـا علمـاء اللغـة في رسم الحروف وكلماتها، لكنّ الصحابة ثم التابعين درجوا على اعتماده فيما يكتبون **إجلالاً منهم لهذا الرسم**، حتى بات ذلك نهجاً لازباً وملزماً، **يكرهون الخروج عنه بل يحرّمون مخالفته**. لذلك شدّد ابن خلدون على أن هذا الاعتقاد ضرب من التحكم ومن الخطأ الشنيع تصوّر ما سمّي بـ«الخط الإمام» على أنه ثمرة أصول الكتـابة وصنـاعتها كمـا اقتضتها قواعد اللسان العربي. وشيء آخر متصل بهذه الناحية وهو أن الكتابة ليست كمالاً بحق الصحابة لأنها من الصنائع وكل كمال في الصناعة إضافيّ والنقص فيه لا يمسّ الدين ولا الأخلاق وهذا لا يقاس بأميّة النبي ﷺ لأنها كمال في حقه لكونه متنزّهاً عن الصنائع العملية.

ب ـ أما الخط الثاني فهو نمط من الكتابة له قوانينه وأصوله فهو علم ذو قواعد تتبّع وتمنع من الوقوع في الخطأ. لذلك جعله ابن خلدون من جملة الصنائع ومن خواصّ الإنسان المميّـزة له. وبهـذه الصناعة تتم الدلالات اللغويّة التي لا بدّ من مراعاتها لتأديـة ما في

النفس واطلاع الآخرين على ما في الضمائر. وإتقانُ هذا الضرب كما قال «إنما يكون بالتعلم».

ـ **وبالإضافة إلى هذين النوعين من الكتابة**: كتابة الخطّ العثماني أو «المصحف» بعامّة، وكتابة الخطّ الاصطلاحي وهي المتضمّنة «قواعد الإملاء»، **هناك نوع ثالث من الكتابة هي التي يطلق عليها اسم «الكتابة العروضية»** لكونها تخضع لمقتضيات علم العروض وتفاعيل بحور الشعر. والعروضيون يثبتون ما ينطقون به من الحروف ويجعلون التنوين نوناً أي حرفاً قائماً بذاته، ويعتبرون كلّ حرف مشدّد حرفين مما هو معروف في الباب المذكور[1].

٣ الاستنتاج

إن «علم الإملاء»

وهو ما يسمّيه اللغويون «علم الخط القياسيّ» أو «الاصطلاحيّ» هو من جملة العلوم العربيّة وله أصول وقواعد لا غنى عن تعلّمها وإتقانها لتجنّب كل خطأ يفسد صحة الأداء والتعبير، وبالتالي سلامة اللغة العربيّة.

(١) لهذا الغرض يمكن مراجعة المؤلفات العروضية.

ثانياً

الأقسام الأساسية في «علم الإملاء»

استناداً إلى جهابذة العربية وأقطابها[1]. ولا سيما أولئك الذين عنوا بـ «الإملاء» أمكن حصر قواعد هذا العلم في أربعة أقسام، على النحو التالي:

القسم الأول: في الإبدال بعامّة وفي الكلام على الهمزة والألف بخاصّة.

القسم الثاني: في الزيادة بعامّة وفي الحروف التي تزاد بخاصّة.

القسم الثالث: في الإنقاص بعامّة وفي الحروف المنقصة بخاصّة.

القسم الرابع: في الفصل والوصل بعامَّة وما وجب فصله ووصله في الكلمات. وسنتناول هذه الأقسام تباعاً، بدءاً بـ «الإبدال».

(١) نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: سيبويه، وابن هشام، وابن مالك، والسيرافي وابن الحاجب والسيوطي، وابن قتيبة.. إلخ.

القسم الأول

في الإبدال بعامّة، وفي الكلام على الهمزة والألف بخاصّة

الفصل الأول

في الإبدال ومواضعه

ماهية الإبدال

الإبدال في الاصطلاح اللغوي وضعُ حرفٍ مكانَ حرفٍ آخر، لسبب متصل بقواعد اللغة، كما سيتضح في سياق هذا الفصل.

١ نماذج بيانيّة

١ ــ هذه المرأةُ **واصلةٌ**[١]، وأولئكَ النِّسوةُ **أواصِل** (وَواصِل).

٢ ــ تقع دارُنا وسطَ **أَدْؤُرِ** (أدوُر) الحيّ الذي نقطنُه.

٣ ــ **اتّصلْ** (إوتصلْ)، بذوي آلقُرْبى، فإنَّ **الاتصال** (الإوتصال) بهم من شيَم آلكرام.

٤ ــ **اذّكرَ** (اذْتَكَر) تاريخَ أمته المجيد، **فآزّهى** (فأزْتَهى).

٥ ــ سمع النبأ المفجع **فآضطَرَب** (إضْتَرَب)، ثم أذعن للقدر **فآصطبر** (اصطبرَ).

---

(١) اسم فعل من وصل. والواصلة التي تصل ضفائر الشعر.

٦ ـ هبت العاصفة فامّحت (انْمَحَت) الآثارُ فوق رمال الصحراء.

٧ ـ كن تقيّاً فإنّ التّقوى (التّقيا) من الإيمان، ولا تنسَ أن إرادة الله هي العُليا (العلوى).

٢ دراسة النماذج

عندما تتأملُ الكلماتِ البارزةَ في العبارات السابقة، ثم تقارنُ بينها وبينَ صورتِها الأصلية الموضوعة بين هلالين، يتضح لك ما يلي:

١ ـ **في النّموذج الأول**: يُلاحَظُ أن جمع «**واصلة**» هو في الأصل «**وواصل**»، ونظراً لاجتماع «واوين»، تحتّم أن نستبدل الواو الأولى بهمزة فقلنا: «**أواصل**».

٢ ـ **في النّموذج الثاني** قلبت «**الواوُ المضمومة**» ـ الواردة بعد ساكن في جمع دار ـ همزة فقيل: «**أدؤُر**» بدل «**أدوُر**».

٣ ـ **في النّموذج الثالث** يلاحظ أن الفعل «**اتّصل**» على وزن «**افتعل**» والأصل فيه «**أوْتصل**» فبدّلت «فاء» افتعل وهي «الواو» تاءً، وتمّ دغمها بتاء افتعل، ومثل ذلك في المعهد فقيل «**اتّصال**» بدل «**إوتصال**».

٤ ـ إن لفظتي «**اذّكرها**» و «**ازّهى**» **في النموذج الرابع هما أصلاً** «**اذتكر**» و «**ازتهى**» لكننا أبدلنا «تاء الأصل» بحرف مجانس لما قبلها، لأن «**فاء**» افتعل «**ذال**» أو «**زاي**»، ومثل ذلك إذا كانت «**الفاء**» «**دالاً**» فيقال «ادّعى» بدل «إدتعى» ويجوز أيضاً إبدال التاء في جميع هذه الألفاظ دالاً فيقال: «**اذدكر**» و «**ازدهى**» و «**ادّعى**».

٥ ـ إنّ الأصل في كتابة «**اضطرب**» و«**اسبطر**» (**انظر النموذج الخامس**) أن تكونا «**إضْتَرَبَ**» و«**إصْتَبَـر**» وبما أن «**فـاء**» افتعل كمـا يلاحظ «**ضاد**» أو «**صاد**»، فقد أُبدلت «**التاء**» بـ «**طاء**»، ويطبّق الإبدال عينُه إذا كانت «الفاء» «**طاءً**» نحو «**اطّرد**» والأصل فيها «**اطترد**».

٦ ـ **في النمـوذج السادس** استعملت «**امّحت**» بـدل «**انمحت**» بإبدال النون الساكنة قبل «الميم» بـ «**الميم**». **ونقول على نحو مماثل** «**ممّا**» و«**عمّا**» لأن الأصل: «**منْ ما**» و«**عنْ ما**».

٧ ـ **في النموذج السابع قلْنا**: «**التقوى**» بدل «التقيا» وهي على وزن «**فَعْلَى**»، وذلك بقلب «**الياء**» «**واواً**» لأنها في موضع «**اللام**» من الوزن المذكور. أما لفظة «**العليا**» والأصـل فيه«**العُلوْى**» فقـد أبدلنـا «**الواو**» «**ياء**» هي لأنها في موضع «**اللام**» من وزن «**فُعلى**» وهكذا يقال «**الدُّنيا**» بدل «**الدنوى**».

٣ قواعد الإبدال

استناداً إلى نماذج الدرس وما تلاها من إيضـاح وشرح نـوجز قواعد الإبدال على النحو الآتي:

١ ـ إذا اجتمعت «**واوان**» في أول الكلمة، يجب إبدال الأولى «**همزة**» فيقال: «**أواصل**» بدل «**وواصل**».

٢ ـ في الكلمات التي تقع فيها «الواو» المضمومة بعد ساكن أو مضموم يجوز قلب الواو همزة ويجوز أن تبقى على حالهـا، بحيث تجمع «دار» على «أدؤُر» أو «**أدوُر**» كما تجمع «**حال**» على «**حؤول**» أو «**حوول**».

٣ ـ تبدل «**الفاء**» في وزن «**افتعل**» «**تاء**» مع الادغام، إذا كانت هذه «**الفاء**» «**واواً**» أو «**ياءً**» نحو: **اتّصـل، الاتّصال، اتقى الاتقـاء،** وأصلها على التوالي: **إوتصل، الإوتصال، إوْتقى الإوتقاء.**

٤ ـ عندما تكون «**الفاء**» في وزن «**افتعل**» حرفاً مثل «**الـدال**» و«**الذال**» و«**الزاي**»، تبدل «**الفاء**» بـ«**التاء**»، أو بحرف مجانس لها مع الإدغام. فيقال: «**اذدكر**» و«**إذّكر**» بدل «**إذتكر**» كما يقال «ازدهى» بدل «ازْتهى». . و«ادّعى» بدل «ادْتعى».

٥ ـ في الكلمـات التي هي على وزن «**افتعـل**»، إذا كـانت «**الفاء**» من الوزن المذكور أحد الحروف التالية: «**الصاد**» أو «**الضاد**» أو «**الفاء**» جاز أن تبدل «**طاءً**» أو حرفا مجانساً لما قبلها مـع الادغام. وهكذا يقال: «**اضطرب**» أو (اضّرب) و«**اصطبر**» أو (اصبّر) و«**إطّرد**» بدل «**إضْتَرَب**» و«**اصْتَبَر**» و«**اطْتَرَد**».

٦ ـ تبـدّل «**النون**» السـاكنة الـواقعة قبـل «**الميم**» «**ميماً**» مـع الادغام فيقال: «**امّحت**» و«**عمّا**» و«**ممّا**» على التوالي بدل: «**انْمحتٍ،** و«**عن ما**» و«**من ما**».

٧ ـ إذا كـانت «**اللام**» في وزن «**فَعْلى**» «**يـاءً**» تبدل أو تقلب «**واواً**» وإذا كانت اللام المذكورة «**واواً**» تبدل أو تقلب «**ياء**» فيقـال على التوالي، «**التقْوى**» و«**الدّنيا**» و«**العليا**» بدل «**التقيا**» و«**الدّنـوى**» و«**العُلوى**».

* * *

الفصل الثاني

في التعريف بالهمزة وأنواعها

التعريف بـ «الهمزة»

الهمزة هي الحرف الأول من الأبجدية(1)، وهي عند الخليل بن أحمد الألف من الألفباء مضافاً إليها رمز «الهمز» وهو بصورة عين صغيرة (عـ). وللهمزة أنواع كما سنرى في ضوء النماذج البيانيّة اللاحقة.

1 نماذج بيانيّة

١ ــ **إطْمأَنَّ** في سعيه نحو مطامحه وأهدافه.

٢ ــ سألني: **ما الشمأل؟** قلت: هي ريح الشمال القطبيّة.

٣ ــ ليَكنِ **الدعاء** إلى ربّ **السماء** دون سواه.

٤ ــ سحبان **وائل** من بلغاء العرب كان مثلاً في البيان والفصاحة.

٥ ــ في يوم الحساب تبلى **السرائر**.

٦ ــ **لبّأ** القوم بالحج، **ورثأت** الخنساء أخاها صخراً.

٧ ــ بان **الأمر** وظهر **الخفاء**.

(1) أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ.

٨ ـ لا تكثر من **الإيطاء** في الشعر.

٩ ـ كَن **الكفءَ** في كل آن ولا تكن **العبء** على ذويك.

٢ دراسة النماذج

إذا نظرت في النماذج السابقة، لاحظت ورود كلمات مهموزة في كل منها، من مثل: **اطمأن، الشمأل، الدعاء، السماء، وائل...** إلخ.

إلا أن حكم اللغة في هذه الكلمات المهموزة ليس واحداً، لأن نوع الهمزة في الألفاظ المشار إليها مختلف ومتباين، **وإليك الإيضاح**:

١ ـ إن همزة (**اطمأنّ**)، في **النموذج الأول**، زائدة دفعاً لالتقاء الساكنين.

٢ ـ كذلك تعتبر همزة (**الشمأل**)، في **النموذج الثاني** زائدة والأصل فيها: «**الشمال**».

٣ ـ أما همزة (**السماء**) و(**الدعاء**) في **النّموذج الثالث فهي** همزة مبدلة من «**الواو**». وهما على التوالي من «**يسمو**» و«**يدعو**»: ومثل ذلك همزة «**البكاء**» و«**الجزاء**» المبدلة من «**الياء**» لقولنا: «**يبكي**» و«**يجزي**».

٤، ٥ ـ **في النموذج الرابع** تعتبر همزة «**وائل**» واقعة بعد ألف ساكنة فهي زائدة أيضاً وليست همزة أصلية ومثلها همزة «**السرائر**» في **النموذج الخامس**.

٦ ـ أما الهمزة في «**لبأ**» و«**رثأ**» (النموذج السادس)، فهي من قبيل المماثلة الناشئة عن الوهم، فالأولى على غرار قولهم «**لبأت**» الناقة إذا أصاب ضرعها اللبن والثانية من قولهم «**رثأ**» اللبن أي حلبه. واللفظتان كما تقدم لغة ثانية، الأولى بمعنى «لبّى» بالحج والثاني بمعنى «رثى».

٧ ـ أما الهمزة الواردة في النماذج الثلاثة الأخيرة (السابع والثامن والتاسع) وهي: «**الخفاء**» و«**الإيطاء**» و«**الكفاء**» و«**العبء**» فجميعها أصلية وليست زائدة.

٣ أنواع الهمزة

تبين من النماذج التي أوردناها في هذا الفصل، وبالاستناد إلى الأصول اللغوية عند العرب، أن الهمزة قد تكون «**أصلية**» في الكلمة كما في: **الخفاء، والإيطاء، والعبء، والدفء**، وقد تكون «**زائدة**» لغرض يتصل بقواعد النطق والبيان أو لهجات العرب كما في: **أسماء السرائر والشمأل**. وفي قول بعض أحياء العرب: «**رثأ**» الميت، و«**لبأ**» بالحج وهي لهجة في «**رثى**» و«**لبّى**».

* * *

الفصل الثالث

همزتا [1] الوصل والقطع

همزة الوصل

هي التي تثبت في ابتداء الكلام وتسقط في دَرْجه على نحو ما سيتضح لنا لاحقاً من خلال النموذج البياني.

١ نموذج بياني

الكتاب.. والقيم الإنسانية

الكتابُ (بإجماع) كبارِ المُفكّرين والباحِثين وعِاءُ المعرِفَةِ وَمعينُ الآدابِ، فهوَ خيُر معلِّمٍ لكلِّ آمرىءٍ ولكلِّ آمرأةٍ في آكتسابِ الحقيقةِ

---

(١) لم يتفق الأقدمون على صورة واحدة لكتابة الهمزة: ففي **رأي طائفة** من اللغويين تكتب الهمزة بحركة ما قبلها. وقالت **طائفة ثانية** يجب أن تكتب الهمزة بحسب حركتها، وذهبت **فئة ثالثة** من العلماء، على رأسهم الأزهري إلى أن الهمزة ترسم ألفاً أو واواً أو ياءً تبعاً لمواقعها. أما **الفرّاء** فقد شدّد على أن تكتب الهمزة بصورة الألف أينما وقعت وفي كلّ الحالات.

أمـا المحدثـون، ونحن من مؤيديهم فـلا يقبلون أن ترسم الهمـزة بصورة واحـدة لأنّ صورتهـا تختلف باختلاف موضعها في الكلمة: في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. وفي جميع هذه الحالات ترتبط كتابة الهمزة بقواعد بيّنة لا لبس فيها، ونحن سنعرض لها في فصول هذا الكتاب.

والاسترشاد بضياءِ ٱلعَقْلِ في معركَةِ الوجود. إعملا إذاً متآزرَيْن أنتُما الاثنان للمسْتقبل (الأمثلِ) ما دمتُما بحقٍّ إبنَ وآبنَة الحياة التي لا تشرقُ شمسُها (إلا) فوقَ روابي الغد ولا تنطق (أعماقُها) إلا بآسمِ ٱلشرفاءِ ٱلعامِلينَ دونمَا هوادة في سبيلِ القِيَمِ (الإنسانية) الخالدة.

وآيْم الله، أنتما معقدُ (الأمَل) والرجاء، وسَطَ ديجورِ هذا العالَم حيثُ حلكةُ الضمائرِ تتعانقُ مع ظلمةِ (الأيام). «المؤلف»

٢ دراسة النموذج

تأمّلِ ٱلكلمات البارزة في النصّ السابق وهي: **ألكتاب، أمرؤ، أيم**... تجد أنّ جميع هذه الكلمات **مبدوءة بهمزة**.

لاحظ أن «**الهمزة**» في كل من الألفاظ المشار إليها **تلفظ وتكتب ما دامت ثابتة في ابتداء الكلام**... لكن إذا عدتَ إليها «**وهي موصولة**» في سياق النص أي **مسبوقة بغيرها من أجزاء العبارة**، يتضح لك أنّها ـ وإنْ كُتبتْ ـ تصبحُ غيرَ ملفوظةٍ أو مقروءة، وهي لذلك تُدْعى «**همزةُ الوصل**».

●

إذا تأملتَ الآنَ الكلماتِ التالية المأخوذةَ من النصّ أيضاً، والواردة بين هلالين في سياقه وهي:

بإجماع، الأمثل، إلا، أعماقها، الأمل، الأيام... تجد أنها مبدوءة بالهمزة أيضاً. لكنّ هذه الهمزة تظلّ **ثابتة ومقروءة في حالتي الابتداء والوصل**، وهي لذلك تُدْعى «**همزة القطع**».

أولاً

همزة الوصل

هي عبارة عن همزة زائدة يؤتى بها في أول الكلمة للتخلّص من الابتداء بالساكن، وهي تكتب وتلفظ إذا لم تكن مسبوقة وتسقط في دَرْج الكلام ويُرمزُ إليها بعلامة الوصل الشبيهة برسم الصاد الصغيرة (صـ).

١ أحكام همزة الوصل ومواضعها

١ ــ حكم همزة الوصل أن تكونَ مكسورة **في جميع مواضعها** ما عدا «**أل**» التعريف حيث تكونُ مفتوحة. وتُضمُّ همزةُ الوصل في **فعل الأمر، المضموم العين في صيغة المضارع نحو**: أُدرس (مضارعه يدرُس).

٢ ــ **تقعُ همزةُ الوصل فيما يلي**:

أ ــ في «**أل التعريف**»، ما عدا «أل» التعريف الواردة **في لفظ الجلالة** حين يكون مسبوقاً بياء النداء: «**يا ألله**»، وفي كلمة «**ألبتة**»[1].

ب ــ في أَفعال الأمر الثلاثية في الماضي: **إلعب، أُنظر، أُهرب**.

---

(١) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب.

ج ـ في الأفعال الماضية الخماسيّة والسداسيّة، وفي أمر هذه الأفعال ومصدرها:

ـ **إكْتَسَبَ** (صيغة الماضي الخماسي) **إكْتَسِبْ** (صيغة الأمر) **إكتساب** (صيغة المصدر).

ـ **استرشد** (صيغة الماضي السداسي) ـ اسْتَرْشِدْ (صيغة الأمر)، اسْتِرْشَاد (صيغة المصدر).

د ـ في كل الأسماء التالية: **ابْنٌ، ابنة، ابنمٌ**[1]، امرُؤٌ، امرَأةٌ، اسمٌ، أستٌ، (ومثنّى هذه الأسماء)، وكذلك في **إثنان واثنتان العددية**[2] **وأيمن**[3].

٢ حالات حذف همزة الوصل

تحذف همزة الوصل **لفظًا وكتابة** في الحالات التالية:

أ ـ إذا اتصلت «**أل التعريف**» بلام الجرّ: **ألكتاب، لِلْكتاب**.

ب ـ إذا كانت الأفعال مبدوءة بهمزة وصل تليها همزة ساكنة، ثم دخلت عليها «**الفاء**» أو «**الواو**». ومن أمثلة ذلك: **أَبَى** (صيغة الماضي) **إِأْبَ** (صيغة الأمر) «**فَأْبَ**» و«**أْبَ**» (الأمر مسبوقاً بالفاء أو الواو).

---

(١) بمعنى ابن.

(٢) والمقصود أن همزة لفظة الإثنين فيه الدالة على أحد أيام الأسبوع ليست همزة وصل. واعتبرت الهمزة في ابنم (بمعنى ابن).

(٣) وعلى غرار أيمن أيمٌ بحيث يقال: أيمُن. أيم الله.

ج ـ إذا سبقت همزة الوصل بهمزة الاستفهام مثل قولنا: **ابنتك** قادمة؟ **(صيغة الاستفهام بحذف همزة الوصل) ولولا الحذف لقيل: أإبنتك قادمة؟**.

د ـ وتحذف همزة الوصل من لفظة «ابن» إذا وقعت بين اسمين علمين شرط أن يكون الثاني أباً للأول، وكذلك بعد النداء نحو:

ـ **إبنُ** جارنا فتىً حسنُ آلخلق ـ: **يا بنَ** جارنا حافظْ على حسن خلقِكَ. عليٌّ بنْ أبي طالب.

ثانياً

همزة القطع

بخلاف همزة الوصل، هي التي تثبت أينما وجدت، في أوّل الكلام وفي دَرْجه كما سيظهر لك من خلال النموذج البيانيّ.

في أول الكلمة

١ نموذج بياني

أذكرُ دَرْساً في النَّحو كرَّهني النّحو. كانَ المعلمُ نجيبٌ يحبُّ الإعراب، وكنّا نُعربُ غيباً دونَ فهم. طلب إليَّ المعلمُ نجيب أن أعربَ جملةً فيها كلمةٌ لا تظهر في آخرها علامةُ الإعراب للتعذّر، وكانَ يُصْلحُني ويقول: لم تظهر للتعذّر.. فلم أفهمْ، وكرّر إصلاحَ خطإي.. وأمسَكَ قضيبَ الرُّمانِ وصاحَ بي: للتعذّر يا حمار، فهلعَ قلبي من الخوفِ وأُسدل ظلامٌ على عينيَّ فقلتُ: للتعذّرِ يا حمار... فضجّ الأولادُ بالضَّحِك... وراحَ قضيبُ الرّمانِ يُلهِبُ جِسميَ الطريّ...

أنيس فريحة
من كتاب «اسمع يا رضا» (بتصرف)

٢ دراسة النموذج

تأمل الكلمات البارزة في النص وهي: **أذكر، الإعراب، إليَّ، أنَ، أعرب، أفهم، إصلاح، أمسك، أسدل، الأولاد**... تجدْ أن جميع هذه الكلمات **مهموزة الأول** وأن الهمزة في كلّ منها همزة قطع، لا همزة وصل، لأنها تظلّ ثابتة في بدء الكلمة ولو أصبحت مسبوقة كما في الألفاظ: (الإعراب، فأفهم، لإصلاح...).

٢ ــ إن همزة القطع في النماذج المذكورة قد كُتبتْ على الألف. لعلّك تتبيّن أنّها رسمتْ **فوقَ الألف ـ في حالتي الفتح** (أذكر، أفهم، أن، أمسك..) **والضم** (أعرب، أسدل) ـ **وتحت الألف في حالة الجرّ** كما في لفظتي (الإعراب، إليّ).

٣ أحكام همزة القطع

أ ــ همزة القطع هي همزة أصلية وليست زائدة، تثبتُ في ابتداء الكلمة، في حالة الوصل سواء أكانت في الاسم أو الفعل أو الحرف نحو: **(إخوة، أقبل، إلى).**

ب ــ ترسم همزة القطع الأوليّة فوق الألف في حالتي الفتح والضم نحو: أنت (مفتوحة)، أعطي (مضمومة). وترسم تحت الألف في حالة الجرّ (إنَّ، إبرام، إثارة).

٢ ـ تقع همزة القطع:

أ ـ في الاسم المفرد المذكر والمؤنث، ومثناهما وجمعهما مثل: أخ، أَخَوَان، إخوة (في حالة التذكير) **وأخت، أختان، أخوات** (في حالة التأنيث)،.

ب ـ في ماضي الثلاثي ومصدره نحو: أخَذَ (ماضي الثلاثي)، **أخْذ** (مصدر الثلاثي).

ج ـ في ماضي الرباعي وأمره ومصدره، نحو: أَخْرُجُ (ماضي الرباعي) **أَخْرُجْ** (أمر الرباعي) **إخراج** (مصدر الرباعي).

د ـ في الفعل المضارع (صيغة المتكلّم) **نحو: أعمـلُ بجدّ، أقاومُ** كلّ تهاون بالواجب. **أستجمعُ** قوايَ لأستأنف نشاطي.

هـ ـ وتقع همزةُ **القطع في الحروف المهموزة مثل: إلى** (حرف جر) **أو** (حرف عطف) **إنْ** (حرف شرط) .

و ـ وفي لفظ الجلالة المسبوق بالنـداء نحو: «يـا أللّه»، وفي لفظة «الإثنين» الدالّة على أحد أيام الأسبوع.

ز ـ في صيغ أفعال التفضيـل والتعجّب، نحو: حـاتمٌ **أكرمُ** العرب (أكرم صيغة التفضيل). **ما أبهى** الليالي المقمرة (أبهى صيغة التعجّب).

الحروف التي لا تسقط أوليّة الهمزة

قد تدخل على الهمزة الأولية

حروف لها تأثيرها في معنى العبارة لكنها لا تحقق أي تأثير في مرتبة الهمزة، فتبقى محافظة على مركزها في بدء الكلمة، وهو ما ستبينه في درسنا للنموذج اللاحق.

١ نموذج بياني

قررّ سعيدٌ أنْ يسافرَ طَلَباً لِلْعَمَلِ والرِّزْق **لأنّه** أفادَ من أُمثولات أبيه وحكمةِ الأيام درساً، **بأن** التوانيَ والإحجام عن الدأب علّةُ ٱلفَشَل والتَّأخر في ٱلحياة. وكانَ له من آياتِ الله هادياً لقولهِ تعالى: ﴿وأنْ ليسَ للإنسان إلا ما سعَى وإنَّ سعيَه سوفَ يُرى﴾(١).

هكذا نهض سعيدٌ إلى غايته **بإيحاء** من **الإيمان**، وهو يُرِدِّدُ قائلاً: **لأسعينَّ** سعيَ الأبرار الصابرين ولأمضينَّ في سبيلي، فبالإرادة والتّحمل **سأنال** مبتغاي، أفعل ذلك **لأجدَ** لي من الضيقِ مَخْرجاً، ومن ذلة ٱلفَقْرِ مَلاذاً، وسأجعَلُ من يلومُني اليومَ على المخاطَرَةِ يقولُ لي: **لأنتَ** المحقّ يا أمين فقدْ ضحيتَ لئلا تظلَّ خائفاً تلقي الملامة على

---

(١) سورة النجم: الآية ٣٩.

آلدَّهرِ (لئِن) كن أوجستَ مِنَّا ريبَّة، **أأنت** الآن ـ ونحن نكرم مسعاك ـ في ريبةٍ من مَحبَّتنا وتقديرِنا؟

«المؤلف»

٢ دراسة النموذج

أنت تعلم أنَّ الهمزة في جميع الكلمات **البارزة**، الواردة في النص السابق هي في الأصل همزة أوّلية واقعة في ابتداء الكلام. والكلمات المشار إليها هي على التوالي:

أنَّ ، إنسان، إيحاء، إيمان، أسعى ، إرادة، أنال، أجد، أنت.

تأمّل هذه الكلمات ـ كما هي واردة في النصّ ـ يتضح لك أنّ **الهمزة** فيها ـ بالرغم من كونها سبقت بحرف من حروف المعاني **بقيت على حالها**، أي ثابتة في أول الكلام، **ولم تستطع الحروف التي دخلت عليها أن تسقط أوليّتها، وهكذا ظلّت في موضعها ولم تتغير حالتها.**

فما هي هذه الحروف التي تحققنا من إبقائها الهمزة في بدء الكلام على حالها؟

لاحظ أنَّ الهمزة في الأمثلة البارزة قد سبقت بالحروف التالية:

ـ **«لام الجر»**: أن + لام الجر← **لأنَّ**.

ـ **«باء الجر»**: أنَّ + باء الجرّ ← **بأنّ، بإيحاء**.

ـ «ال التعريف»: إيمان وإنسان + ال التعريف← **الإيمان، الإنسان**.

ـ **«لام القسم»** التي تفيد التأكيدَ والتي تسبق الفعل المضارع: أسعينَّ أمضينَّ + لام القسم ← **لأسعينَّ، لأُمضينَّ**.

ـ حرف التنفيس الدالّ على الاستقبال: أنال + حرف التنفيس ← **سأنالُ، سأحصل**.

ـ **لام التعليل الناصبة: أجد + لام التعليل ← لأجدَ**.

ـ **لام التوكيد** التي تدخل على الجملة الإسمية (المبتدأ والخبر): أنت المحق + لام التوكيد ← **لأنتَ المحقّ**.

ـ **همزة الاستفهام**: أنتَ + همزة الاستفهام ← **أأنت؟**

ويضاف إلى هذه الحروف **«الفاء»** نحو: **فأنا، فأنتم**... **وكذلك «الواو»** نحو: **وإنّك** لعلى خُلُق عظيم.

٣ خلاصةُ أَحكام همزتي ٱلوَصْل وٱلقَطْع

● **همزة الوصل، همزةٌ أوَّلِيَّة زائدة، الغرض من استعمالها التخلّصُ من الابتداء بالساكن. وهي تثبت لفظاً في الابتداء، وتسقط في دَرْج الكلام نحو قولك: اسمي** عبدُالله جواباً لمنْ سألَكَ **ما آسمُك؟ (راجع مواضع همزة الوصل في سياق هذا الفصل)**.

● **همزة القطع** بخلاف همزة الوصل هي التي **تثبتُ في ابتداء الكلام وفي دَرْجه**، كما في الكلمات التالية: **أخ، إيلام، أنتم، أدنى، أدخل**...

● **تكتب** همزة القطع الواقعة في أول الكلمة **على الألف**: فإذا كانت مفتوحة أو مضمومة كتبت **فوق الألف**، وإذا كانت مكسورة كتبت تحت الألف مثل: **إلى، إذا، إما**..

● **أما الحروف** التي تدخل على الهمزة الواقعة في ابتداء الكلام **ولا تسقط أوّليتها فهي: أل التعريف، لام القسم، لام الجر، لام التعليل، لام التوكيد، همزة الاستفهام، الفاء، الواو، سين الاستقبال، أو حرف التنفيس.**

الفصل الرابع

الهمزة وسط الكلمة

الأحكام العامة في الهمزة المتوسّطة

تختلف صورة الهمزة

في وسط الكلمة تبعاً لحركتها، وحركة الحرف الذي يسبقها، والعامل الأقوى بين هاتين الحركتين هو الذي يعيّن هذه الصورة، كما سيتضح لنا من دراسة النموذج البياني.

١ نموذج بياني

استيقظتُ فجرَ يومٍ مِنَ الأيامِ، على صوتِ هِرَّةٍ تموءُ بجانب فِراشي وتتمسّحُ بي، وتلحُّ في ذلك إلحاحاً غريباً... فقلتُ: لعلَّها **جائِعةٌ**... أو ظمآنَة...

نَهَضْتُ، وأحْضَرْتُ لها طعاماً، فَعَافَتْهُ... وأَرْشَدْتُهَا إلى آلماءِ، فلمْ تحفِل به، فأثَّرَ في نفسي منظرُها... **وسَأَلْتُ** نفسي: كيفَ لي أن أعرفَ حاجتَها؟ وعندما **رأيتُ** أنَّها تطيلُ النَّظَرَ إلى بابِ الغرفةِ الذي

كان مُرْتَجاً، أدركتُ غرضَها، فأسرعت بفتحهِ، وأيقنتُ بأنني أفلحتُ في قراءة خواطرها، لأنها ما إن وقع نظرُها على آلفضاءِ حتَّى انطلَقَتْ تعدو في سبيلها.

عدتُ إلى فراشي، وأسلمتُ **رَأْسي** إلى يديّ، **وبَدَأْتُ** أُفكّر في إمرِ هذه الهرَّةِ، وأعجبُ **لشَأْنِها**، وطرحتُ على نفسي هذا **السؤال**: هل تفهمُ هذه الهرَّةُ معنى الحرّية حقَّ الفهم؟ وكانَ الجوابُ بعدَ الذي **رأَيْتُ** وأدركتُ: أَجَلْ، فلم يكنْ حُزْنُ هذهِ الهرّةِ **وبكاؤها ورجاؤها** وتمسُّحها بي إلاَّ سَعْياً وراء بلوغِهَا.

إنّه لمما يبعثُ على الدَّهشة أن نَرَى كثيراً من بني الإنسان، لا يشعرون بما تشعرُ به الهرَّةُ **المَأْسورةُ** في الغرفةِ، أو **آلبَهائِمُ، والوحوشُ المعتقلةُ في الأقفاص من ألم الأسر والاستبداد وشقائِه**، بلْ إنَّ بينَ هؤلاءِ الآدميين مْن يتمنّى البقاءَ في سجنه، **وَيَأْنسُ** به ويتلذذُ بآلامه وأسْقَامِهِ...

مصطفى لطفي المنفلوطي (بتصرف)

٢ دراسة النموذج

أدرسْ ملّياً الكلمات البارزة التي آستخرجناها من النّموذج البياني السابق، وهي على التوالي:

جَائِعَة، سَأَلت، رَأْسي، السُّؤَال، لشَأْنها، رَأيت، بكاؤها، رجاؤها، المَأْسورة، البَهائِم، شقَائِه، يَأْنس...

... تلاحظ:

ـ أن جميع الكلمات المذكورة مهموزة، وأنَّ الهمزة في كلٍّ منها واقعة في وسط الكلمة.

ـ أن الهمزة رغم توسّطها في الأمثلة المشار إليها... ليست مرسومةً بصورة واحدة، بل هي متعددة الصور.

وبالنظر في صور الهمزة وحالاتها السابقة يمكن تصنيفها في أربعة أشكال:

١ ـ الهمزة المتوسطة المرسومة على الألف، كما في النماذج التالية: **سَأَلَ، رَأْسي، شَأْنها، رَأَيت، مَأْسورة، يَأْنس**.

٢ ـ الهمزة المتوسطة المرسومة على «**الألف**» كما في النماذج التالية: **السُّؤَال، بكْاؤُها، رجْاؤُها**.

٣ ـ الهمزة المتوسطة المرسومة على «**الياء**»، كما في النماذج التالية: **جائعة، البهاْئِم، شقاْئِه**.

٤ ـ الهمزة المتوسطة التي **لم ترسم على** حرف من الحروف السابقة (**الألف أو الواو أو الياء**)، وإنما كتبت على السطر كما في النموذج التالي: **قراءة**...

فما هي العوامل التي أوجبت كتابة الهمزة المتوسطة بالصورة البارزة في النماذج الأربعة المتقدّمة؟

يمكن حصر هذه العوامل بالآتي:

أولاً: مراعاة **الأقوى بين حركات الإعراب** الثلاث تبعاً للترتيب الآتي: الكسر، الضم ثم الفتح.

ثانياً: اعتبار الكسر أقوى الحركات، وتجانسه «الياء»، ويليه الضم وتجانسه «الواو» ثم الفتح ويجانسه «الألف».

ثالثاً: الأخذ بالمذهب القائل بأن **السكون نقيض الحركة** وأنه الأضعف بالقياس إلى حركات الإعراب الثلاث.

رابعاً: الموازنة، عند كتابة الهمزة المتوسطة، بين قوة حركتها، وقوة حركة الحرف الذي يسبقها، وكتابة الهمزة بعد هذه الموازنة على الصورة المناسبة للحركة الأقوى تبعاً لما تقدّم.

٣ أحكام الهمزة المتوسطة

في ضوء العوامل المتقدمة، وبالنظر في أمثلة النّموذج ترسم الهمزة وسط الكلمة تبعاً للأحكام الخمسة التالية:

الحالة الأولى: أن ترسم الهمزة وسط الكلمة على صورة «**الياء**». وفي هذه الحالة يكون الكسر هو العامل الأقوى بين حركة الهمزة وحركة ما قبلها كما في الأمثلة التالية: **جائِعة، البهاْئِم، شقاْئه**.

الحالة الثانية: أن ترسم على صورة «**الواو**». وفي هذه الحالة يكون الضم هو العامل الأقوى بين حركة الهمزة وحركة ما قبلها كما في الأمثلة التالية: **السُّؤال، بكاْؤُها، رجاْؤُها**.

الحالة الثالثة: أن ترسم على صورة «**الألف**». وفي هذه الحالة يكون الفتح هو العامل الأقوى بين حركة الهمزة وحركة ما قبلها كما في الأسئلة التالية: **سأل، رأسي، شأنها**...

الحالة الرابعة: أن ترسم مستقلّة خلافاً لما تقدم، وهذه الحالة توجب أن تكون الهمزة مسبوقة بألف، أو واو ساكنتين كما في الأمثلة التالية: **قراْءة، سوْءة**...

تفاصيل أحكام الهمزة المتوسطة

خلصنا في ضوء إجماع أئمة اللغة[١] إلى الأحكام العـامّة في رسم الهمزة المتوسطة، كا تقدّم. واستكمالاً للبحث وجب الإحـاطة بتفاصيل هذه الأحكام وحالات الهمزة وسط الكلمة بحيث نقف على المـواضع المتعـددة التي ترسم فيهـا الهمزة المتـوسطة على الألف، والواو، والياء، وصولاً إلى الهمزة المتوسطة المستقلة التي تترك مكتوبة على السطر[٢]. وهكذا نبدأ بـ:

(أ) مواضع الهمزة المتوسطة على الألف

ترسم الهمزة المتوسطة على الألف في ثلاثة مواضع:

١ ــ أن تكـون الهمزة المتـوسطة مفتـوحة ـ ولـو مشدّد ـ بعـد مفتوح ـ ولو مشدّدة ـ كما يتضح من لفظة **تَأَسِّينا البارزة الواردة في قول ابن زيدون:**

يكـاُد حينَ تُنـاجيكمَ ضمـائـرُنـا   يَقْضي علَيْنا ٱلأسى لولا تَـأَسينا

٢ ــ أن تكون الهمزة المتوسطة **مفتوحة بعد ساكن صحيح،** كما يتضح من لفظة **تَسْأَلُهُ** البارزة الواردة في قول الأخطل:

. . . يوماً ـ بِأَجْوَدَ مِنْهُ حينَ تسْأَلُهُ   ولا بـأجهـرَ مِنْـهُ حينَ يُجْتَهَـرُ

(١) نظراً لتعدد الاجتهادات في رسم الهمزة المتوسطة، وحالات كتابتها وحرصاً على البيان والوضوح في عرض القواعد الإملائية المتعلقة بهذا الباب، تركنا الخوض في آراء أصحاب المذاهب الخاصة لمرحلة لاحقة منوطة بطلاب الدراسات العليا.

(٢) بعد استعراض تفاصيل الحالات المشار إليها، سنفرد فصلاً خاصاً بحالات الهمزة المتوسطة الخاصة، تجنّباً لكل التباس يؤدي إلى الارتباك في قواعد الهمزة الأساسية.

٣ ــ أنْ تكونَ ٱلهمزةُ ٱلمتوسّطة ساكنةً بعد مفتوح، كما يتضح من لفظة **كَأْس** البارزة الواردة في قول الأعشى:

وكَـأْسٍ شَـرِبْـتُ عـلى لَـذَّةٍ وأُخْـرَى تَـداوَيْتُ مِنْـهـا بِهـا

(ب) مواضع الهمزة المتوسطة على الواو

ترسمُ الهمزة المتوسطة على «**الواو**» في خمسة مواضع:

١ ــ أن تكون الهمزةُ مضمومةً بعد ضَمّ كما تلاحظ في لفظة (**شُؤُون**) البارزة، في قول خليل مطران:

كيفَ يَنْسى سِنينَ أَعْـزَزْتَ فيهـا شَـانَـه فـوقَ مـا تعِـزّ **الشُؤُون**؟

٢ ــ أن تكون الهمزةُ مضمومةً بعد فَتْح، كما تلاحظ في لفظة (**نَؤُوم**) البارزة في قول امرىء القيس:

وتُضْحي فتيتُ ٱلمسكِ فَوْقَ فِراْشِها نَؤُوْمُ الضّحى لَم تَنْتَطِقْ عنْ تفضُّلِ

٣ ــ أن تكون الهمزة مضمومةً بعد سُكون كما تلاحظ في لفظة (**أَكْؤُس**) البارزة الواردة في قول ابن زيدون:

لا **أَكْؤُسُ** الرّاحِ تُبدي مِنْ شمائِلنا سيمـا آرتياحٍ ولا الأَوْتَـارُ تُلْهينا

٤ ــ أن تكون الهمزة مفتوحة بعد ضم كما تـلاحظ في لفظة (**فُؤَادي**) البارزة في قول آمرىء القيس:

تسلّتْ عماياتُ الرّجالِ عن الصّبا وليسَ **فُؤَادي** عن هواك بِمُنْسلِ

٥ ــ أن تكونَ الهمزةُ ساكنةً بعد ضم كما تلاحظ في لفظة **يُؤْذن** البارزة الواردة في قول الشاعر:

فلا تَجْزَعَنْ إنْ أَظْلَمَ الدّهرُ مرةً فإنَّ اعتكارَ الليـل **يُؤْذن** بالفجرِ

(ج) مواضع الهمزة المتوسطة على الياء

ترسمُ الهمزةُ المتوسطة على الياء في ستة مواضع:

١ ــ إذا كانت مكسورة وما قبلها مكسور كما ترى في لفظتي «تخطِئين» و «تُنبْئي» البارزتين في المثال التالي:

أنْتِ **تُخطِئين** إن لم **تنبِئي** القومَ بالحقيقة.

٢ ــ إذا كانت مكسورة وما قبلها مضموم كما ترى في لفظة «**سُئِل**»البارزة في الشاهد التالي:

سُئِل أحدُ الأئمة عن أفضل الأعمال فقال: العلم بالله والثقة في دينه.

٣ ــ إذا كانت مكسورةً وما قبلَها مفتوحٌ كما ترى في لفظة «**اللئيم**» البارزة في قول الإمام علي:

إحذَرُوا صولةَ الكريم إذا جاعَ **والّلئيم** إذا شَبع.

٤ ــ إذا كانتْ مكسورةً وما قبلَها ساكنٌ كما ترى في لفظتي «**الصّفائِح**، و «**الصَّحْائِف**» الواردتين في قول أبي تمّام:

بيضُ **الصَّفائح** لا سودُ **الصَّحائِفِ**   **في متونِهنَّ جلاءُ الشَّكِ والرِيِّبِ**

٥ ــ إذا كانتْ ساكنـةً وما قبلَهـا مكسورٌ كمـا ترى في لفـظة (**هَنئتها**) البارزة في قول أبي فراس الحمداني:

فلا **هنِئْتَها** نُعْمى بأَخْذي   ولا وصلتَ سعودكَ بالتّمـام

٦ ــ إذا كانت مفتوحةً وما قبلَها مكسورٌ، كما ترى في لفـظة (**ذِئَاب**) البارزة في قول أبي فراس الحمداني:

وقدْ صارَ هذا النّاسُ إلا أَقلّهُم   **ذِئَاباً** على أجسادِهِنَّ ثيابُ

٧ ـ إذا كانتْ مضمومةً وما قبلَها مكسورٌ، كما ترى في لفظة (يُنْبِئُكَ) البارزة في قوله تعالى: ﴿ولا يُنْبِئُك مثل خبير﴾[١].

٨ ـ إذا كانتْ مفتوحةً وما قبلَها ياءٌ ساكنةٌ، كما ترى في لفظة (جيْئَة) البارزة في قول أبي فراس الحمداني:

وقورٌ وأحداثُ الزّمان تَنوشُني وِلِلْمَوْتِ حَوْلي جيْئَةٌ وذَهَابُ

(د) مواضع الهمزة المتوسطة المستقلة

ترسم الهمزة مستقلّة أي مفردة في موضعين:

١ ـ أن تكون الهمزةُ مفتوحةً بعدَ ألفٍ ساكنةٍ، كما ترى في لفظة (الإساءَة) البارزة في قول أبي الطيّب المتنبّي:

إذا أتتِ آلاساْءَةُ من لئيمٍ ولم أَلُمِ آلُمسِيءَ فمنْ ألومُ؟

٢ ـ أن تكونَ الهمزةُ مضمومةً بعدَ واوٍ ساكنةٍ، كما تَرَى في لفظة (المُروْءَة) البارزة في قول أميرِ المؤمنين الإمام عليّ كرّم الله وجهه وقد سألَه قومٌ عن قيمة أدب الإنسان وعلمه:

«الأدبُ كنزٌ عندَ آلحاجةِ عون على آلمروَءة».

٣ ـ أن تكون الهمزةُ مفتوحةً أو مضمومةً بعد واوٍ ساكنةٍ، أو صحيح ساكن وبعدها ألف التثنية أو ألف التنوين أو ضمير متصل كالهاء والكاف، مثل: جزْءَاً، وجزْءَان، ضوْءان، ضوءه، ضوءك.

وربما استعمل الوصل إذا كان ممكناً كأن تقول: عبْئاً، وعبْئان، وشيئاً وشيئان.

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٤.

٤ ـ أن تكون الهمزة مضمومةً وبعدَها «واو» المدّ في الكلمات التي هي على وزن فَعُولٌ أو مفعول مثل دءُوب، موءُودة .

وفي هذه الحال يلتزم بعضهم بالحكم العام، فتكتب الهمزة على الواو: (دَؤوب، موءودة)، لأن الهمزة متحركة بالضم، وما قبلها فتح، والضم أقوى ويناسبه صورة الواو.

الفصل الخامس

الهمزة آخر الكلمة

ترتبط كتابة الهمزة المتطرفة

بطبيعة العامل الأساسي الفاعل في صورتها وهو حركة الحرف المتقدّم عليها، وهذا ما سنراه في دراسة النموذج البياني اللاحق.

١ نموذج بياني

فضلُ آلعِلْم وَآلأَدب

قالَ اللّٰهُ تعالى: ﴿إنّما يخشى اللَّهَ من عِبادهِ آلعُلَماءُ﴾[1]. وقالَ رسولُ الله ﷺ: «تَعلَّموا آلعِلْمَ فإنَّ تعلّمَه لله حسنة... لأنَّه معالُم الحلال وآلحرام.. والدليلُ على السرّاء، وآلمعينُ على الضرّاءْ، والزّيْن عند **الأخلّاءْ** والسّلاحُ على الأعْداءْ...». وقال الإمامُ عليٌّ رضوان الله عليه: كفى بالعلمِ شرفاً أن يدّعيهِ من لا يحسنُه، ويفرحَ به

---

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر: الآية ٢٨.

إذا نُسبَ إليْه، وكفى بالجهلِ ضَعَةً أنْ يتبرَّأ منهُ منْ هوَ فيهِ ويغضبَ إذا نُسبَ إلَيْه.

وقالَ أَريبٌ ذو بَصَرٍ بمحاسنِ الرّجالِ لِرَجُل فاضِل ذي أدبٍ: أنتَ آمرُؤٌ وهبَكَ الله عِلْماً فلا تضنَّ به على طالبيهِ. وروى لهُ حديثَ النبي ﷺ في ذلك، وهو قولُه: «ما أتى الله أحداً عِلْماً إلا أخذَ عليْه آلميثاقَ أنْ لا يكتُمَه أحداً».

وآلأدبُ كالعلمِ في قيمتِهِ وزينتهِ **للمرْءِ**، ولهذا قالتِ **آلحكماءُ**: عِظِ **آلمسيءَ** بحسن أفعالك، ودلَّ على الجميل بجميل خلالك. وقالوا: من أسرعَ في آلجواب **أخطَأَ** في الصّواب، وقيلَ **لأفلاطون**: ما **الشيءُ** الذي لا يحسنُ أنْ يُقال وإن كان حقّاً، قال: مدحُ الإنسان نفسه.. ومن بديع آلحكم المؤدّبة للإنسانِ قولُهم: العجولُ **مخطِيءٌ** وإن مَلَكَ والمتأنّي مصيبٌ وإن هلَكَ... ومنْ أمثالِ كتابِ الله الكريم التي **تضيءُ** للمرْء سبيلُ الهدايةِ وتدرَأُ عنهُ مزالقَ **الأهواء**، وأنْواءَ النَّوائب والْأهواء: لكل **نبأ** مُسْتقرّ، من عمل صالحاً فلنفسِه ومن **أساءَ** فعليْها. فإيّاكَ والبطء في اجتناء العلم وجني ثمار الأدب لأن إهمالَ العِلّة يجعلُ البرءَ عسيراً، وأحياناً مستحيلاً.

من إعداد «المؤلفّ»

٢ دراسة النموذج

تأملِ النْصَ السابقَ... تجدْ أن جميعَ الألفاظِ البارزةِ الواردة فيه مهموزةَ الآخر، وأنّ الهمزةَ فيها متطرفةٌ، **أي في آخر الكلمة**، وهذه الألفاظ هي:

آلعُلَمـاءْ - السّـرْاء - الضّـراءْ - الأخِـلاّء - الأعـداء - يَتَبـرَّأ - آمـرْؤُ - آلمـرْء - آلحكماءْ - أخـطَأَ - مخطِيء - تُضِيء - تـدرأ - الأَهْـواء - نَبَـأ.

لاحظْ أنَّ الهمزةَ المتطرفةَ في الألفاظ المشـار إليها لم تُـرْسَمْ بصورة واحدة:

ـ واضح أن بعضَها مرسومٌ على «**الألف**» مثل: **يتبَرَّأ - أخطَأَ - تدرَأ - نَبَأ.**

ـ ومنها ما هو مرسوم على «**الواو**» مثل: «**امرؤ**».

ـ وفئةٌ ثالثةٌ من هذه الألفاظِ جاءتْ همزتُها المتطرفةُ على «**الياء**» مثل: «**المسيء**»، «**مُخْطِىء**»، «**تضيء**».

ـ أما الهمزة في لفظتي «**البطء**» و«**البرء**» فمفردة أي مستقلّة وليست على حرف من الحروف المتقدّمة: **الألف، الواو، الياء.**

٣ أحكام الهمزة آخر الكلمة

كما أجمع علماءُ اللغة على الأحكام العامّة المتعلقة بـ «الهمزة المتوسطة»[١]، كذلك كان الإجماعُ بين معـظمهم على أحكام عـامّة خاصّة بالهمزة المتطرفة، فما هي هذه الأحكام؟

بـالعودة إلى النمـوذج البياني السـابق «فضـل العلم والأدب»، ودراسة هذا النمـوذج نتحقق من توفـر «قاعـدة عامّـة» لكتابـة الهمزة المتطرفة تتلخّص بما يلي:

---

(١) راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب.

تكتب الهمزة

«في آخرِ الكلمةِ على صورةِ الحرفِ المجانسِ حركة ما قبلها».

وفي هذه الحالة تسقط أهمية حركة الهمزة المتطرفة بالذات وينحصر العاملُ الفاعلُ في رسمها بالحركة التي تسبقُها.

وفي ضوء الألفاظ البارزة في سياق النموذج السابق نحدّد الأحكام التفصيلية التالية:

١ ــ تكتب الهمزة في آخر الكلمة **على الألف**؛ **إذا كان ما قبلها متحركاً** بالفتح، كما ترى في الأمثلة المشار إليها آنفاً، وهي:

يتبرَّأ ـ أخطَأَ ـ تدرَأ ـ نبَأ.

٢ ــ تكتب الهمزة في آخر الكلمة على «**الواو**» إذا كان ما قبلها متحركاً بالضم شرط أن لا يكون هذا الحرف واواً مشدّدة كما في الأمثلة التالية: امرُؤ ـ بُؤبُؤ ـ تَلألُؤ ـ تهيُّؤ.

٣ ــ تكتب الهمزة في آخر الكلمة على صورة «**الياء**» إذا كان ما قبلها متحركاً بالكسر كما في الألفاظ التالية:

المسِيء ـ مخطِىء ـ تضِيء ـ برِيء ـ جرِيء...

٤ ــ تكتب الهمزة في آخر الكلمة **منفردة أو مستقلة، إذا كان الحرف الذي يسبقها ساكناًبما في ذلك الألف الساكنة والواو الساكنة والياء الساكنة كما في الكلمات التالية:**

البطْء ـ البرْء ـ العبْء ـ العشاْء ـ الماْء ـ الكفوْء ـ السّوْء ـ الردِيْء ـ الشيْء ـ البذِيْء.

الفصل السادس

أحكام خاصّة في كتابة الهمزة

خلافاً للأحكام العامة السابقة في كتابة الهمزة، وحرصاً على الإحاطة بحالات كتابة الهمزة ودفعاً لأي التباس أو إشْكال، وجب **الإلمامُ ببعض الأحكام الخاصَة في كتابة الهمزة، وفي مواضَعها المختلفة، بالرغم من التطرق إلى بعض هذه الأحكام في سياق الفصول المتقدمة.**

أهم هذه الأحكام ما يلي:

١ ـ خلافاً للحكم العام المتعلّق بـ: «ال التعريف» والذي ينص على أن الهمزة فيها همزة وصل، اعتبر أربابُ اللغة أن هذه **الهمزة تعدّ همزة قطع في موضعين:**

أ ـ في اسم الجلالة المسبوق بالنداء: يا ألله (فإن ألف يا تثبت في هذه الحالة وجوباً وتقضي بأن تكون الهمزة في اسم الجلالة همزة قطع).

ب ـ في كلمة ألبتة[1].

٢ ـ ذكرنا أن الهمزة أول الكلمة ـ أي الابتدائية ـ إذا سبقت

---

(١) ألبتة: اسم المرة من بتّ وبتا، ومعناها: أبداً أي قطعاً وبدون رجعة مثل: هذا الذي تطلبه لا أقوم به ألبتة.

بحروف مثل: «**ال التعريف** ـ لام الجرّ ـ، باء الجرْ. . . إلخ»[1]، لا تسقط أوليتها، **باستثناء** ما يلي: **لئن لئلا**، فقد اعتبرت الهمزة فيهما متوسطةً، خاضعةً لأحكام الهمزة العامّة في وسط الكلمة[2].

وعلى غرار ذلك همزة «**الإثنين**» الظرفية الدالة على أحد أيـام الأسبوع وهمزة «**هؤلاء**». وعلى النحو نفسه كل ظرف أضيف إلى «**إذ**» مثل قولنا: **وقتئذ، ساعتئذ، حينئذ، آنئذ**، فالهمزة في هـذه الحالـة تصبح متوسطة خاضعة لقاعدة توسط الهمزة.

٣ ـ رأينا كيف أن الهمزة المتوسطة **إذا كانت مفتوحة وسبقت بألف ساكنة (عباءة) أو واو ساكنة (السمـوْءل)، تكتب مستقلة** وهذه حالة خاصة مخالفة للقاعدة العامة. (التي لو طبّقت لوجب أن تكتب الهمزة على الألف).

٤ ـ ومن الظواهر المماثلة **في الهمزة المتوسطة المفتوحة أنها إذا سبقت بالياء الساكنة تـرسم على صورة اليـاء** وليس على صورة الألف، اتباعاً للمذهب القائل بأن الياء الساكنة مماثلة لحركة الكسر، مثل همزة: «دنيئة، جيئة، بيئة. . . إلخ».

٥ ـ ذهب بعض اللغويين إلى **حذف صورة الهمزة المتوسطة المضمومة المتبوعة بحرف مدّ مجـانس لها، والاكتفـاء عندئـذ بواو واحدة** نحو: **رُءوس وفُئوس** (بدل رؤوس وفؤوس) ويُعتبر هذا المذهب ضعيفاً.

وهناك نفر من اللغويين، **يكتب مثل هذه الهمزة على الواو الثانية**

---

(١) راجع المقطع الخاص بـ «الحروف التي تسقط أوليّة الهمزة» في الفصل الثالث.

(٢) راجع الفصل الخامس.

بعد حذف الأولى هكذا: **فُؤُس، رؤُس**؛ وهو مذهب ضعيف كذلك.

٦ ـ إذا وقعت الهمزة المتوسطة **المضمومة بين ألف وضمير** فإنها ترسم على صورة **الواو** كما في قولنا: **عزاؤك، نداؤه**.

ـ أما إذا **كانت هذه الهمزة مكسورة** فالغالب أن **ترسم على صورة الياء فتقول**: **عزائي، ندائي**.

٧ ـ معلوم أن الهمزة المتوسطة الساكنة بعد كسر ترسم على صورة الياء **ويستثنى من هذه القاعدة ـ في** الماضي والأمر وكل مصدر مهموز الفاء على وزن «الافتعال» ـ **كل همزة في الحالة المشار إليها تقدمتها الفاء أو الواو**. ومثال ذلك قولنا: فَأْتَمَر، فأْتَمِرْ، فَأتمار (بحذف الألف الواحدة ورسم الثانية)، وإلا لقلنا: فَإئْتَمَر، فَإئْتَمِرْ، فَإئْتِمَار.

ـ **فإذا كان الحرف المتقدّم «ثم»، لا** «الفاء» أو «الواو» **وجب الرجوع إلى الحكم العام** وهو وجوب إثبات الهمزة الأولى، ورسم الثانية على صورة الياء كأنْ يقال: ثم اِئْتَمَر، ثمّ إئْتمرْ. . .

٨ ـ **إذا كانت الهمزة آخر الكلمة وما قبلها ساكن، ومتبوعة بألف التثنية**، جاز أن تكتب على صورة الياء (خلافاً للقاعدة العامة) **إذا أمكن الوصل** كما في: دِفئان، وبطئان، وشيئان، **فإذا** تعذّر الوصل بين ما قبلها وما بعدها حافظت الهمزة على موضعها وبقيت منفصلة كما في: جزءان وضوْءان، ورزْءان، وبرْءان.

* * *

تطبيقات

في كتابة الهمزة وبعض مسائل اللغة

١ أحاديث نبويّة

قال النّبي ﷺ(١):

١ ــ «الْحياءُ لا يَأتي إلا بخَيْر».

٢ ــ «إذا لَمْ تستحِ فَاْصنَعْ ما شئت».

٣ ــ «ترى اَلمؤْمنين في تراجمهمْ وتوادِّهمْ وتعاطُفِهمْ كَمَثَلِ اَلجسَدِ إذا اَشْتَكَى عُضْوٌ تداعَى لهُ سائرُ اَلجسدِ بالسَّهرِ والحمّى».

٤ ــ «والّذي نفسي بيدهِ لا تدخُلونَ الجنَّةَ حتَّى تؤْمنوا، ولا تُؤْمنونَ حتّى تحابُّوا: ألا أَدلّكم على شيءٍ إنْ فعلتُموه تحابَبْتُم، أفشُوا السلامَ بينَكم».

٥ ــ «لا يحكُمُ أحدُ بين آثنين (وهو غضبان)».

٦ ــ «دَعُوني ما تركتُكم، فإنَّما أهلكَ مَنْ كان قبلَكُمْ سُؤَالُهم

---

(١) أثبتنا متن الحديث دون السند بباعث الإيجاز لا الإهمال.

واختلافُهم على أنبيائِهم، فإذا نَهَيْتُكُمْ عن شيء فَٱجْتَنِبُوه وَإذا أمرتُكم بشيء فَأْتُوا منه ما ٱستطعْتُم».

٧ ــ «مَثَلي ومثلُ ما بَعَثَني الله كمثلِ رجلٍ أتى قوماً فقال: (رأيت الجيشَ بِعَيْني)، وإنّي (أنا ٱلنذيرُ) ٱلعُريَانُ، فالنَّجاءُ النَّجاء فَأَطاعه طائِفة فَأَدلجوا على مهلِهِمْ فَنَجوا وكذَّبَتْهُ طائِفَةٌ فصبَّحَهم ٱلجيشُ فٱجتاحَهُمْ».

٨ ــ «من دعا إلى هدىً كانَ لهُ من الأجرِ مثلُ أجورِ مَنِ ٱتَّبَعَهُ لا ينقصُ ذلكَ من أُجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالَةٍ كانَ عليْهِ من الإِثْمِ مثلُ آثام مَنِ ٱتْبَعَهُ لا ينقصُ من آثامِهِمْ شيئاً».

٩ ــ «إنَّ خيارَكُمْ أحسنُكم أَخْلاقاً».

١٠ ــ «أطعِموا ٱلجائعَ، وعودُوا المريضَ، وفُكّوا العاني».

١١ ــ «ٱنظروا إلى منْ هو أسفلُ منكمْ ولا تنظُروا إلى من هو فوقَكم، فهو أجدرُ ألا تَزْدرُوا نعمةَ الله عَلَيْكُمْ».

أسئلة للمعالجة

١ ــ حدِّد الفكرة الأساسية في الأحاديث النبوية وناقشْها مبيِّناً ما تنطوي عليه من القيم الإنسانية: الاجتماعية والأخلاقية، والخصائص الفنّية.
٢ ــ أعرب ما تحته خط من الألفاظ المفردة.
٣ ــ أعرب إعراب جمل العبارات الموضوعة بين قوسين.
٤ ــ صنِّف الكلمات المهموزة الواردة في الأحاديث الآنفة الذكر، مميِّزاً إياها تبعاً لمواضع الهمزة فيها على النّحو التالي:
ــ الحياء: الهمزة في هذه الكلمة متطرفة في آخر الكلمة.

ـ يأتي: الهمزة متوسطة.

٥ ـ بيِّن القاعدةَ في كتابة الهمزة حسب تصْنيفك إياها في السؤال السابق، ومن أمثلة ذلك:

ـ الحياْء: الهمزةُ متطرفةٌ في آخر الكلمة، كتبت مستقلةً لأن ما قبلها ألفُ ساكنة.

تأْتي: همزة متوسطة ساكنةٌ بعد فتح، كتبتْ على الألفِ لأن الفتحَ أقوى من السكون ويناسبه الألف.

٦ ـ حوِّلِ ٱلأفعالَ الماضيةَ الواردةَ في نصِّ الأحاديث الشريفة إلى صيغتَيْ المضارع والأمر.

٧ ـ أرجعِ ٱلأفعالَ المضارعةَ الواردةَ في نصّ الأحاديثِ الشريفة إلى صيغةِ الماضي، ثم انقلْها إلى صيغة الأمر.

٨ ـ اختر ثلاثةَ أفعالٍ وصرّفها تصريفاً كاملاً في الإفراد والتثنية والجمع.

٢ مختارات من حكم الإمام علي بن أبي طالب

١ ـ إن هذه القلوب (تملّ) كما تملّ الأبدان فٱبتغوا لها طرائف ٱلحكمة.

٢ ـ بئسَ الزاد إلى ٱلمعاد (العدوان على ٱلعباد).

٣ ـ من أشرفِ أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم.

٤ ـ من كساه ٱلحياء ثوبه (لم يرَ) النّاسُ عيبه.

٥ ـ من أبطأ به عمله (لم يسرعْ) به نسبه.

٦ ـ من طلب شيئاً (ناله) أو بعضه.

٧ ـ من فاته حسب نفسه (لم ينفعه) حسب آبائه.

٨ ـ تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مَخْبوءٌ تحت لسانه.

٩ ـ النّاس أعداء ما جهلوا.

١٠ ـ الحلم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمة.

١١ ـ **لسان** العاقل (وراء قلبه)، وقلب الأحمق وراء لسانه.

١٢ ـ **الإيمـان** على أربـع **دعـائم**: على الصّبـر، واليقين، والعـدل والجهاد.

أسئلة للمعالجة في ضوء النصّ السابق

١ ـ اضبط نصّ هذه الحكم بالشكل التّام.

٢ ـ عيِّنْ مواضعَ همزةِ ٱلوصلْ.

٣ ـ عيِّنْ مواضع همزة ٱلقطع.

٤ ـ استخرجْ الهمزةَ المتوسطةَ وبيِّن سببَ كتابتها على الألف أو الواو أو الياء.

٥ ـ أعربْ ما تحته خط إعرابَ مفـردات، وما هـو واقعٌ بين قـوسين، إعرابَ جمل.

٣ بديع خلقة الخفّاش

الحمدُ لله **ٱلذي** ٱنحَسَرتِ ٱلأَوْصافُ عنْ كُنهِ معرفتـهِ، وَرَدَعَتْ عظمتهُ ٱلعقولَ فلم تجدْ مَساَغاً إلى بُلوغ غَايةِ مَلَكُوتهِ... خلقَ ٱلخلْقَ على غيرِ تمثيلٍ، ولا مشورةِ مُشيرٍ، ولا مَعونةِ مُعينٍ.

ومن لـطائف صَنْعتِه، وعجـائِب خِلْقَتِهِ مـا أرانـا من غـوامضِ ٱلحكمةِ في هذه **ٱلخفافيشِ** التي يَقْبِضُها ٱلضياءُ الباسطُ لكـلِّ شيءٍ ويبسُطُها ٱلظّلامُ القابضُ لكلّ حيّ، وكيفَ غشيتْ أَعْيُنُها عن أن تستمدَّ من الشَّمسِ ٱلمضيئةِ نوراً تَهْتدي بهِ في مـذاهِبها، **وتَتَّصِـلَ** بعلانيـةِ بُرْهانِ ٱلشمس إلى معارفها، ورَدَعَهـا تَلألُؤ ضِيـائِها عنِ ٱلمضيِّ في

سُبُحاتِ إشراقِها وأَكنَّها في مكامِنها عنِ الذّهاب في بَلَج آئتلاقها، **فهي** مُسدِلةُ آلجفونِ بالنَّهارِ على أحْداقِها **وجاعلةُ** آللَّيلِ **سِراجاً** تستدلُ به في التماس أرزاقها.

فسبحانَ من جعلَ **الليلَ** لها **نهاراً** ومعاشاً، وآلنهارَ سَكَناً وَقراراً، وجعلَ لها أجنحةً من لحمِها تعرُج بها عند آلحاجةِ إلى الطَّيران، كأنَّها **شظايا** الآذان **غيرَ** ذواتِ ريشٍ ولا قَصَب.. تطيرُ وولدُها لاصقٌ بها لاجِىءٌ إليها... لا يفارقها حتى تشتدَّ أركانُه ويحملَه للنهوضِ جناحُه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه...

الإمام علي بن أبي طالب
«نهج البلاغة»

أسئلة للمعالجة

١ ـ اشرح معاني الألفاظ التالية حسب ورودها في سياق النصّ(١).
انْحَسَرَت ـ كُنْه ـ يقبضُها ـ عشِيَتْ ـ مَذَاهب ـ رَدَعها ـ أَكَنَّها ـ مَكامنها ـ أَحْداقها ـ تعرُج ـ شظايا ـ أركانه.

٢ ـ أذكر معاني التراكيب التالية تبعاً لسياق النص:
لم تجد مَسَاغاً إلى... ـ خلق الخلقَ على غيرِ تَمْثيل ـ لَطَائِف صَنْعَتِه ـ بَلَج ائتلاقِها ـ جاعلةُ الليل سراجاً ـ التماس أَرْزاقها حتّى تشتد أركانه.

٣ ـ أعربْ الكلماتِ البارزة في النّص.

٤ ـ ما هي أضداد الألفاظ التالية: يقبضها ـ الباسط ـ الظلام ـ الليل ـ سكنا.

٥ ـ اذكر من النص أو خارجه مرادفاً أو أكثر للألفاظ التالية:
معرفته ـ العقول ـ غاية ـ ملكوته ـ لطائف ـ عجائب ـ الضياء ـ الظلام ـ

(١) يمكن الاستعانة بالمعاجم اللغوية لهذا الغرض، عند الضرورة.

تستمد ـ مكامنها ـ التماس ـ تعرج ـ الحاجة ـ تشتدّ ـ النهوض.

٦ ــ عيّن كل همزة واقعة في أول الكلمة.

٧ ــ ما هي الكلمات المهموزة الوسط في النصّ المذكور.

٨ ــ اذكر مواضع الهمزة المتوسطة، وبين القاعدة في كتابتها.

٩ ــ استخرج من النص عشرة أفعال وحوّلْها من صيغتِها إلى صيغة ثانية مثال ذلك: انحسرت (صيغة الماضي): تنحسر (صيغة المضارع) تجد (صيغة المضارع): وجدت (صيغة الماضي . .) إلخ.

١٠ ــ حوّل الأسماء المفردة إلى المثنى ثم الجمع، وردّ الأسماء الدالة على الجمع إلى المفرد (مثال ذلك: الأوصاف: جمع مفرده وصف ـ مشورة: مفرد، مثناها: مشورتان، وجمعها: مشورات. . . إلخ).

٤ مختارات من الشعر

أ ــ أبيات من قصيدة الأخطل «خف القطين»، وهي في مدح عبدالملك بن مروان والأسرة الأموية:

إلى آمرىءٍ لا تُعدّينا **نوافلهُ**	أظْفرَهُ الله فَلْيهْنِىء له الظّفرُ
الخائِضُ **الغمرَ** والميمونُ طائِره	خليفةُ الله **يُسْتَسقى به المطرُ**
وما الفراتُ ـ إذا جاشت حوالبُه	في **حافَتَيْه** وفي أوْساطه **آلعُشَرُ**
يوماً ـ **بأجودَ** منه حين تسْألُه	ولا بأجْهَر منه حينَ يُجتهَرُ
مقدّمٌ **مِئَتي** ألْفٍ لمنزلِه	ما إن رَأي مثلَهم جنٌّ ولا بشرُ
وتستبين **لِأقْوام** ضلالتهم	ويستقيم **آلّذي في** خدِّه **صَعَرُ**
في نبعة من قريش **يعصبونَ** بها	**ما إنْ يُوازي بأعلى نَبْتها الشجرُ**
حشدٌعلى الحق**عيافو**الخنا أنف	إذا ألمّت بهم مكروهةٌ صَبَروا
أعطاهم الله جداً ينصرون به	**لا جدَّ إلا صغيرٌ**، بعدُ، محتقر
لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليَه	ولو يكون لِقَومٍ غيرِهمْ أشروا

ب ــ أبيات من حكمة زهير بن أبي سلمى:

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ **ومن يَعِشْ** ثمـانينَ **حولاً** لا أبـا لكَ **يَسْأَم**ِ
وأعلمُ ما في اليومِ والأَمْسِ قبلَه ولكنّني عن علمِ مـا فـي **غـدٍ عمـي**
رأيتُ ٱلمنـايا خبطَ عشـواءَ من تُصِبْ تُمِتْهُ ومن تخطِىء يعمّـر فيهرَم
ومنْ لم يُصانعْ في أمـور **كثيرة** يضـرّسْ بأنيـاب ويوطـأ بمنسَم
ومن يـوفِ لا يـذمَمْ وَمْن يُهْـدُ **قلبُه** إلى مـطمئِنّ البِـرّ لا يَتَجمجَمِ
ومن هـابَ أسبابَ **ٱلمنـايا** يَنَلْنِـه وإن يـرقَ أسبابَ السَّمـاءِ بِسُلّمِ
ومهمـا تكنْ عند امـرىءٍ من خليقةٍ وإن **خالَها تخفى** على النّاسِ تُعْلَمِ
وكائِنٍ ترى من صـامتٍ لك مُعْجِبٍ زيـادتُـه أو نقصُـه في التّكلُّمِ
لسـانُ الفتى **نصفٌ** ونـصفٌ فُـؤادُهُ فلم يبقَ إلا **صورةُ** اللحمِ والدَّمِ

أسئلة للمعالجة

١ ــ أعربِ الكلمات المشار إليها بخطّ في المختارات السابقة.
٢ ــ ما هي الكلمات المهموزة الواردة في هذه الشواهد؟
٢ ــ استخرج هذه الكلمات وصنّفْها حسبَ أنواعها: في بدء الكلمة، أو وسطها أو آخرها.
٣ ــ بالقياس إلى الكلمات المهموزة الأول، عيِّن حركة الهمزة: (الفتح، الضم، الكسر)، وحدّدْ موضعَها (فوق الألف أو تحت الألف).
٤ ــ بالقياس إلى الكلمات المهموزة الوسط عيِّنْ ما يكتبُ منها فوقَ الألف، والواو، والياء، وما يتركُ منفرداً على السطر.
٥ ــ انطلاقاً من معالجتك السؤالَ السابق، بيِّنْ الأحكام التي اعتمدتها في تحديد مواضع الهمزة المتوسطة.

٥ مختارات من النثر

في الجود ومكارم الأخلاق

١ ــ إعلم أنَّ ٱلجـودَ **بذلُ** المـال، وأنفعُه **مـا صُرِفَ في وَجْـهِ** ٱستِحْقَاقِه. قيل: إن الجودَ والسخـاءَ والإيثارَ بمعنىً واحـدٍ. وقيلَ منْ أَعْطى ٱلبعضَ وأمسك البعضَ فهو **صاحبُ** سخاء. ومن بذلَ الأكثرَ فهو صاحبُ جودٍ، ومنّ آثرَ غيرَه بالحاضِرِ، وبقيَ هو في مقاساةِ الضَّررِ فهو صاحبُ إيثارٍ.

٢ ــ رُويَ أنَّ الأشعثَ بنَ قيس (أرســلَ) إلى عـديّ بن حــاتم (يستعير) منهُ قدوراً كانتْ لأبيه **حاتم** فملأَها مالاً، وبعثَ بها إليه، وقالَ: إنا (لا نعيدها) **فارغة**.

٣ ــ وسأل معاويـةُ الحسنَ بنَ عليّ رضي الله تعالى عنهم، عنِ ٱلكرم، فقالَ: هو **التّبرْعُ** بالمعروفِ قبلَ السؤالِ، والرأفةُ بالسائِلِ مع البذلِ.

٤ ــ وقال بعضهم: قصدَ رجلٌ إلى صديقٍ له فدقَّ عليـه البابَ فخرجَ إليه وسألَهُ عن حاجتهِ، فقالَ عليَّ **دينٌ** كذا وكذا. فدخلَ الدار وأخرجَ إليه ما كانَ عليه، ثم دخلَ الدار **باكياً**. فقالت له زوجتُه: (هلاّ تعللت حيث شقّت عليك الإجابة)؟ فقال: إنّمـا أبْكي لأني لم أتفقّد حالَه، حتى احتاج إلى أن سألني.

٥ ــ وجاء رجلٌ من الأنصار إلى عبدالله بن عبّاس رضيَ الله تعالى عنْهما، فقالَ له: (**يا ابنَ عمّ محمّد**: إنّه ولدَ لي في هذهِ الليلةِ مولودٌ،

وإني سميتُه باسمكَ تبركاً بك) وإن أمَّه ماتَتْ. فقال له: (بارك الله لك في الهبة) وآجرك على المصيبَة. ثم دعا بوكيله وقالَ له: انطلِق الساعةَ فاشتر للمولودِ جاريةً (تحضنـه)، وادفعْ لأبيـه مئتي دينار لينفقَهـا على تربِيَته. ثم قالَ للأنصاري: عد إلينا بعد أيام فإنَّك جئتَنا (وفي العيش يبس) وفي المال قلَّة. فقال الأنصاري: جعلتُ فداءك لو سبقت حاتماً بيوم ما ذكرتْه العرب.

ويروى أنَّ عبدَالله بن الزّبير (أنشد) معاوية فقال:

ولم أر في الخـطوب أشدَّ وقعـاً ... وأَمْضَى من معــاداة الــرِّجـالِ
وذقــت مــرارةَ الأشـيــاء طُـرّاً ... فـمــا شيءٍ أمــرُّ مـن السُّـؤالِ

فأعطاه مائةَ ألفِ دِرْهم.

٦ ـ وأما حاتم (فأخباره كثيرة) وآثاره في الجود **شهيرة**. وكان ولده عديّ (يعادي) النبي ﷺ. فبعث النبي ﷺ عليّاً إلى طيء، فهرب عديّ بأهله.. وخلف أخته **سفانة** فأسرتها خيل رسول الله ﷺ، فلمّا أتي بها إلى النّبي قالت: **يا محمد**، هلك الوالد وغاب الرافض، فإن رأيت (أن تخلي) عنّي، ولا تشمت بي **أحياء** العرب، فإن أبي كان **سيـد** قومـه (يفك) العاني و(يقتل) الجاني، ويحفظ الجار ويحمي الديار... ويعين على نوائب الدهر. فقال لها النبي ﷺ: يا جارية هذه صفات **المؤمنين** حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، **خلّوا** عنها. فرجعت سفانة إلى قومها، وقالت لأخيها عديّ: يا أخي إئت هذا الرجل قبل (أن تعلقك) حبائله، فإني قد رأيت هدياً ورأياً (سيغلب) أهل الغلبة... فقدم عدي إلى النبي ﷺ، فأسلم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم، وكانت من أجود نساء العرب.

أسئلة للمعالجة

١ ـ عيِّنِ الكلمات المهموزةَ الأول، الواردةَ في النصّ مميِّزاً بين همـزة الوصـل وهمزة القطع.

٢ ـ أضبطْ بالشكلِ التّام المقطعَ السادس من النص.

٣ ـ ما هي القاعدةُ في كتابة الهمزةِ المتوسطة الواردةِ في الكلمات التالية: سَأَل ـ السُّؤَال ـ الرَّأْفَة ـ السائِل ـ مِئتي ـ جِئْتنا ـ المُؤْمنين ـ أئْت ـ حبائِلُه.

٤ ـ أعرب الجمل الواقعة بين قوسين.

٥ ـ أعرب المفردات البارزة في النّص حسب موقعها في الجملة.

٦ ـ عيّن مواقعَ الهمزة المتطرفة في النص واذكر القاعدة في كتابتها.

الفصل السابع

التعريف بـ: «الألف الليّنة»

الألف الليّنة

أو الهوائية[1]، هي ألف إطلاق أو إشباع، لا تقبل الحركة، وهي لذلك لا تكون إلا متوسطة أو متطرفة، وما قبلها مفتوح، وهي تقع في الاسم والفعل والحرف كما سنرى في دراسة النموذج البياني اللاحق

١ نموذج بياني

من «لزوميّات» أبي العلاء المعرّي

سَـرَيْـنـا وطـالـبُنـا هـاجـعٌ   وعندَ الصَّباح حَمَـدْنَا آلسُّـرى[2]
بـنـو آدمٍ يـطلبـونَ الـثَّـرا   ءَ عِنْدَ الثُريّـا وَعِنْـدَ آلثَـرى[3]
فـتـىً زارعٌ وفـتـىً دارعٌ   كـلا الـرجلَيْن غدا فـآمتَـرَى[4]

---

(١) سمّيت بـ «الهوائية» لأنها تبدو خارجة من تجويف الفم أو هوائه..
(٢) سرينا: سرنا ليلاً ـ هاجع: راقد، نائم.
(٣) الثراء: الغنى ـ الثرى: التراب.
(٤) الدارع: الذي يأكل بعض الزرع ـ غدا: خرج غدوة ـ امترى ـ اشترى الطعام إلى الطعام.

فَــهــذا بِــعــيْــنٍ وزايٍ يَــرُوحُ   وذاكَ يَــؤُوب بــضــادٍ ورَا[1]
إذا الضّيفُ جــاءَكَ فــآبْسِمْ لــهُ   وقــرّبْ إليْه وشيــكَ القِـرى[2]
ولا تحقـرِ آلمزدرَى في آلعُيـونِ   فكمْ نفــعَ الهَــيِّنُ آلمــزْدَرَى[3]
ســواءٌ عــليّ إذا مــا هَــلَكْــتُ   من شــادَ مَكــرُمَتي أو زَرَى[4]
فــأودى فــلان بسُقْمٍ أضــرَّ   وأودى فــلان بعــرق ضَــرَى[5]
نــزولُ كــمــا زالَ أجْــدادُنــا   ويَبْقى الــزّمـانُ على مــا نَــرَى
نــهــارٌ يُــضــيء ولــيــلٌ يــجــيءُ   ونــجــمٌ يــغــورُ ونــجــمٌ يُــرى

٢ دراسة النموذج

تأمّلِ الكلماتِ البارزةَ في الأبيات السابقة وهي على التوالي:

طـالبنَا ـ هَـاْجع ـ الصَّبَـاحِ ـ آلسّرَى ـ آلثـريّا ـ آلثّـرى ـ فتى ـ زَاْرع ـ دَاْرع ـ كلا ـ غَدَا ـ امترَى ـ هذَا ـ زاي ـ ذَاْك ـ ضَاد ـ را ـ إذَاْ ـ القِرَى ـ المزدرَى ـ سوَاْء ـ مـا ـ شَاْد ـ زرَى ـ أودَى ـ ضَـرى ـ زَاْل ـ أجدَاْدنـا ـ يبقى ـ على ـ نرىَ ـ نهَارْ ـ يُرى . . .

تجدْ أنها تشتـرك بظاهـرة واحدة تجمـع بينها، كـونها، ـ دونمـا استثناء ـ تشتمل في تركيبها اللفظي على ألف مسبوقة بفتحة، يقال لها: **«الألف الليّنة»**.

---

(١) بعين وزاي: أي بـ «عزّ»، بضاد ورا: أي بـ «ضرّ».
(٢) القرى: طعام الضيف.
(٣) المزدرى: المحتقر ـ الهيّن: الحقير الذي لا يملأ العين.
(٤) شاد: مدح ـ زرى: حقر، ازدرى.
(٥) أودى: هلك ـ ضرا العرق: سال منه الدم.

فما هي خصائص هذه الألف وما هي بالتالي أحكامها؟

أما **خصائصها** التي حدّدها أئمة اللغة، ومنهم **الأزهري**، فيمكن تعدادها ـ وفي ضوء النماذج السابقة ـ على النحو التالي:

١ ـ إنّ «الألف الليّنة»، **لا حرف لها، فهي عبارة عن مدّة بعد فتحة.**

٢ ـ هذه الألف **لا تقبل أية حركة** من الحركات الثلاث: الفتح والضم والكسر.

٣ ـ وما دامت لا تقبل الحركة، **فهي لا تقع في ابتداء الكلمة، فتظلّ محصورة ـ كما تلاحظ في أمثلة النموذج البياني ـ في وسط الكلمة أو آخرها.**

يضاف إلى ما تقدّم:

أ ـ أن الألف الليّنة وسط الكلمة **لا ترسم إلا ألفاً** كما في (زارع، دارع، شاد).

ب ـ أنَّ هذه الألف إذا كانت **متطرفة فإما أن تكون أيضاً طويلة،** كما هو ظاهر في «كلا، غدا، إذا».. أو **ألفاً مقصورة** كما يبدو لك في (الثَّرى، فتى، امترى، القِرى، أودى).

ج ـ واضح أن **الألف اللينة، أكانت متوسطة أو متطرفة إنما ترد في الأسماء والأفعال والحروف** كما هو ظاهر في أمثلة النموذج المتقدّم كما يلي:

ـ المزدرى، أجداد، نهار، زارع ← **(أسماء).**
ـ غدا، أودى، نرى، شاد ← **(أفعال).**
ـ إلى، على، حتى ← **(حروف).**

٣ أحكام الألف الليِّنة

أولاً: في وسط الكلمة:

١ ـ **عندما تقع الألف الليّنة وسطاً تكتب ألفاً طويلة**. وهي عند توسّطها إما أن يكون توسطها بالأصالة أو أن يكون عرضاً:

ـ فمن الأمثلة على **توسّطها بالأصالة**، الألف الواردة في الأفعال والأسماء التالية: شاد، زال عاد، زار، نهار، صباح.

ـ أما المتوسطة عَرضاً ـ أي بواسطة غيرهـا ـ فتبدو في الألفـاظ التالية:

هَواي، عُلاكِ، إلامَ.

٢ ـ توسّط الهمزة عرضاً يكون في الأسماء والأفعال، والحروف.

أ ـ تكتب الألف اللينة **المتوسّطة عرضاً في الأسماء**، ألفاً طويلة في أربع حالات:

ـ في **الأسماء التي لحقتها هاء التأنيث**، نحو: **فتاة**.

ـ في **الأسماء التي أضيفت إلى الضمير**، نحو: ليلاي، ليلاك، ليلاه.

ـ في كلمة **لآه**[1] (وهي هنا في إطار المدّة).

ـ في **الأسماء المضافة إلى «ما» الاستفهامية نحو: بـ «مقتضاه»**.

ب ـ ومحلّ هذه الألف من الأفعال، ما كان متصلاً مباشرة بضمير المفعول مثل: **يرعاك، ينهاك**، أو غير مباشرة مـع نون الـوقايـة مثل: **يرعاني، ينهاني**.

---

(١) لآه: ثوره.

ج ـ أما في الحروف، فمحلّ هذه الألف في ثلاثة حروف عند اتصالها بما الاستفهامية المكتوبة بصورة «ميم» غير متبوعة بشيء[1] على النحو التالي: حتّام[2]، علامَ، إلامَ (وهي أصلاً حتّى، على، إلى، وألفها اللينة متطرفة ومقصورة).

ثانياً: **في أخر الكلمة:**

لا تقتصر صورة الألف اللينة، في آخر الكلمة على صورة الألف الطويلة، كما رأينا في الألف اللينة المتوسطة، فهي تكتب مقصورة وطويلة في حالات ومواضع حدّدها اللغويون بالإجماع حيناً، وبتباين في الرأي حيناً آخر. ونبدأ بمواضع الألف المتطرفة التي تكتب ياءً، أو ألفاً مقصورة.

●

مواضع الألف المتطرفة المقصورة

تكتب الألف الليّنة المتطرفة (في آخر الكلمة) **بصورة الياء أو الألف المقصورة في سبعة مواضع**، أربعة منها مواضع أسماء، وموضعان خاصان بالأفعال، وموضع خاصّ بالحروف، وهي بالترتيب على النحو التالي:

١ ـ في جميع الأسماء الثلاثية المنتهية بألف ليّنة منقلبة عن ياء. ومن أمثلة ذلك: **النّهى، الفتى، الهوى، الهدى**، وأضافوا إلى مثل هذه الأسماء كلمة «**نَوَى**» وهي اسم علم لبلد أو مكان.

---

(١) إذا كتبت ما الاستفهامية عند الوقف متبوعة بهاء السكت في موضع الألف، فالراجح عند اللغويين أن تبقى الألف اللينة مقصورة.

(٢) يجوز وصل حتّى، بضمير المتكلم، والمخاطب، والغائب فيقال: حتّاي، حتائي.

٢ ـ في جميع الأسماء العربية التي تزيد حروفها على ثلاثة، وليس قبل آخرها ياء. ومن أمثلة ذلك: مُنْتَدى، مَرْعَى، مَشْفى، مشترى، حَجْلى (جمع حَجَل)[١] وظِربى (جمع ظِربَان)[٢]، وتترى[٣] وأضيف إليها حاشى المسماة التنزيهية[٤].

ـ وقد استثني من هذه القاعدة الأسماء الزائدة على ثلاثة أحرف والمسبوقة الآخر بالياء، إذا كانت علمية أي من أسماء العلم مثل: «يحيى» و«ريّى» للتمييز بينهما وبين الفعل (يحيا)، وغير العلم كالصفة: رّيا.

٣ ـ في الأسماء الأعجمية الخمسة التالية: موسى، عيسى، كسرى، متّى (وهي أسماء علم للأناسي)، و«بخاري»[٥] (من الأعلام الدالّة على البلدان).

٤ ـ في خمسة أسماء مبنيّة هي: لَدَى، مَتَى، أنّى، أولى، الإشارية وهي مثل: أولاء)، والألى (الموصولة، بمعنى الذين).

---

(١) الحجل: طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين.

(٢) الظّرِبان: حيوان من اللواحم بحجم القِطّ، لونه أغبر مائل إلى الأسود، ذو رائحة منتنة كريهة، ضرب به المثل، فقيل (مجازاً) فسا بينهم الظرِبان بمعنى تفرّقوا وتبدّدوا.

(٣) بمعنى المتابعة وأصلها: وترى، بفتح وسكون، أبدلت الواو تاء.

(٤) سميت كذلك لأنها تستعمل لتنزيه ما بعدها عمّا يشين، ولاسيّما اسم الجلالة، كأن يقال: حاشى لله أن يظلم عباده. وقد أضيفت «حاشى» إلى الأسماء المشار إليها في قراءة ابن مسعود، وابن السمّاك. وجاء في لسان العرب، حاشى لله وحاشى لله (نقلاً عن الأزهري)، بمعنى: معاذ الله وبراءة الله، ويذكر اللغويون أن حاشى في الأصل فعل، قلب اسماً لكثرة تداوله.

(٥) أما سائر الأسماء الأعجمية التي لم تعرب ولم تعامل معاملة الأسماء العربية، فتكتب بالألف الطويلة، ومنها ما يدل على الأشخاص مثل: (آغا، زليخا) أو بلدان مثل (شبرا، يافا).

٥ ــ في جميع الأفعال الثلاثية، إذا كانت ألفها منقلبة عن ياء، مثل: أتى، رمى، بكى، مشى.

٦ ــ في جميع الأفعال الزائدة على ثلاثة، إذا كانت ألفها المتطرفة غير مسبوقة بياء: مثل: ارتضى، تمشّى، اهتدى، انتضى... إلخ.

٧ ــ وبالإضافة إلى الأحكام الواردة حول رسم الألف في الأفعال الثلاثية، والزائدة على ثلاثة أحرف (انظر الرقمين: ٥ و٦)، فإن اللغويين يعتمدون الحكمَيْن التاليَيْن:

أ ــ كل فعل أو اسم ثلاثي واوي «الفاء» أو «العين» تكتب ألفه مقصورة (أي بالياء) مثل: **وجى**[١] (فعل واوي الفاء)، **وهوى** (فعل واوي العين)، **الورى** (اسم واوي الفاء) **النوى** (اسم واوي العين).

ب ــ كل فعل ثلاثي مهموز العين تكتب إلفه مقصورة (أي بالياء) مثل **نأى**[٢] (من النأي)، **ورأى**، وكذلك **قأى** قأيا أحدُهم لخصمه: أي ذلّ.

٨ ــ في الأحرف الأربعة التالية: إلى، على، بلى، حتى. وقد علّل اللغويون هذا الحكم لأن الحرفين الأوّلين **(إلى، على)** ألفهما تنقلب **«ياء»** عند اتصالهما بالضمير كما يلي: **(إليّ، عليّ، إليك، عليك... إلخ)**، ولأن ألف **«بلى»** تقرأ ياء بالإمالة، وأما **«حتّى»** فلأنها بمعنى إلى...

---

(١) وجى يجي وجيا الرجلَ: وجده لا نفع فيه..
(٢) النأي: البعد.

مواضع الألف المتطرفة الطويلة

تكتب الألف المتطرفة طويلةً ـ باستثناء الحالات السابقة الخاصة بالألف المقصورة ـ **في المواضع التالية**:

١ ــ في الأسماء الثلاثية، إذا كانت ألفها المتطرفة ثابتة الانقلاب عن (واو) مثل: العصا، القفا، العلا، الججا، ومثلها تلا وهي (اسم علم لبلد)[١].

ــ وألحقَ صاحب القاموس المحيط أسماء مجهولة أصل الألف بـ «الواوي» وجعل ألفها طويلة، ومن هذه الأسماء: الددا[٢]، الخسا[٣]، الزكا[٤].

٢ ــ في كلّ اسم غير ثلاثي، أَلِفُه المتطرفة مسبوقة بياء، مثل: ثريّا. محيّا، عليا، منايا، دنيا، مطايا. (ما خلا الاستثناءات المشار إليها سابقاً).

٣ ــ في جميع الأسماء الأعجمية مثل: بريطانيا، إسبانيا، فرنسا، إيطاليا، أندونيسا، ما خلا الاستثناءات الواردة سابقاً.

---

(١) هذا هو مذهب البصريين، أما الكوفيون فاعتبروا ما كان من الأسماء على وزن فُعَل مثل (العلا) أو وزن فِعَل مثل (الحجا) يائياً وألفه مقصورة فقالوا: (العلى، الحجى) وفريق ثالث يرسم ألف الثلاثي سواء أكان أصلها «واواً» أو «ياء»، بالألف الطويلة وفريق رابع جوّز الاتجاهين في التاريخ الشعري ولم يجمع العلماء على ذلك.

(٢) أي اللعب.

(٣) أي العدد الفرد.

(٤) أي العدد الزوجي.

٤ ــ في كل فعل ثلاثي، إذا كانت ألفه المتطرفة منقلبة عن واو، مثل: دنا، سما، صحا، علا، غزا.

٥ ــ في كل فعل زائد على ثلاثة مسبوق الآخر بالياء مثل: أعيا، تزيّا، استحيا، تبيّا، يحيا.

٦ ــ في الأسماء والأفعال إذا وردت بصيغة التثنية، مثل: **لاعبا** الكرة، **صاعدا** الجبل، كاتبا الرسالة، أنتما لم **تحافظا** على المبادىء السامية، ولم **تؤديا** حقوق المواطنية ولم **تسعيا** إلى المساواة بين أبناء الأمة.

٧ ــ في الحروف المنتهية بألف، (ما خلا التي اعتبرت ألفها مقصورة) مثل: لا، كلا، هلا، ما، لولا، خلا، عدا، حاشا... إلخ.

٨ ــ في الأسماء التي يلحقها تنوين النصب، كما في الأمثلة التالية: كفاك **لعباً** ـ أشبعته **ضرباً** ـ قدّمت له **عوناً**.

٩ ــ في صيغة النداء، كما ترى في قول أبي فراس:

يا **أمَّتَا** هذه منازلنا   يا **أمتا** هذه مواردنا

١٠ ــ في صيغة النّدبة، نحو: وا ولداه.

١١ ــ في اتباع رويّ القافية، إذا كان منصوباً وتدعى الألف عندئذ ألف الإطلاق كما في قول أبي العلاء:

أوصى ابنتَيْه لبيدُ الـ   ـماضي ولا أُوصي **آبنتيّا**

١٢ ــ وتكتب الألف اللينة المتطرفة، طويلة بعد واو الجماعة في الأفعال الماضية كما في: علموا، غادروا، أحاطوا، وفي الأفعال

المضارعة في حالَتي النصب: (لن يعلموا، لن يغادروا، لن يحيطوا)، والجزم: (لم يعلموا، لم يغادروا، لم يحيطوا). وتدعى هذه الألف «ألف الفصل» أو «الألف الفارقة».

١٣ ـ في الأسماء المبنيّة كالضمائر وأسماء الاستفهام، والشرط، والإشارة (ما عدا المستثناة سابقاً) مثل: أنا، ماذا، حيثما، هذا...

١٤ ـ في الألف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة، وهو مذهب البصريين كما في قوله تعالى: ﴿وليكوناً من الصاغرين﴾[١] وقوله أيضاً: ﴿لنسفعاً بالنّاصية﴾[٢].

وأما مذهب الكوفيين في هذه المسألة فيختلف، لأنهم يكتبون النون في غير الكتابة القرآنية، بالنون المطلقة لاسيّما أن طائفة من العرب تقف بالنون مطلقاً.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٢.
(٢) سورة العلق: الآية ١٥.

حالات خاصّة في كتابة الألف

مواضع كتابة الألف المقصورة ألفاً طويلة

هذه المواضع التي اتّجه فيها فريق من اللغويين، **إلى كتابة الألف المقصورة (أي الياء) ألفاً طويلة**، هي الآتية:

أ ــ لمجاراة القافية الواردة في قصيدة مقصورة، كما في مقصورة ابن دريد، وذلك كي تستوي كل القوافي في الصورة الخطيّة ومنها قوله:

أما تَرَى رأسِيَ حاكى لَوْنُه طرّةَ صبحٍ تحتَ أَذْيالِ **الدُّجا**(١)
وآشتعلَ المُبْيَضُّ في مُسَوَدِّه مثل اشتعال النَّار في جَزْلِ **الغَضَا**(٢)

ب ــ للمماثلة في السجع، في حال تعاطفت العبارتان كقولهم:

سامِحْ أخاكَ إذا هَفَا وَأَنْجِدْهُ إذا هَوَا(١)

ج ــ للمماثلة في حال الجناس، كمثل قوله:

يا سيِّدا حاز رِقّي بما حَبَاني **وأَوْلا**
أحسنتَ بِرّاً فقلْ لي أحسنتُ في الشُّكْرِ أَوْ لا(٤)

---

(١) الدجا(الظلمة) هو اسم (واوي) وألفه طويلة. طرّة الصبح: بدايته.
(٢) الغضى، شجر ذو شوك وهو في الأصل (يائي)، والجزل من الحطب اليابس. ويلاحظ أن الغضا رسم بالألف لمجاراة القافية في (لفظة الدجا).
(٣) فالأصل في هوى أن يكون بالياء، لكن المجانسة في السجع اقتضت أن ترسم الياء ألفاً كما هو واضح.
(٤) جانس الشاعر بين أولى في البيت الأول وهي يائية في الأصل... معناها أعطى وفصل وأَوْلا في البيت الثاني والمؤلفة من أو أداة عطف ولا النّافية وألفها طويلة.

د ـ لضرورة المشاكلة في حالة التورية، كقوله:

بروحيَ بَدْراً في آلنَّدى ما أطاع مِن ... نهاهُ وقد حازَ آلمعالي وزانَها
يسائلُ أن يَنْهى عن آلجود نفسَه ... وَها هُوَ قَدْ بَرَّ آلعُفاةَ ومانَها[1]

هـ ـ ومن المواضع المشار إليها ما كان يرمي إلى الإلغاز والمعاياة لغرض من أغراض الكلام كقول الشاعر:

أقولُ لعبدِ الله لمّا سقاؤنا ... ونحن بوادي عبد شمس **وهاشم**[2]

و ـ **وقد يكون الفعل مهموزاً أُجرى مجرى المعتل.** وهكذا صحّ في قرأت، قريت، وعند تجريده من التاء رسم قرا بالألف الطويلة، وكان الأحق أن يكون مقصوراً (قرى) ومثل ذلك قولنا: أبطا بدل (أبطى)[3].

ز ـ ومن هذه المواضع جواز رسم المقصور في مذهب فريق من اللغويين ممدوداً من مثل كتابة (الحلوى، الزّنى): الحلوا، والزِّنا.

وفيما يلي مقطع من قصيدة ابن مالك التي أثبت فيها الأفعال التي وردت بلغتي: المقصور والممدود[4]:

---

(١) في قوله: مانها معنيان: قريب ليس هو المقصود من مان يمون فلاناً إذا نهض بحاجته بدافع المروءة. أما المعنى البعيد المقصود فهو أن ممدوحه لأصالته في الكرم والعطاء لم يمنع ذاته عن النوال، والأصل في نهى أن ترسم بالياء لكنّ المشاكلة في التورية اقتضت أن ترسم بالألف.

(٢) إن لفظة وهاشم مؤلفة أصلاً من: فعل (وهى، يهي) وهو فعل مقصور بمعنى ضعف، ومن فعل الأمر (شِم) من شامَ المطر والبرق، إذا نظره وقد كتب (وهى) بالألف الطويلة لتكتب الكلمة المركبة وهاشم المعطوفة على عبد شمس وبهذا يتحقق اللغز.

(٣) والأصل: أبطأت: أبطيت، وبالتجريد أبطى ومع ذلك جعل ممدوداً.

(٤) وهي الأفعال التي جعلها بارزة في النصّ المذكور. والقصيدة عند ابن مالك في حدود الخمسين بيتاً، اكتفينا منها بالأبيات أعلاه لمجرد الدلالة العامّة وقد زاد بعضهم على ما أورده ابن مالك أفعالاً أخرى في أكثر من مقطوعة شعرية، اكتفينا بالإشارة إليها دفعاً للإطالة.

قل إن نسبت عَزوته وعزيته ... وكنوت أحمد كنيةً وكنيته
وطفوتُ في معنى طفيتُ ومَنْ قَنَى ... شيئاً يقول قَنوتة وقَنيته
ولَحَوْت عوداً قاشراً كلحيتُه ... وحنوته عَوَّجته وحَنَيته
وقَلَوته بالنار ثم قَلَيْته ... ورثوت خِلاً مات مثل رثيته...

وفيما يلي المزيد من هذه الأفعال التي ترسم بالألفين الممدودة والمقصورة وهي جميعها من قصيدة ابن مالك الآنفة الذكر:

أثا: أثى - **شأا**: شأى - **صغا**: صغى - **حلا**: حلى
سخا: سخى - **طها**: طهى - **جبا**: جبى - **خزا**: خزى
زقا: زقى - **محا**: محى - **حثا**: حثى - **سحا**: سحى
طلا: طلى - **نقا**: نقى - **هذا**: هذى - **مأا**: مأى
نما: نمى - **حشا**: حشى - **أتا**: أتى - **منا**: منى
أسا: أسى - **أدا**: أدى - **بها**: بهى - **غطا**: غطى
جثا: جثى - **دأا**: دأى - **حفا**: حفى - **حبى**: حبا
خدا: خدى - **دها**: دهى - **دحا**: دحى ... **وغيرها**.

(١) بيّنا سابقاً أن الألف تكتب مقصورة إذا كانت مقلوبة عن ياء وتكون ممدودة إذا كانت مقلوبة عن «واو».

كيفية التمييز
بين المقصور والممدود في الأسماء والأفعال

تناول اللغويون في بحوثهم السبل التي تعرف بها مواضع الألف اللينة الممدودة والمقصورة في الأسماء والأفعال، وفيما يلي أهم هذه السبل.

أولاً: في الأسماء:

يمكن تحديد الأصل «**الواوي**» و«**اليائي**» في الأسماء، بإحدى الطرق التالية:

١ ــ **بتثنية الثلاثي من الأسماء** نحو: فتى، فَتَيان، عصا: عَصَوان.

٢ ــ **بصيغة الجمع** مثل: رَحَى: رَحَيات، وفَتَى: فِتْيان، وكذلك مَهَا: مَهَوات، وعَصَا: عَصَوات.

٣ ــ **بتحديد الصفة المؤنثة**: **عُلَى**: **عَلْياء**.

٤ ــ **بالرجوع إلى صيغة المفرد** مثل عرا: عروة، بُنىً: بنية.

ثانياً: في الأفعال:

ومن الطرق المعتمدة لتحديد «**الواوي**» و«**اليائي**» في الأفعال الثلاثية ما يلي:

١ ــ **إسناد الفعل إلى ضمير الفاعل** مثل: دنا: دنوت، دَنَوا ـ ورمى: رميت، رَمَيا رمُوا ـ عدا: عدَوَا، عدوا...

٢ ــ التحوّل إلى صيغة المضارع نحو: سما: يسمو ـ ورمى: يرمي.

٣ ــ اشتقاق المصدر أو اسم المرّة، أو اسم الهيئة:

أ ــ المصدر، مثل: حَنَا: الحنوّ ـ مَشَى: المشي.

ب ــ اسم المرّة، مثل: جفا: الجفوة ـ شَوَى: الشيَّة.

ج ــ اسم الهيئة، مثل: رنا: رنوة ـ جنى: جنية.

الفصل الثامن

مواضع الإبدال بالألف

١ نماذج بيانية

١ ـ قالوا: سقط القائد في المعركة فقلت: **يا حسرتا، يا أسفا.**

٢ ـ قالت زوجةُ العزيز، حين رفض يوسف عليه السلام ٱلانصياع لرغبتها: «لَئِنْ لم يفعَلْ ما آمُرُه لَيُسْجَنَنْ وَلَيكوناً مَن ٱلصّاغرين»[1].

٣ ـ قال النابغة في «اعتذارياته»، لملك النّعمان، مُتبرِّئاً من الاتهام الذي وجّه إليه:

ما قُلْتُ من سَيءٍ مِمّا أُتيتَ به   إذاً[2]، فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ يَدِي
إذاً فعاقَبَني ربّي مُعَاقَبَةً   قَرَّتْ بها عَيْنُ مَنْ يأْتيكَ بالفَنَدِ

٤ ـ قال الجاحظ في وصف الكتاب: «وَٱلكِتابُ وعاءٌ مُلِيءَ عِلْماً، وظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً، وإناءٌ شُحِنَ مُزاحاً وجِدّا».

(١) القرآن الكريم: سورة يوسف: الآية ٣٢.
(٢) ما قلت: جواب القسم: إذاً.. أي إن كنت كاذباً ـ فليشل الله يدي... وليعاقبْني عقاباً قاسياً تقرّ له عين الأعداء الذين يأتونك بالكذب.

٢ دراسة هذه النماذج

في جميع النماذج السابقة، يتضح للدارس، أن الألف اللينة في الكلمات البارزة: **حَسْرتا، أسفا، وليكوناً، إذاً، وجدّا** إنّما هي مبدلة من لفظ آخر، وعلى النحو التالي:

أ ـ **في النموذج الأول**: أبدلت الألف من ياء المتكلم. فقولنا: **يا أسفا، ويا حسرتا، هو في الأصل: (أسفي، حسرتي)**.

ب ـ **وفي النمودج الثاني**: «**وليكوناً**»، جاءت الألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة (وليكونَنْ).

ج ـ **وفي النموذج الثالث**: تعتبر ألف «**إذن**» مبدلة من «**نون**» أداة النصب، «**إذاً**» بعد أن بطل عملها. والحكم في هذا الإبدال يعود إلى أن «**إذن**» الجوابية، لا تنصب المضارع إلا بشروط ثلاثة وهي:

ـ **أن تتصدر جملتَها.**

ـ **وأن تتّصل بالفعل.**

ـ **وأن يكون الفعل مستقبلاً.**

ويلاحظ أن هذه الشروط ليست متوفرة في النموذج المتقـدّم، ولذلك بطل عملها وأبدلت النون ألفاً(١).

---

(١) ولمزيد من الإيضاح يجب تعداد مذاهب اللغويين في كتابة «إذن» الجـوابية **فـالكوفيـون يكتبونها نوناً بصورة مطلقة** للتمييز بينها وبين إذا الفجائية والظرفية.
أما البصريون فيكتبون النون ألفاً في حالتي النصب أو بطلانه. **أما الفرّاء فيكتبها بالألف** إذا أعملها، وبالنون إذا ألغاها.
وأما المبرّد فيعترض على كتابتها بالألف ويذكر أنه قال: **كم أشتهي أن أكوي يد من يكتبها** بالألف لا تختلف عن اداتي النصب: أو، ولن.

د ــ وفي النموذج الرابع، يُلاحظ أنّ الألف في لفظة «جداً» إنما هي مبدلة من تنوين النصب. فبينما ظهر هذا التنوين في كلمتي: **علماً، وظرْفاً،** بدا أنه حذف في كلمة «جدّا» واستبدل بالألف، لأن العرب في حالة الوقف تحذف التنوين وتستبدله بالألف اللينة.

٣ ونلخّص مواضع الألف المبدلة من صورة ثانية، على النحو التالي:

أ ــ **الألف المبدلة من ياء المتكلم،** كما في قولنا: **يا حسرتا.**

ب ــ **الألف المبدلة من نون «إذن»،** كما في بيتي النابغة المتقدّمين: «**إذاً**» فعاقبني.

ج ــ **الألف المبدلة من نون التوكيد الخفيفة،** كما في الآية الكريمة: ﴿**وليكوناً**﴾.

د ــ **الألف المبدلة من تنوين النصب،** كما في عبارة الجاحظ الآنفة... شحن مزاحا و «**جدّا**».

الفصل التاسع

في التاء المربوطة والمبسوطة

التاء المربوطة

هي التي تبدل في الوقف هاءً، بخلاف التاء المبسوطة التي لا تبدل هاءً، كما سنرى في النموذج البياني التالي

١ نموذج بياني

آيات العلم في القرآن الكريم

لَو أُطلق لِلْعُلماء عِنانُ التّدقيق وحريةُ الرأي، والتأليفِ، كما أطلقَ لأهلِ التأويلِ والخرافاتِ، لرأوا في أُلوف من آياتِ القرآن ألوفَ آياتٍ من الإعجاز، وفي هذا قولُه تعالى: ﴿ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلّا في كِتابٍ مُبين﴾[1].

ومثالُ ذلك أن العلمَ كَشَفَ في هذهِ القرونِ (الأخيرةِ) حقائقَ وطبائعَ (كثيرةً) تُعْزى لِكاشِفيها ومخترعِيها من علماءِ أُوروبا وأمريكا. والمدقّقُ... يجدُ أكثرَها وَرَدَ التَّصريحُ أو التلميحُ به في القرآنِ منذ

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(ثلاثة) عشر قرناً. وما بقيَتْ (مستورةً) تحتَ غِشاءٍ مِنَ ٱلخفاءِ إلا لتكونَ عندَ ظهورِها (معجزةً) للقرآنِ (شاهدةً) بأنَّه كلامُ ربٍّ لا يعلمُ ٱلغيبَ سواه.

... وكشفوا أنَّ الكائناتِ في (حركةٍ) (دائبةٍ)، والقرآنُ يقولُ: «و (آيةٌ) لهم الأرض (الميْتةُ) أحييناها»(١).

... وحقّقوا أن الأرضَ (منفتقةٌ) في ٱلنِّظامِ ٱلشمسيّ، والقرآنُ يقول: «أن السمواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما»(٢).

... وحقّقوا أنَّ ٱلقمرَ منشقٌّ من الأرضِ ، والقرآنُ يقول: «اقتربتِ (الساعةُ) وٱنشقَّ ٱلقمر»(٣).

وحقّقوا أن طبقات الأرض سبعٌ، والقرآنُ يقول: ﴿الله الذي خلقَ سَبْعَ سَمَواتٍ ومن ٱلأرْضِ مثلهُنّ﴾(٤).

وكشفوا ناموسَ اللِّقاح العامِ في ٱلنّباتِ، والقرآنُ يقول: ﴿خَلَقَ الأزواجَ كلَّها مما تنبِتُ الأرضُ..﴾(٥)، ويقول: ﴿وٱهتزَّتْ وربَتْ وأنبَتتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ﴾(٦).

عبدالرحمن الكواكبي
«طبائع الاستبداد»

---

(١) القرآن الكريم: سورة يس: الآية ٣٣.
(٢) القرآن الكريم سورة الأنبياء: الآية ٣٠.
(٣) القرآن الكريم، سورة القمر: الآية ١.
(٤) سورة الطلاق: الآية ١٢.
(٥) سورة يس: الآية ٣٦.
(٦) سورة الحج: الآية ٢٢.

٢ دراسة النموذج

لدى تأملك في النص السابق، تجد مجموعتين من الكلمات البارزة: تشمل الأولى عدداً من الأللفاظ الواقعة بين هلالين، وهي: **حريّة، الأخيرة، كثيرة، ثلاثة، مستورة، معجزة، شاهدة، حركة، دائبة، آية، الميتة، منفتقة...**

وتشمل الثانية الألفاظ التالية: **الخرافات، آيات، بقيَتْ، الكائنات، السموات، اقتربَتْ، طبقات، النبات، تنبتُ، اهتزّتْ، ربَتْ، أنبَتت.**

إذا عاينت كلمات **المجموعة الأولى** تلاحظ أنها جميعاً منتهية بالتاء المسمّاة «**التاء المربوطة**»، وبوسعك التثبت أن هذه التاء في الكلمات المذكورة يمكن في حال الوقف أن تستبدل بـ«**الهاء**»، وهي «هاء التأنيث» مادامت غير متعلّقة بالضمير.

فإذا انتقلت إلى كلمات **المجموعة الثانية** وجدت أنها تنتهي بالتاء المسمّاة «**المبسوطة**» وبدا متعذّراً استبدال هذه التاء في حال الوقف بـ«**الهاء**».

والآن نتساءل ما هي المواضع التي تكون فيها «**التاء مربوطة**» وتلك التي تكون فيها مبسوطة؟ وبالرجوع إلى مصادر اللغة وأصولها أمكننا حصر مواضع كلّ من هاتين «التاءين» بالتالية:

٣ مواضع التاء «المربوطة»(١)

تقع «التاء المربوطة» ـ وهي التي تبدل في الوقف بـ «هاء التأنيث»(٢) ـ في المواضع التالية:

١ ـ في أواخر الأسماء الدالّة على صفة مؤنثة، كما في لفظة «**عاكفة**» البارزة في قول أبي تمام:

ضَوْءٌ من النّار والظّلماءُ عاكفةٌ وظلمةٌ من دُخانٍ في ضحىً شَحِبِ

٢ ـ في أواخر الأسماء المفردة غير الثلاثية الساكنة في وسطها، كما في لفظة «**رائحة**» البارزة في قول الشريف الرّضي:

هبَّتْ لنا منْ رياحِ ٱلغوْرِ رائحةٌ بعدَ الرُّقاد عَرَفْناها بِرَيَّاكِ

٣ ـ في أواخر جموع التكسير التي لا تنتهي في المفرد بتاء طويلة، كما في لفظتي «**نهاة**» و «**الغواة**» البارزتين في خطبة زياد بن أبيه حين قال مخاطباً أهل البصرة: «ألم يكن منكم **نهاةٌ** تمنعُ **الغواةَ** عن دلج الليل وغارة النّهار».

٤ ـ في أواخر أسماء العلم العربية (غير الأعجمية)، من مثل لفظة «**حمزة**» الواردة في قول عبيدالله بن قيس الرقيّات:

وقتيلُ الأحزاب حمزةُ مِنّا، أسدُ الله والسّناءُ سناءُ.

٥ ـ في أواخر الأسماء على وزن فعّالة من صيغ المبالغة كما

---

(١) وهي بخلاف التاء المبسوطة، تاء قصيرة.

(٢) لا تنقط «هاء التأنيث» إذا وردت في الكلام المنظوم أو المسجوع كما هو واضح في الحديث التالي: «أعوذ بكلمات الله التامّه، من كل شيطان وهامّه ومن كل عين لامّه».

في لفظة «حمّالة» البارزة الواردة في الآية الكريمة التالية: ﴿تبّت يدا أبي لَهَبٍ وَتَبْ. . . وامرأتُهُ حمّالةُ ٱلحَطَبِ﴾[1].

٦ ــ في «ثمة» الظرفية المفتوحة الأول[2]، والبارزة في قولنا: رستْ بنا السَّفينةُ في ٱلميناء، وكان ثَمَةَ حشدٌ من ٱلمستقبِلين بينهم الأهلُ وٱلخِلّان.

٤ مواضع التاء المبسوطة

تقع التاء المبسوطة وهي تاء التأنيث الطويلة، التي لا تبدل في الوقف «هاءً» في المواضع الآتية:

١ ــ في جمع المؤنث السالم، كما في لفظتي: «هنآت» و«آبيات» البارزتين في قول البحتري:

وقـديمـاً عهـدتَني ذا هَنـاتٍ آبيـاتٍ على الـدّنيّـات شُمْسِ

٢ ــ في الجموع الملحقة[3] بجمع المؤنث السالم ولو كانت صفة لمذكر، كما في الألفاظ البارزة التالية:

عرفات، أذرعات، زينبات، ثقات.

٣ ــ في آخر الأسماء الثلاثية الساكنة الوسط، شرط أن تكون

---

(١) القرآن الكريم، سورة تبّت: الآية ٤.

(٢) وهي غير ثُمتَ العاطفة المبسوطة التاء.

(٣) ألحق بجمع المؤنث السالم ألفاظ لها مَعْنى الجمع، ولكن ليس لها مفرد من لفظها مثل «أولات»، مفردها ذات ومعناها صاحبات، كأن تقول هؤلاء الشواعر أولات براعة وذوق جمالي، ومثلها اللات وهي اسم موصول لجمع الإناث، كقولنا: الأمهات اللات حضرن. . ومما ألحق بجمع المؤنث أيضاً مثل عرفات (جبل في مكة) وأذرعات اسم قرية بالشام، وكذلك ما صار علماً لمذكر أو مؤنث مثل: عنايات، نعمات، سعادات.

التاء من أصل الكلمة كما في لفظة «**بنت**» البارزة في قول خليل مطران:

بنتُ آلوزير أَتَتْ لتشهدَ قتله   وتَرى السّفاه من آلرشَاد مُدالا

ولفظة «**موت**» البارزة في قول المتنبي:

إذا شئتُ حفّتْ بي على كلّ سابحٍ   رجالٌ كأنَّ **الموتَ** في فمِها شَهْدُ

٤ ــ في الأفعال المنتهية بتاء التأنيث الساكنة، كما في الكلمات البارزة في قول المتنبي مفتخراً:

تمرّستُ بالآفاتِ حتَّى **تركتُها**   تقولُ **أماتَ** الموتُ أمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ
وأقدمْتُ إقدامَ الآتيّ كأنَّ لي   سِوى مُهْجَتي أو كأنَّ لي عندها وِتْرُ

٥ ــ في أواخر الكلمات إذا سبقت تاؤها بواو ساكنة أو ياء ساكنة، كما في «جبروت» ولفظة «بيروت» البارزة في قول خليل مطران:

أعرْني ثغرَ «**بيروت**» ابتساماً   أصُغْ فرضَ الجميل من آبتسامِ

٦ ــ في أواخر أسماء العلم الأعجمية، كما في: برنادوت، و «شارلوت» و «روزفلت» و «هنرييت».

٧ ــ في أواخر جموع التكسير ذات المفرد المنتهي بالتاء الطويلة، كما في: بيوت، نعوت، صيوت[1].

٨ ــ في اسم الفعل «هات» (وهو للأمر)، واسم الفعل «**هيهات**» أي بعد (وهو للماضي).

---

(١) مفردها على التوالي: بيت، نعت، صيت.

٩ ــ في تـاء الحـروف الآتيـة: لاتَ، ليتَ، لعلّت، ثمّت، ربّت(١).

١٠ ــ في فعلي المدح والذم، إذا كان الفاعل مؤنثاً مثل قولنا: بئستِ ٱلحيـاة إذا كانتْ ذليلةً، ونعِمتِ ٱلثـروةُ إذا أُنفقت في وجـوه الخير.

---

(١) وهي بارزة في:

أ ــ الآية الكريمة: لات حين مناص.

ب ــ في قول الشاعر: ألا ليت الشباب يعود يوماً...

ج ــ لعلّت (من أخوات إنّ، وبمعنى لعلّ.

د ــ ثُمت (بضم التاء) وهي من حروف العطف.

هـ ــ ربّت وهي حرف جر مثل ربّ.

تطبيقات

في كتابة الألف والهمزة و «التاء»

١ وطن النجوم

وطنَ النُّجومِ، أنا هُنا حدّقْ، أتذكرُ من أنا؟
أَلَمحتَ في الماضي البعيدِ فتىً غريراً أرْعَنا
جذلان يمرح في حقو لكَ كالنَّسيم مُدَنْدِنا

●

المُقْتَنى المَمْلُوكُ مَلْعَبُهُ وَغَيرُ المُقْتَنى
يَتَسَلَّقُ الأشْجارَ لَا ضَجَراً يُحِسُّ ولاَ وَنى
وَيَعُودُ بِالأَغْصانِ يَبْرِيْهَا سُيُوفاً أوْ قَنا
وَيَخُوْضُ فِي وَحْلِ الشِّتَاءِ مُهَلِّلاً مُتَيَمِّنَا
لا يتقِي شَرَّ الْعُيُونِ وَلاَ يَخَافُ الأَلْسُنَا
ولَكَمْ تَشَيْطَنَ، كَيْ يَدوْرَ الْقَوْلُ عَنْهُ تَشَيْطَنَا!

●

أنَا ذَلِكَ الوَلَدُ الَّذي دُنْيَاهُ كانتْ هَا هُنَا
أنَا مِنْ مِيَاهِكَ قَطْرَةٌ فَاضَتْ جَدَاوِلَ مِنْ سَنا
أنَا مِنْ تُرَابِكَ ذَرَّةٌ مَاجَتْ مَوَاكِبَ مِنْ مُنى

أَنـا مِنْ طُيُـورِكَ بُـلْبُـلٌ   غَنَّى بِمَجْـدِكَ فَـٱغْتَنى
حَمَـلَ ٱلـطَّلاَقَـةَ وَٱلْبَشا   شَةَ مِنْ رُبُـوعِـكَ لِلدُّنى

●

كَمْ عَـانَقَتْ رُوحي رُبَـاكَ وَصَفَّقَتْ في ٱلـمُنْـحَنَى
لِـلبَـحْـرِ يَـنْـشُـرُهُ بَـنُـوكَ حَضَـارَةً وَتَـمَـدُّنَـا
لِلَّيْـلِ فِيْـكَ مُصَلِّيـاً، لِـلصُّبْـحِ فِيْـكَ مُـؤَذِّنَـا
لِلشَّمْسِ تُـبْـطِىءُ في وَدَاعِ ذُرَاكَ كَـيْ لاَ تَحْـزَنَـا
لِلبَـذْرِ في نَيْسَـانَ يَكْحَـلُ بِـٱلـضِّيَـاءِ ٱلأَعْـيُنَـا
فَيَـذُوبُ في حَـدَقِ ٱلْمَهَـا سِحْـراً لَـطِيفـاً لَيِّنَـا
لِلحَقْـلِ يَـرْتَجِـلُ ٱلـرَّوائِـعَ زَنْبَقـاً أو سَـوْسَنَـا
لِـلْعُشْـبِ أثْقَـلَهُ النَّـدَى لِـلْغُـصْـنِ أثْـقَـلَهُ ٱلْـجَنَى
عـاشَ ٱلْجَمَـالُ مُشَـرَّداً في الأَرْضِ يَنْشُـدُ مَسْكِينَـا
حَتَّى ٱنْـكَـشَـفَـتْ لَـهُ فَـأَلْـقَـى رَحْـلَهُ وَتَـوَطَّـنَـا
وَٱسْتَعْـرَضَ ٱلْفَنُّ ٱلْجِبَـالَ فَكُنْـتَ أنت الأحْـسَنَـا

إيليا أبو ماضي

أسئلة للمعالجة

(١) المجموعة الأولى:

١ ـ استخرج من النص الكلمات التي تتوسطها الألف اللينة، وميّز بين الألف المتوسطة بالأصالة، والمتوسطة عَرَضاً.

نموذج: الماضي (الألف متوسطة بالأصالة)، رُباك (الألف متوسطة عرضاً).

٢ ـ عيّن مواضع الألف المتطرفة في النصّ.

نموذج: **أنا**: (الألف في الضمير «أنا» متطرفة).

٣ ــ ميّز بين الألف المتطرفة المقصورة، والمتطرفة الممدودة في الكلمات التي حدّدتها في الإجابة السابقة.

نموذج: **أنا**: (الألف المتطرفة ممدودة) ـ فتى: (الألف المتطرفة مقصورة).

٤ ــ ما هو سبب كتابة الألف المتطرفة «مقصورة» في الألفاظ التالية؟:

فتىً ـ المقْتَنَى ـ وَنَى ـ مُنَى ـ غَنَّى ـ اغْتَنَى ـ الـدُّنَى ـ المنْحَنى ـ المهـا ـ النَّدى ـ الجنى ـ ألْقى.

نموذج: **فتى**: (الألف متطرفة مقصورة لأنها مقلوبة عن ياء بدليل أنّها في المثنى: «فَتيَان»، وفي الجمع: «فِتْيان»).

٥ ــ ما هو سبب كتابة الألف المتطرفة «ممدودة» في الكلمات الآتية:

أنا ـ هُنا ـ قَنا ـ مُتَيَمِّناً ـ لا ـ سَنا ـ المها.

نموذج: **أنا**: (ألفها المتطرفة ممدودة لأنها ضمير).

٦ ــ ما هي الأسماء المنوّنة المنصوبة الواردة في النّص، وكتبت ألفها ممدودة؟

نموذج: **تمدّنا** (الألف ممدودة لأن الاسم لحقه تنوين النصب).

٧ ــ اذكر الألفاظ التي لحقتها ألف الإشباع الممدودة في النصّ، مبيناً السبب في ذلك.

نموذج: **الألسنا** (الألف هنا ألف الإشباع لأن حرف الرويّ ـ وهو النون ـ مفتوح).

٨ ــ أعرب الكلمات البارزة المنتهية بألف ممدودة، أو مقصورة، حسب موقعها في النص.

نموذج: **أنا**: ضمير متصل مبني في محل رفع مبتدأ.

٩ ــ ما هي الكلمات المهموزة الوسط والآخر، في النص؟ حدّد موضع الهمزة وبين القاعدة في ذلك.

نموذج: **الشتاء** (الهمزة متطرفة كتبت مستقلة لأنها مسبوقة بالألف الساكنة).

١٠ ــ عيّن الألفاظ المهموزة الأول، والتي بقيت فيها الهمزة على صورتها بعد أن سبقت بحروف مثل واو العطف والفاء وسواهما؟

نموذج: **أشجار**: موضع الهمزة هنا في أول الكلمة، سبقت بـ«ال التعريف» وبقيت على حالها: الأشجار.

أسئلة للمعالجة

(٢) المجموعة الثانية:

١ ــ **ميّز بين الألف اللينة التي توسّطت بالأصالة**، والتي ورد توسّطها **عرضاً** في المفردات التالية:

قاتل ـ أطاعوا ـ كاد ـ كافّة ـ رؤاي ـ حرام ـ
يخشاه ـ المال ـ إلام ـ هالك ـ القاسطون ـ
قِسطاس ـ باصرة ـ حتام ـ سافل ـ باسط ـ
مائل ـ بمقتضام ـ مارق ـ بارعون.

٢ ــ اختر من مفردات السؤال الأول خمس كلمات **ألفها المتوسطة بالأصالة** وخمس كلمات **ألفها المتوسطة عرضية**، وأدخل كلًّا منها في جملة مفيدة.

٣ ــ بيّن سبب كتابة **الألف المتطرفة مقصورة أو طويلة** في الكلمات التالية:

مَضَى ـ لدى ـ أنا ـ عدا ـ منتدى ـ مصطفى ـ
كرى ـ عصا ـ النّهى ـ دارا ـ يحيى ـ مها ـ
دنايا ـ ألا ـ على ـ شأى ـ الرؤى ـ صغرى ـ
يحيا ـ بلى ـ الألى ـ تبارى ـ تناءى ـ عيسى ـ
حيفا ـ بخارى ـ متّى ـ متى ـ إلا ـ ارتضى ـ
اعتلى ـ تداعى.

٤ ــ اضبط بالشكل التام الكلمات التالية، ثم بيّن القاعدة في كتابة الهمزة المتوسطة الواردة فيها:

فؤوس ـ رئـال ـ سؤال ـ سأل ـ ذئب ـ وأد ـ
وئـد ـ بؤرة ـ بئـر ـ المـوءودة ـ العبـاءة ـ
دؤوب ـ قؤول ـ فؤاد ـ رئبـال ـ قـراءات ـ
مشؤوم ـ هيأة ـ مشيئة ـ لؤلؤ ـ نؤوم ـ سئم ـ
سـأم ـ شأن ـ رديئـة ـ مائـة ـ فأل ـ جؤجؤ ـ
شؤون ـ أسئلة ـ تفاؤل ـ أفئدة.

نموذج: فُؤُوس: الهمزة متوسطة مضمومة وما قبلها مضموم، وهي لذلك ترسم على الواو (انظر أحكام الهمزة المتوسطة).

٥ ــ اضبط بالشكل التّام الكلمات الواردة لاحقاً، وبيِّن القاعدة في كتابة همزتها المتطرفة:

نداء ـ نتوء ـ ملء ـ درأ ـ سماء ـ آناء ـ بطء ـ
قـارىء ـ نشأ ـ مـرافىء ـ بـريء ـ امـرؤ ـ
أضواء ـ نواتىء ـ باريء ـ ملأ ـ تبوأ ـ إنشاء ـ
تبـرؤ ـ أنـواء ـ أجـلاّء ـ بـذيء ـ مهيّـأ ـ
جريء ـ برء ـ كساء ـ وضوء.

نموذج: نداء: الهمزة متطرفة ما قبلها ألف ساكنة وهي لذلك تكتب مستقلة (انظر أحكام الهمزة المتطرفة).

* * *
* * *

٢ في الشتاء

قدم الشتاء بثلوجه وعواصفه، وخلت الحقول والأوديـة إلّا من الغربان الناعبة والأشجار العارية، فلزم سكان القرية أكواخهم بعد أن **أشبعوا** أهراءهم من الغلّة وملأوا **آنيتهم** من عصير الكروم، وأصبحوا **يغنون** الحياة متذكّرين مآتي الأجيال الغابرة.

توارى النور **الضئيل**، وغمرت الظلمة البطاح والأودية، وابتدأت الثلوج تنهمـر بغزارة، والعـواصف تصفّر **حـاملةً** الثلوج **لتخزنهـا في** الوهاد، فترتعش لهولها الأشجار، وتتململ أمامهـا الأرض. ومزجت الأرياح بين **ما** تساقط من الثلج من ذلك **النهار** والساقط منه **في** تلك **الليلة**، حتى أصبحت الحقـول والطلول والممـرّات **كصفحـة واحـدة** بيضاء يكتب عليها الموت سطوراً مبهمة ثم يمحوها. توارت الأنوار الضئيلة التي كانت تشعشع في نوافذ البيوت والأكواخ الحقيرة. وقبض الـرعب على نفوس **الفـلاحين**، وانـزوت البهـائم بقـرب المعـالف، واختبأت الكلاب في القراني، ولم يبقَ **سوى** الريح تضجّ على مسامع الكهوف فيتصاعد صوتها الرهيب من أعماق الوادي **تارة**، وطوراً ينقضّ من أعالي قمم الجبال. . .

وخمدت النار في الموقد، وتحـوّلت إلى رماد، ثم جفّ زيت السّراج فشحَّ نوره ببطء ثم انطفأ. وظلّت العاصفـة الغضوب تضـجّ خارجاً، والجوّ القاتم ينير رقع الثلوج، والأرياح العنيفة تقذفها **يميناً وشمالاً**.

«جبران خليل جبران»

أسئلة للمعالجة

في ضوء النص السابق:

١ ـ ضع خطاً تحت الألفاظ المنتهية بالتاء القصيرة (المربوطة) وخطَّيْن تحت الألفاظ المنتهية بالتاء الطويلة (الممدودة).

٢ ـ عيِّن الكلمات المهموزة الواردة في النص، وعلّل كتابة الهمزة فيها.

٣ ـ حوّل الكلمات التالية إلى صيغة الجمع:

الناعبة، العارية، أهراء ـ الغلّة ـ الغابرة ـ
الظلمة ـ صفحة ـ صوت ـ رقع ـ الوادي.

٤ ـ أرجع الجموع التالية إلى صيغة المفرد:

ثلوج ـ عواصف ـ الحقول ـ الأودية ـ
الغربان ـ الأشجار ـ أكواخ ـ الأجيال ـ
البطاح ـ الوهاد ـ الأرياح ـ الطلول ـ
الممرّات ـ سطور ـ الأنوار ـ البهائم ـ
المعالف ـ الكلاب ـ القراني ـ أعماق.

٥ ـ أعرب الكلمات البارزة في النص حسب موقعها في الكلام.

* * *
* * *
*

٣ البطتان والسلحفاة

زعموا أن غديراً كان عنده عُشب، وكان فيه **بطّتان**. وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين **البطّتين** مَوَدَّةٌ وصداقة. فاتفق أن غِيض **ذلك** الماء، فجاءت البطتان لوداع **السلحفاة**، وقالتا: **السلام عليك، فإننا ذاهبتان** عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه. فقالت: إنما يبين نقصان الماء على مثلي التي كأنّي **السفينة**، لا أقدر على العيش إلا بالماء، فأما أنتما فتقدران على العيش **حيث** كنتما، فاذهبا بي **معكما**. قالتا: نعم. قالت: **كيف السبيل إلى حملي؟ قالتا: نأخذ بطرفَي عود**، وتقبضين **بفيك** على وسطِهِ، ونطير بك في الجوّ. وإياكِ **إذا** سمعت الناس يتكلّمون، أن تنطقي! ثم أخَذَتاها **فطارتا** في الجوّ. فقال الناس: عجبٌ سلحفاة بين بطتين حملتاها! فلمّا سمعت ذلك قالت: **فقأ الله** أعينَكم أيُّها الناس!

فلما فتحت فاها بالنطقِ، وقعت على الأرض فماتت.

أسئلة للمعالجة

في ضوء النصّ السابق:

١ ــ أعرب الكلمات البارزة.

٢ ــ صرّف الجملة التالية تصريفاً كاملاً في الإفراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث:

ــ وقع على الأرض.

٣ ــ عيِّن الكلمات المهموزة وعلّل موضع كتابة الهمزة فيها.

٤ ـ ما هي الكلمات المنتهية بالتاء المربوطة؟

٥ ـ عيِّن الكلمات التي تنتهي بتاء طويلة ممدودة.

القسم الثاني

في الزيادة بعامّة والحروف التي تزاد

الزيادة

على نحو عام من لوازم الدقة في الكتابة والتمييز بين الفعل والاسم ولتجاوز الأشكال واللبس وغير ذلك من الدواعي والأسباب التي ستتضح في مواضعها من فصول هذا الباب. وأما الحروف التي تزاد فهي: الألف، الواو، الياء.

وسنتناول الكلام عليها في الفصول التالية.

الفصل الأول

مواضع زيادة الألف

«ألف الفصل وألف الإطلاق»

تزاد الألف

في موضعين: في وسط الكلمة، وفي آخرها، فتكون وسطاً حيناً، وحيناً طرفاً كما سيتضح في نماذج الدرس البيانية.

١ نماذج بيانية

١ ــ قال النابغة في داليّته الاعتذارية من أبيات وصف بها حكم زرقاء اليمامة(١):

فكمّلتْ مائةً فيها حمامتُها وأسرعتْ حِسْبةً في ذلك العدد

٢ ــ قال ابن المعتز يصف تعذيب الولاة للشعب، خلافاً لأحكام الشريعة:

---

(١) ضرب بها المثل في أحكام النظر والإصابة في الحكم. وقيل إنها رأت جماعة من القطا طائرة، وكان لها قطاة فقالت: ليبت ذا القطا لنا مع نصفه، إلى قطاتنا فيتم لنا مائة، فنظروا فإذا عدد القطا ست وستون كما قالت.

وأسـرَفُـوا في لَكْمِـه ودفْعِـه　　وانـطلقَتْ أكفّهم فـي صَفْعِـهِ

٣ ــ وقال خليل مطران في مناسبة تأسيس الجمعية التشريعية من قصيدة بعنوان «وصايا انتخابية»:

بـايعـوا العلم والفضيلة فيـهِ　　أيّـدوا كـلّ عـاقـل ونـزيـه
حـاذروا فـي اختيـاركـم أن　　تراءوا حاذروا أن يسوَّد الأغْبياء

٤ ــ وقال الأخطل مادحاً بني أمية:

لمْ يأشروا فيهِ إذ كانـوا مواليَـه　　ولو يكونُ لقـومٍ غيرهم أشـرُوا

٥ ــ قال ابن زيدون:

غيظَ العدى من تساقينا الهوى فدعوا　　بـأن نغصّ فقـال الـدهـر: آمينـا

٢ دراسة النماذج

إذا تأملنا الأبيات السابقة لاحظنا كيف زيدت الألف في الكلمات البارزة التالية:

مائة ـ أسرفوا ـ بايعوا ـ أيّدوا ـ حاذروا ـ (تراءوا ـ آمينا.

فما هو تعليل هذه الزيادة؟:

ــ زيدت الألف في وسط كلمة «مائة» للتمييز بينها وبين «منة» و «مية»(١). وروعيت هذه الزيادة أيضاً في مركبات هذا العدد من مثل مائتين، ثلاثمائة، أربعمائة، خمسمائة، حتى . . . تسعمائة.

---

(١) كانت هذه الزيادة عند الأقدمين قبل استعمال النقط والشكل. واليوم زالت ولا شك هذه الضرورة، ويمكن أن تكتب «مئة» كما تكتب لفظة «فئة»، سواء في الإفراد أو في التركيب.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الألف لا تلحق صيغة الجمع فتكتب «مئات» و«مئين» بدون ألف.

ـ كذلك زيدت الألف في آخر الكلمة ـ وسميت «**ألف الفصل**» أو «**الألف الفارقة**»(1) ـ فكانت **طرفاً في** حالتين:

● **الأولى** بعد «واو» الضمير، أي «**واو الجماعة**» للتمييز بين هذه الـواو وتلك المسمّاة «**واو النسق**»، وذلـك في الفعـل **المـاضي**، **والمضارع** المنصوب والمجزوم **وفعل الأمر**.كما هو واضح في ألفاظ الأبيات السابقة البارزة: أسرفوا (**صيغة الماضي**) بايعوا (**صيغة الأمر**)، أن تراءوا (**صيغة المضارع المنصوب**) لم يـأشروا (**صيغـة المضارع المجزوم**).

● **الثانية في** آخر البيت العروضي وذلك للإطلاق ولذا سمّيت «**ألف الإطلاق**» كما لاحـظت في لفظة «آمينـا» الواردة في بيت ابن زيدون.

استدراك

لا تزاد «**ألف الفصل**» في المواضع التالية:

ـ **بعد الأسماء الخمسة**: أب، أخ، حم، فو، ذو عندما تكون في حالة الرفع كما في قولنا: **أبو** سليم، **أخو** عمرو، أنت **ذو** أدب، جاء **حمو** عدنان، **فوك** مطبقَ.

ـ بعد «**ذوو**» و«**أولو**» فنقول: هؤلاء ذوو علم وأولو خبرة.

ـ بعد «**الواو**» **المتأتية من الإشباع** مثل: «**همو**» «**أنتمو**».

(1) سمّيت كذلك لأنها تستعمل للفصل أو التفريق بين «**واو الجماعة**» و«**واو**» **جمع المذكر السالم المرفوع المضاف**. بنو العروبة.و «**واو**» **أولو** (جمع الاسم الموصول ذو) أنتم أولو عزم ـ و«**واو**» **المضارع المعتل الآخر** الموج يعلو فوق السفينة.

الفصل الثاني

مواضع زيادة «الواو» و «الياء»

أولاً زيادة «الواو»

تزاد الواو

في وسط الكلمة، فتكون وسطاً في أسماء الإشارة، كما تزاد في آخر الكلمة فتكون طرفاً لتجاوز الإشكال، وسيتضح ذلك في نماذج الدرس البيانية.

١ نماذج بيانية

١ ــ أولى أَرْبابُ ٱلمجد والمروءات وأولاء حلفاء الذلّة والدناءة

٢ ــ وقال الفرزدق:

أولئك آبائي فَجِئْني بمثلِهم إذا جمَعَتْنا يا جريرُ ٱلمجامعُ

٣ ــ وجاء في الآية الكريمة: ﴿بعَثْنا عَلَيْكم عِباداً لنا أُولي بأس شديد...﴾[1].

---

(١) القرآن الكريم: سورة الإسراء: الآية ٥.

٤ ــ كانت المؤمناتُ **أولات** دور في الحرب والجهاد.

٥ ــ أخي الأكبر يزيدني بعامين، وأنا أزيد **أوخيَّ** الأصغر بمثلهما.

٦ ــ وقال قراد بن حبش:

إذا اجتمع العَمْران: **عمروُ** بنُ جابرٍ وبدرُ بن **عَمْروٍ** خِلْتَ ذبيانَ تُبَّعا

٧ ــ وقال الفرزدق يفتخر بأبيه وجده:

وشـيّـد لـي زُرارةُ بـاذخـاتٍ **وعمـرو** الخير إن ذُكـر العمـورُ

٨ ــ لقد لذت بكم أيها القوم بعد لأي، وعليكمو أعتمد في الحفاظ على ذاتي ومقدراتي.

٢ دراسة النماذج

إذا تأملت الكلمات البارزة في أمثلة الدرس، تجد أن كلاً منها قد زيدت «واو» على تركيبها. وهذه **«الواو»** إما **«متوسطة»** كما في: **أولاء ـ أولئك ـ أولي ـ أولات ـ أوخي**، وإما **«متطرفة»** كما في لفظة **«عمرو»** في المثالين الأخيرين. فما هي علّة هذه الزيادة؟

١ ــ تزاد **«الواو»** في **«أولى»** **«المسمّاة إشارية** تمييزاً لها عن **«الألى»** **«الموصولة»**، وكي لا تلتبس كذلك بـ **«إلى»** الجارّة. أما زيادتها في **«أولاء»** و **«أولئك»** الإشاريتين فلأن الواحدة هي ممدودة **«أولى»** المقصورة، والثانية للبعيد.

٢ ــ وتزاد **«الواو»** في **«أولي»** وهي بمعنى أصحاب، كما ترى

في الآية الكريمة (النموذج الثالث) للتمييز بينها وبين «**إلى**» الجارّة و«**إلى**» الاسم الدال على معنى النعمة.

٣ ــ وزيادة «**الواو**» في «**أولات**» بمعنى «صاحبات» فعلى غرار زيادتها في المذكّر «**أولى**» كما تقدّم.

٤ ــ وفي المثال الخامس زيدت «**الواو**» وسطاً في لفظة «**أوخيّ**» لدلالته على الأخ الأصغر ولتمييزه من «**أخي**» الأكبر.

٥ ــ كذلك تزاد «**الواو**» في آخر الكلمة فتكون في هذه الحالة طرفاً، كما ترى في اسم العلم «**عمرو**» (بفتح العين) الوارد في قول الشاعرين قراد بن حبش والفرزدق وذلك للتمييز بينه وبين اسم العلم «**عُمَر**»(١) (والمضموم العين).

٦ ــ كذلك تضاف «**الواو**» بعد ميم الجمع **للإشباع** كما ترى في المثال الثامن من نماذج الدرس.

●

ثانياً: زيادة الياء

لم تكن زيادة «**الياء**» في كلام العرب واسعة الاستعمال كزيادة «**الألف**» أو «**الواو**». وبالرجوع إلى كتب اللغة تبيّنا ما يلي:

١ ــ أن عرب قريش لم يدرجوا على زيادة «**الياء**» في كلامهم.

٢ ــ أن زيادة «**الياء**» وردت محدودة في غير لغة قريش.

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن اسم العلم «عمرو» بالواو لا تلحق به الواو إلا إذا كان غير مضاف لضمير، وغير مقرون بأل وغير مصغّر، وغير منصوب أو منسوب. وإذا اختل شرط مما تقدم لا يبقى سبب لزيادة الواو.

٣ ـ أن العرب الذين مارسوا هذه الزيادة، اقتصروا على إضافتها في «**وسط**» الكلمة لا في آخرها.

٤ ـ أنَّ «**الياء**» زيدت عند هذه الفئة في حالة واحدة: **في الفعل الماضي بين ضمير المخاطبة وضمير الغيبة** كما يلاحظ في العبارة التالية:

لا أنتِ **أطعمتيها ولا سقيتيها** حين **حبستيها** ولا أنت **أرسلتيها**.

واضح زيادة «**الياء**» في الأفعال الماضية الأربعة الواردة في العبارة وهي: **أطعم، سقى، حبس، أرسل**.

ـ ويبدو جليّاً أن «**الياء**» التي زيدت، إنّما وقعت بين تاء المفردة المخاطبة والضمير الدال على الغيبة.

القسم الثالث

في الإنقاص بعامّة
والحروف التي تنقص بخاصّة

الإنقاص

بوجه عام من ضوابط «علم الخطّ القياسي» والمعروف بـ «علم الإملاء» وأما الحروف التي تنقص والتي يتناولها اللغويون في هذا القسم من العلم المذكور فهي: الألف، الواو، الياء، ال، فضلاً عن «الإنقاص» لأغراض تتعلق بـ «رموز الكتابة» المختلفة.

الفصل الأول

مواضع نقص «الألف»

تنقص

الألف في أول الكلمة ووسطها وآخرها، كما سيتضح لاحقاً، وذلك لأغراض تتصل بخصائص العربيّة، وقواعد النطق والكتابة فيها.

١ نقص «الألف» أوّلاً

تنقص الألف أولاً، أي في بدء الكلمة من تركيب عدّة كلمات مثل: (ابن)، (ابنة)، (اسم)، (أل)، (ويل لأمّه) تبعاً للأحكام والاعتبارات التالية:

١ ـ نقص ألف «ابن» و «ابنة»:

ـ تنقص ألف «ابن» وكذلك ألف «ابنة»، **في ثلاثة مواضع:**

أ ـ إذا وقع أحد هذين اللفظين مفرداً وهو نعت، **بين اسمين علمين مباشرين: الأول غير منوّن، والثاني مشهور بالأبوّة،** ولو كانت

هذه الأبوة ادعاءً، أي غير حقيقية، شرط ألا يكون «**ابن**» أو «**ابنة**» عندئذ **في أول السطر**، نحو قولنا:

محمد بن عبدالله، مريم بنةُ عمران.

إيضاحات

ـ يقصد بالاسم العلم، الاسم الموضوع للدلالة على «**العلميّة**» مما هو متداول مثل: **موسى، عيسى، محمد، علي**. وتشمل العلمية أيضاً **الكناية** عنه نحو: فلان بن فلان، وهيّ بن بيّ، وكذلك **الكنيّة التي صدرت بأحد** هذين اللفظين: «**أب**» أو «**أم**» دون سواهما نحو: **أبو كريم، أم عيسى. وأخيراً اللقب والوصف**، ولو بالصناعة شرط الاشتهار. **فاللقب** مثل «**زين العابدين**» **والوصف**: مثل: «**النّابغة**» **والوصف بالصناعة مثل «الحدّاد» «النجّار» «القزاز»**(١).

ـ أما سبب حذف «**الألف**» فمردّه كون الصفة الشديدة الاتصال بالموصوف كالشيء الواحد، وهذا ما سوّغ حذف التنوين(٢) إذا وقع اسم العلم الأول في حالة النصب كأن تقول:

«ناديتُ عليَّ بن أبي طالب»(٣).

ـ **فإذا لم تتحقق شروط حذف ألف «ابن» و«ابنة»**، إما لعدم العلاقة المباشرة بين الاسمين العلمين أو بسبب كون أحد هذين

---

(١) كأن تقول: فلان بن الحدّاد، أو سعيد بن النجار، أو سليم بن القزّاز، فهذه الأسماء هنا أسماء أعلام، وهي صفة مأخوذة من الصنعة.

(٢) وذهب بعض اللغويين إلى وجوب تنوين اسم العلم إذا كان مضافاً إليه ووجوب كتابة ألف ابن إذا كان العلم الموصوف بابن مضافاً نحو قام أبو الحسن ابن زيد.

(٣) حذف التنوين كما تلاحظ في اسم علي مع أنه ورد في حالة النصب.

العلمين ليس مفرداً، أو إذا كان الـوصف في العلمية متصـلاً بالأب الأعلى، وإذا لم تكن الكنية مشهورة **يبطل الحذف، وتثبت الألف**.

ب ــ وتنقص ألف «**ابن**» و«**ابنة**» بعد «**ياء النّدائيـة**» وفي هذه الحالة **يكون الحذف بسبب اجتماع الألفين**: ألف ابن أو ابنة، وألف النداء. لذا يقال: **يا بن** مريم، **يا بنة** عمران.

جـ ــ كـذلـك تنقص ألف «**ابن**» و«**ابنــة**» إذا سبقتـا بهمــزة الاستفهام نحو: **أبْنُكَ** هذا الغلام؟ **أبْنتكَ** تلك الفتاة[1].

٢ ــ نقص ألف «اسم»:

تنقص ألف «**اسم**» في البسملة إذا وردت بعبارتها الكاملة، أي حين تقول: «**بسم الله الرحمن الرحيم**».

أمـا سبب هذا الحـذف اللاحق بـألف «**اسم**» فمـردّه في رأي أرباب اللغة **شيوع الاستعمال** وكثرة تداول العبارة على هذا النحـو، ومنهم من اعتبر أن **موضع حذف الألف المشار إليها، إنما يكون في ابتداء الكلام أو في فاتحة الكتاب**، إلا أن هذا الرأي ليس بإجماع سائر الأئمة.

ــ وتجدر الإشارة إلى أن ألف «**اسم**»، **تنقص إذا تقدمتها همزة الاستفهام، على غرار حذف ألف «ابن» و«ابنة»** كما تقدم كأن تقول: **أسْمك** زيد، أم عمرو. . . إلخ.

٣ ــ نقص ألف «أل»:

تنقص ألف «أل» في المواضع التالية:

---

(١) معلوم أن همزة الوصل تحذف عادة إذا دخلت عليها همزة الاستفهام نحو: أرتديِ عزيزٌ إزاره الجديد؟

ـ **إذا سبقت باللام** كما في الآيتين التاليتين: ﴿**وللآخرة** خيرٌ لكَ من الأولى﴾[1]. و﴿إنّه للحقُّ من ربّك﴾[2].

ـ وتحذف ألف «**أل**» إذا سبقت بـ «**على**» التي يحذف بعض العرب اللام والألف منها، كقولهم: **عَلماءِ** نفر من عشيرتنا أي: **على الماء**...

ـ كذلك تحذف ألف «**أل**» في كلام بعض العرب إذا سبقت بـ «**مَنْ**» المحذوفة النون. كقولهم: **مِلآن** بدل: **من الآن**. وفي بيت شاعرهم أبي صخر شاهد على هذه الصيغة، وهو قوله:

كَأَنَّهما مِلآنِ لم يتغيّرا   وقدْ مرّ للدّارَيْن من بعدنا عصر

ـ كذلك تنقص ألف «**أل**»، حين تكون مسبوقة بكلمتين «بنون» و «بنين»و «**بنون**» المحذوفة الواو والنون، أو الياء والنون في كلام بعض العرب، كقول الجاحظ: «حدثنا أبو جعفر... أنّ عندهم في رمال **بَلْعَنْبرَ**[3] (أي بني العنبر)».

٤ ـ نقص الألف في تركيب «ويل لأمّة».

ـ تنقص الألف في هذا التركيب (**ويل أمّه**)، عند حذف اللام ووصل الهمزة **بجعل جزئي التركيب المذكور في كلمة واحدة**[4]. كما جاء في لسان العرب:

وَيْلُمِّ لذّاتِ الشَّباب معيشةً   مع ٱلكُثْر يَلْقاهُ الفتى ٱلمتلفُ ٱلنّدِي

ومثله قول المتنبي في هجاء كافور:

---

(١) القرآن الكريم: سورة الضحى: الآية ٤.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية ١٤٩.

(٣) الجاحظ: كتاب الحيوان، في كلامه عن انتصاب الحيّة.

(٤) هذا الوصل بين كلمتي ويل وأمّه تقتضيه ضرورة الوزن الشعري وبات شائع الاستعمال.

وَيْلُمِّهـا خِطَّةً، وَيْلُمِّ قـابلِهـا   لِمِثْلِها خُلِقَ ٱلمهـرِيَّـةُ القـودُ[1]

ــ وتنقص الألف في لفظ الجلالة «الله» إذا دخلت عليه همزة القسم أي الهمزة التي تنوب عن أداة القسم. وفي هذه الحال يُقال: **«والله لأقطعنّ دابر المفسدين» في مقابل «والله لأفعلنّ».**

٢ نقص «الألف» وسطاً

تنقص «الألف» وسط الكلمة في العديد من المواضع، وأبرزها ما يلي:

١ ــ **تنقص من اسم الجلالة** «الله»، وقياساً، من «إله» و«الإله» تنكيراً وتعريفاً.

ــ وتنقص من لفظة «الرحمٰن» و«السمٰوات» و«طٰه» و«يٰس» اتباعاً لطريقة المصحف الشريف.

٢ ــ ولا يزال بعض المحدثين **ينقص الألف من أسماء عدد من الأعلام** الزائدة على ثلاثة مجاراةً لأسلوب القدماء، ومن هذه الأعلام التي تنقص ألفها وسطاً: **إبرٰهيم، إسمٰعيل، آسحٰق، هٰرون، سليمٰن، سفيٰن، عثمٰن، مُعٰوية، وخٰلد، وصٰلح**[2].

(١) المهرية: النون المهريّة، والقود: النوق ذات الظهور الطوال، والمعنى: أنّ هذه النوق السريعة خلقت ليفرّ بها المرء من مثل هذا الواقع الذليل.

(٢) لم يعد هذا الأسلوب متّبعاً مؤخراً في مثل هذه الأعلام لاسيّما في كلمات «خالد» و«صالح» و«عبّاس» لئلا تلتبس هذه الأخيرة بـ «عبس».

٣ ـ وتنقص الألف وسطاً كذلك من الكلمات مثل: «**لكن**»، «**لكنّ**» و«**أولئك**»، والعدد ثلاث في صيغة التركيب مع المائة، فيقال: «**ثلثمائة**». وهذا الحذف تناول «ثلٰثون» (في الرفع والنصب والجرّ)[١].

٤ ـ ودرج القدماء على أن ينقصوا الألف من كلمات مثل: **الملئكة، الصٰلحين، الصٰلحات، المسلمٰت**. أما حديثاً فالإثبات أرجح.

ـ ولما كان حذف الألف في أكثر الكلمات التي تقدمت سببه كثرة التداول والاستعمال، ولما كانت بعض الكلمات قليلة الاستعمال لم تحذف الألف من ألفاظ أبرزها: **جالوت، طالوت، هاروت، ماروت، قارون، وكذلك** داود وإسرائيل، **وبالتالي: سالم، جابر، حاتم**، حامد.

٥ ـ وتنقص الألف إذا وقعت بعد همزة على ألف ويعوض عنها بمدّة على الهمزة لاستثقال تلاحق الألفين أو اجتماعهما، فيقال في هذه: **آمن والقرآن وآثر**، ومآب... إلخ بدلاً من (**أامن، والقرأان، وأاثر، ومأاب**... إلخ.

٣ نقص الألف آخراً

تُنقص الألف آخراً **في المواضع الآتية**:

١ ـ من «**هٰا**» التنبيه التي تدخل على الضمير المهموز الأول

(١) أي ثلثون بالواو والنون، أو الياء والنون.،

فيقال: **هأنا، هأنت، هأنتِ، هأنتم**... إلخ (في موضع: **هاأنتَ**...).

كذلك تحذف «ها» التنبيه إذا أدخلت على اسم الإشارة غير المبدوء بـ «**التاء**» أو «**الهاء**» وغير المضاف إلى «**الكاف**»، فيقال: **هٰذا، هٰذه، هٰؤلاء**... خلافاً لقولنا: **هاهنا، هاته، أيّهاذا**.

٢ ــ من «ما» الاستفهامية إذا وقعت بعد حرف أو اسم جارّ، نحو، **علام؟ حتّام؟ فيم؟ بمقتضام؟**. وحملت «ما» الموصولة على الاستفهامية فحذفت ألفها بعد حرف جارّ وقبل كلمة[1] «**شئت**»، فقيل: «**حدّثني بم شئت**»، و«**سلْني عمّ شئت**».

٣ ــ من «يا» الندائية، عندما تدخل على اسم من أسماء العلم مبدوء بهمزة والذي لم يحذف منه شيء نحو: **يَأشرف، يَأسعد، يَأحمد، يأيّوب**.

ــ فإن كان العلم قد حذف منه شيء مثل: آدم، وآذر فلا إنقاص أو حذف. وفي هذه الحال يقال: **يا آدم، يا آذر**[2].

ــ كذلك تحذف ألف «يا» الندائية إذا دخلت على «**أهل**»، «**أي**» و«**أية**»، نحو: **يا أهل المكرمات يا أيها الإنسان، يأيتها الأم الصالحة**.

٤ ــ وتنقص «**الألف**» من «ذا» الإشارية عند اقترانها بلام البعد،

---

(١) وفي بعض القراءات مثل قراءة عيسى وعكرمة، أثبتت نطقاً وبالتالي كتابةً فقيل: عمّا يتساءلون..

(٢) تعليل ذلك رفع الالتباس لأن دخول يا... على كلمة مثل آدم يجعل في الكلمة ثلاث ألفات، ويحذف ألف يا، والألف بعد الهمزة لوقع الإجحاف بالكلمة بحذف ألفين من ثلاثة. وإذا دخلت «يا» الندائية على أعلام مثل إبراهيم، إسحاق أسماعيل باتت الألف المحذوفة وسطاً.

نحو **ذٰلك، ذٰلكما، ذٰلكم، ذٰلكنّ**، وهذا الحذف سببه إستكثار أن تكون الكلمة مركبة من ثلاث.

ـ فإذا تلتها لام الجر، امتنع الحذف نحو: **ذالكَ ذا لكم**. . .

٥ ـ وتحذف «**الألف**» من الضمير «**أنا**»، إذا سبقته «**ها**» وتلته «**ذا**» الإشاريّة، نحو: **هأنذا**.

٦ ـ وتحذف الألف من كلمة «**طه**»، فباتت هذه الكلمة محذوفة الوسط والآخر، وهذه هي كتابة المصحف الكريم. وفي غير المصحف تكتب «**طاها**»، ولكنّ رسمها بهذا الشكل غير مألوف.

الفصل الثاني

مواضع نقص «الواو» و «الياء»

١ نقص «الواو»

١ ــ درج القدماء على نقص «**الواو**» للتخفيف كي لا تجتمع «**واوان**» في كلمة واحدة، ومن الألفاظ التي تحذف الواو منها: **هاوُن**، **ناوُس**، **طاوُس**، **داوُد**.

٢ نقص الياء

١ ــ في كلام العرب، تنقص «**الياء**» المتولّدة من إشباع حرف الرويّ في الشعر، خلافاً لقاعدة الإشباع أو الإطلاق المعروفة في «**الألف**» و «**الواو**».

٢ ــ كذلك أجاز القدماء حذف «**ياء**» المنقوص إذا كان معرفاً «**بأل**» والموقوف عليه، بإسكان ما قبل الياء، نحو: **المتعال**، **الداع**، **الواد**، **التناد**، **التلاق**، في موضع: **المتعالي**، **الداعي**، **الوادي**، **التنادي**، **التلاقي**.

٣ ـ وتنقص «**الياء**» في المهموز آخره، إذا أجري مجرى المعتلّ نحو: **طار، ومبتد، وتبرٍّ، وتجز**، في مقابل: **طارىء، ومبتدىء، وتبرؤ، وتجزؤ**.

الفصل الثالث

مواضع نقص «أل» ونقص «النون»

١ نقص «أل»

١ ـ تنقص «أل» في الكلمات التي أولها «**لام**»، إذا دخل عليها «أل»، بعدها لام، **للتخفيف، وكي لا تجتمع ثلاث لامات في الكتابة**، نحو: ليست الحياة الدنيا **للّعب ولا للّهو**، ومع أن **للروح** حقاً فالاعتدال في طلب المسرّات الزائلة لكسب العمل الصالح من دلائل التقوى والرشاد.

والمحذوف من قولنا «**للّعب**» و«**للهو**» إنما هو «**لام**» اللفظة الواقعة بعد «**أل**»، وليس أداة التعريف لئلا يؤدي الحذف إلى الإخلال بالمعنى القصود.

٢ ـ وتنقص «**أل**» كذلك من الاسم الموصول في صيغة المثنّى والذي يرسم بـ«**لامين**»، إذا دخلت عليه اللام، نحو: لِيَكن بذلُك **للّذَين** لم يأشرا في النعمة ولم يكونا من المبذرين المفسدين، وقولك: **لَلّاتي** حفظن واجب الأمومة أجدر بالحمد والثناء.

٢ نقص النون

تنقص «النون» في مواضع عدّة:

١ ـ من لفظتي «مِن» و«عَنْ» **الجارّتين، إذا دخلتا على** «مَن» و«ما» الموصولتين نحو: **ممّـا، وممّن،** كأن تقـول: وممّا رزقهم الله يعطون، أو: لا تَخَفْ ممن يخاف الله.

٢ ـ وتنقص «**النون**» كذلك مِن «**إنْ**» **الشرطية إذا دخلت على** «**ما**» **الزائدة،** كما في قوله تعالى: ﴿**إمّا** يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما...﴾[١]،

وكذلك إذا وقعت بعد «**إن**» الشرطيـة «**لا**» النافيـة، نحو قـوله تعالى: ﴿**إلا** تَنْصروهُ فقد نصرَهُ الله...﴾[٢].

٣ ـ وتحذف «**النون**» من «**أن**» **الناصبة المصـدرية إذا دخلت على** «**لا**» **النافية** نحو: قوله تعالى: ﴿أمر **ألا** تعبدوا إلا إياه...﴾[٣] أو «**لا**» الزائدة نحو قوله تعالى: ﴿**لئلا** يعلمَ أهل الكتاب﴾[٤].

٣ النقص لأغراض الرمز

يستخدم النقص في الكتابة الإسلامية لأغراض تتصل بالرمز، أي الإشارة إلى المقصود بـالإبقاء على جـزء من الكلمة لـه دلالته على

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.
(٢) سورة التوبة: الآية ٤١.
(٣) سورة يوسف: الآية ٤٠.
(٤) سورة الحديد: الآية ٢٩.

المعنى المراد، وهو ما يسمّى حديثاً «الاختزال». فالرمز ليس إلا اصطلاحاً في الكتابة غرضه الإيجاز أو الاختصار لاسيّما في معجمات اللغة أو في مواضع الوقف في القرآن الكريم، وغير ذلك من الأسباب.

وسنورد فيما يلي نخبة من الرموز الكتابية التي استخدمت في الدواوين وفي كتب الأقدمين.

١ ـ من رموز «الدواوين»:

رمز كتبة الدواوين إلى الأشهر العربية على النحو التالي:

م	=محرّم.	ب	=رجب.
ص	=صفر.	ش	=شعبان.
را	=ربيع الأول.	ن	=رمضان.
ر	=ربيع الآخر.	ل	=شوال.
جا	=جمادى الأول.	ذا	=ذو القعدة.
ج	=جمادى الآخر.	ذ	=ذو الحجة.

٢ ـ من رموز الكتب والمخطوطات:

وهذه الرموز ذات دلالات مختلفة ولها حقولها العلمية المتعدّدة كالحديث، والتفسير، واللغة... إلخ.

ع م	=عليه السلام.	ص م	=صلى الله عليه وسلم.
ر ض	=رضي الله عنه.	ثنى	=حدّثني.
ثنا	=حدّثنا.	نا	=أخبرنا.
أنا	=أنبأنا.	ض	=ضعيف.
م	=معتمد.	ش	=الشّرح.

ص	= المصنَّف (بفتح النون).	المصد	= المصنِّف (بكسر النون).
ح ل	= الحلبي.	ق ل	= القليوبي.
ح	= أبو حنيفة.	س	= سيبويه.
ج	= جمع.	جج	= جمع الجمع.
د	= بلد.	ع	= موضع.
م	= معروف		

٣ ـ من رموز الوقف في القرآن الكريم:

ط	= الوقف المطلق.	ج	= الوقف الجائز.
لا	= لا وقف.	م	= الوقف اللازم.
قف	= الوقف المستحب.	ص	= الوقف للضرورة.

القسم الرابع

في الفصل والوصل بعامّة

يفصل

من أجزاء الكلام كلّ ما صح الابتداء بـه، والوقف عليه، ويوصل بالتالي ما لا يمكن فصله، وبيان ذلك هو موضوع هذا القسم من أصول الكتابة الإملائية

الفصل الأول

الفصل

انطلاقاً من قاعدة الوصل والفصل الأساسية والتي تنصّ على فصل ما صحّ الابتداء به والوقف عليه، **يُفْصَل**:

١ ــ الاسم الظاهر.

٢ ــ ويفصل أيضاً الضمير المنفصل.

بصورة أوضح:

٣ ــ يفصل الاسم الظاهر عن الضمير المنفصل.

ــ ويفصل كلاهما مما عداه، اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً زائداً على حرف. ومن الأمثلة المعتمدة في كتب اللغة للدلالة على مواضع الفصل المتقدّمة والدالّة على ما يصح الابتداء به، والوقف عليه قولهم:

ــ يومَ همْ على النَّار يُفتنون.

ــ إنْ همْ إلَّا كالأنعامِ بل همْ أضلّ.

❋

الفصل الثاني

الوصل

مواضع الوصل:

يجب وصل ما لا يصحّ الابتداء به وكذلك وصل ما لا يصح الوقف عليه، ممّا هو ليس اسماً ظاهراً ولا ضميراً منفصلاً. **أما مواضع الوصل** - بالقياس إلى القاعدة العامّة المتقدّمة - **فيمكن أن نعتبرها قسمين:**

- **في القسم الأول نعدّد ما لا يصح الابتداء به.**
- **وفي القسم الثاني نعدّد ما لا يصح الوقف عليه.**

١ وصل ما لا يصح الابتداء به

ما يجب وصله باعتبار أنه لا يصح الابتداء به، هو الآتي:

١ ـ نون التوكيد الثقيلة.

٢ ـ نون التوكيد الخفيفة.

٣ ـ تاء التأنيث.

٤ ـ كاف الخطاب.

٥ ـ علامات المثنى.

٦ ـ علامات جمع المذكر السالم.

٧ ـ علامات جمع المؤنث السالم.

٨ ـ الضمير البارز المتصل.

٢ وصل ما لا يصح الوقف عليه

أما الذي يجب وصله **لأنه لا يصح الوقف عليه**، فهو ما يلي:

١ ـ صدر المركب المزجيّ[١].

٢ ـ ما ركّب من الأسماء المعرّبة والدخيلة.

٣ ـ ما ركب مع المائة من الآحاد، مثل: ثلثمائة، أربعمائة، خمسمائة[٢].

٤ ـ ما ركب من الظروف مع «إذ» المنوّنة، مثل: عندئذ، وقتئذ، حينئذ، آنئذ..[٣].

٥ ـ وصل حبّ مع ذا، نحو: حبّذا.

٦ ـ وصل لكن بـ «أنّا»، نحو: لكنّا[٤].

(١) يستثنى من المركب المزجي الأعداد المركبة من أحد عشر إلى تسعة عشر.
(٢) ما عدا ما أضيف إلى المائة من الكسور مثل: ثلث مائة، أربع مائة، خمس مائة.
(٣) ما عدا ما ركب مع إذْ غير المنوّنة مثل عند إذ حصل كذا...
(٤) يلاحظ كيف حذفت همزة أنا لتكتب بعد وصل لكن، لكنا.

٧ ـ وصل «أل» بما بعدها وعلى غرارها «أم» المسمّاة الحميرية، مثل قولهم: طاب أو راق أَمْهواء: أي طاب أو راق الهواء.

٨ ـ وصل الحرف المفرد وضعاً مثل «اللام» و «الكاف»، أو عرضاً كالباء في بلعنبر، **بَلْحَرِث**[1].

٩ ـ وصل «من» الاستفهامية، والموصولة، بما قبلها، كأن توصل بـ «من» و «عن»، نحو قولنا: مِمَّن استقيت هذه المعلومات، **وعمَّن** تريد أن تتحدث اليوم؟

١٠ ـ وصل «ما» «الإسمية» أو «ما» الحرفية، ووصل «لا» بما قبلها.

أ ـ وصل ما «الاسمية»

وهي أربعة أضرب: ما «الاستفهامية» وما «الموصولة» وما «النكرة» وما «المعرفة التامة».

● **ما «الاستفهامية»، توصل بالاسم** مثل: بمقتضام، **وبعدد من الحروف** مثل: من، عن، في، إلى، اللام، على، حتى... كقولنا: **مِمَّ؟ عمَّ؟ فيمَ؟ إلامَ؟ لمَ؟ علامَ؟ حتّامَ؟**

● **وتوصل «ما» الموصولة، النكرة، المعرفة بـ:** عن، من، في، سيّ، نِعِم (وهي شبيهة **نِعْم**)[2]، كأن نقول على التوالي:

بحثت **عمّا** طلبت منّي. أعددتُ الطعام ممّا أحضرت من المواد

---

(١) وقد جوّز القدماء وصل ما هو مفصول للإلغاز والتعمية، ومن هذا القبيل قولهم:

عافت الماء في الشتاء فقلنا   بردية تصادفيه سخينا

ويلاحظ أن بردية نتجت عن وصل: بل **و** رديه الأمر من ورد والوصل يوهم أن اللفظة أمر من برّد تبريداً.

(٢) نِعْم: للمدح، وعكسها: (بئس.

الغذائية. استرسلت **فيما** بدأته من الحديث. لنا أيام بهيجة **لاسيّما** يوم لقائنا ببعلبك.

ب ـ وصل «ما» الحرفية

وهي ثلاثة أنواع: «ما» **المصدرية**، و«ما» **الكافّة**، و«ما» **الزائدة**:

● **توصل «ما» «الحرفية» المصدرية بـ**: أين، ريث، حيث، وكلّ، إذا كانت منصوبة على الظرفيّة، لا المرفوعة أو المجرورة[1]، كما هو واضح في الأمثلة التالية:

ـ أينما زرعت يا رجل[2].

ـ انتظرني **ريثما** أتفرّغ لسماعك.

ـ سارعت إلى لقائه **حينما** علمت بقدومه.

ـ **كلّما** سألني حاجة مددت له يد العون.

● **وأما «الكافّة»**[3] فتوصل بـ: إنّ وسائر الحروف الناسخة، وتوصل أيضاً بـ: كي، وربّ، وبين، وقبل، وطال، وقلّ، كما ترى في **الأمثلة التالية**:

● **إنّما** ثمرة عملكم لكم دون غيركم.

● **الجادّ ينجح لكنّما** الإهمال طريق إلى الفشل...

● يرجى الفتى **كيما** يضرّ وينفع[4].

---

(١) إذا وقعت كل مرفوعة أو مجرورة، وجب فصلها كقولك: ما كلُّ ذي نعمة شاكر فضل الله، صبرنا على كل مكروه أصابنا. وأضاف البعض إلى ما تقدّم نِعْم ومثل.

(٢) أي: أين زرعك؟

(٣) سمّيت كذلك لأنها تكف ما بعدها عن عمل الرفع أو النصب أو الجر.

(٤) وهو مأخوذ من قول النابغة:

إذا أنت لم تنفع فضُرّ فإنما ... يرجى الفتى كيما يضرّ وينفع

● **بينما** أنت تتأهب للخروج قُرع الباب.

● **قبلما** تسافر جاءك ضيوف.

● **قلّما** تباطأت في واجباتك.

● **وأما «الزائدة» فتوصل بـ**: حيث وكيف، وكي الناصبة، وليت وأي الاستفهامية أو الشرطية، ومن وعن الجارّتين، وأي وإن الشرطيتين، وكل اسم وقع مضافاً إلى ما بعده.

وفيما يلي بعض **الأمثلة**:

- **حيثما** تتوجه أتوجّه.
- **كيفما** دارت الأمور.
- أسرع في إنجاز عملك **كيما** ترافقني.
- **ليتما** هذا البستان لنا.
- أتقنته **أيما** اتقان.
- **عمّا** قليل.
- أينما تكونوا يدرككم الموت.
- **إمّا** تخافن...

ج - وصل «لا» بما قبلها

- **توصل «لا» النافية بـ «إن» الشرطية قبلها نحو:**
إلّا تنصروه فقد نصره الله.

- وتوصل **«لا» النافية بـ «أن» النافية الناصبة**، نحو:
المروءة، **ألا** تنكث بالعهد.

ـ وتوصل «لا» الزائدة أيضاً بـ «أن» الناصبة، نحو:

لئِلا يعلم أهل الكتاب.

ـ ويمتنع الوصل إذا اتصلت بـ أن المفسّرة أو المخفّفـة من الثقيلة نحو:

نصحته **أنْ** لا يقدم على هذا الأمر. . . **وأن** لا تخافوا ولا تحزنوا.

الجزء الثاني

في الإنشاء

القسم الأول

في علم الإنشاء

المشاركة الفنية وشروطُها

مفهوم المشاركة الفنية:

أن كل توليد فني يقتضي المشاركة: **بين ذات المبدع، وذات المتذوق**. لأنه ما من خلق إلا وهو تعبير عن نفس مبدعة، بما في هذه النفس من فكر ومشاعر، وبما فيها من ميول وأحاسيس ورغائب.

والتعبير **يقتضي نقل هذه الطاقة النفسية الكامنة**، من الذات المبدعة، إلى الذات المتذوقة، لتفهم الثانية عن الأولى... **وهذه هي المشاركة** بعينها، وإن كل خلق فني لا يستهدف هذه المشاركة بالذات، ليس من الفن في شيء.

ولكي تتحقق هذه المشاركة يجب أن يتم التعبير بصورة موحية جديرة بأن تثير في المتذوق معطيات المبدع على اختلافها.

إن الخلق الفني، هو في المقام الأول، **تعبير عن نفس صاحبه، وارتياح لهذه النفس**. إلا أنّ الارتياح لا يتأتّى أحياناً إلا عن طريق هذه المشاركة، بل كثيراً ما يستهدف هذه المشاركة ويجهد في أن يكون خلقه الفني ملائماً لتأدية عملية النقل المشار إليها.

ولئن صحّ هذا التعبير في شيء، فهو أصح ما يكون في فنون

الكتابة الأدبية والإنشائية، لاتصالها الوثيق بالحياة العامة، وخروجها عن دائرة الفن الذاتي الذي يعمد إليه الفنان لمجرد كونه ألهوة يتلهى بها أو عبثًا فنياً يرتاح إليه.

الإنشاء والحياة العامة:

قلنا إن فنون الكتابة الإنشائية، أوثق علاقة بالحياة العامة، وليس في هذا مغالاة: فهذه الألوان هي أسلوب التعبير في العلوم والمعارف المختلفة من أدب وفلفسة وتاريخ واجتماع.

فمعرفة أصول الكتابة، ومراعاة فنونها شيء مهم في حياة الفرد والمجموع، دون أن يفهم من هذا، عدم اعتبار أهمية التعابير الفنيّة الأخرى، أو المفاضلة بين هذه وتلك.

الأسلوبان: الإنشائي والأدبي:

ومن ناحية ثانية يجب **التمييز بين الأسلوب الإنشائي الخالص، والأسلوب الأدبي**، فإن كنا لا يسعنا تهيئة جميع الناشئة، لأن يكونوا أدباء أو أصحاب مواهب فنيّة، على الوجه الذي يفهم فيه الفن والأدب، فبوسعنا على الأقل تزويد الناشئة بثقافة إنشائية تساعدهم في علاقتهم الحاضرة أو المقبلة، بالمجتمع.

وإذا كنا في الاتجاه الفنّي نولي الموهبة المنزلة الأوليّة، فنحن في الاتجاه الإنشائي نولي عامل الممارسة والاكتساب هذه المنزلة بالذات.

أهمية الإنشاء كعلم:

فالإنشاء، على النحو الذي سنحدده، في الفصول الآتية، علم

قائم على هذه المشاركة، بين المتكلم والمخاطب، بين الكاتب والقارىء. وهذا يفيد أمرين:

١ ــ حرص الكاتب على **تفهم الموضوع** الذي يكتب فيه، وأغراض هذا الموضوع، في أجزائها وتفاصيلها.

٢ ــ حرصه بالتالي على تبيان ذلك كله، وإيضاحه في الذهن المنقول إليه.

وهكذا تتضح لنا خطورة عملية النقل بين الذهنين المولِّد والمستوعب، وما تستوجبه هذه العملية من أصول معينة وشروط دقيقة، وما تستلزمه كذلك من أحكام فنيَّة، تعرف كلها باسم علم الإنشاء، موضوع هذه الأبحاث.

غاية علم الإنشاء:

فغاية علم الإنشاء، تبيان أصول الكتابة، ومراعاة فنونها، لتكون المشاركة بين الذهنين المتفاعلين على أتمها. وما دام علم الإنشاء كذلك، فمباحثه أساسية في كل تعبير كلامي أدبي. وبهذا تكون هذه المباحث أساساً في كل ثقافة أدبية مستقبلية، أو كل تعبير فنّي جميل، وسنرى في حينه أن أكثر **فنون الإنشاء ليست إلا فنون الأدب، ما خلا** الفارق في طرق الأداء.

وما دامت أهمية الإنشاء على النحو الذي بيّنّاه، كان على المنشىء أن يعمد إلى أفضل طرق التعبير، لتتم المشاركة بينه وبين قارئه. وقد أشرنا إلى ازدواج الصعوبة في هذا المضمار. فالمنشىء البارع هو الذي يحرص على **إبلاغ المخاطب حاجته كمتكلم، على أن يأتي كلامه موافقاً لمقتضى حال الخطاب**. وهنا ينبغي للمنشىء

تفهم أصول البلاغة. فالبليغ ليس من فصح كلامه، ونمقت عباراته بضروب من التوشية والزخرفة، وإنما هو الذي يكيّف أسلوبه وفق ذهنيّة المخاطب. وهذا ما عناه ابن قتيبة بقوله: «إن لكل مقام مقالاً».

وهكذا يتضح لنا الفرق بين الكتابة بمفهومها الساذج والإنشاء بمفهومه الصحيح. فالكتابة لا تعني دائماً خلقاً معيناً أي إجادة في العبارة، بعكس الإنشاء الذي يعني هذه الميزة، وهذا ما ذهب إليه ابن الأعرابي فعنى بالإنشاء، نظم الشعر وكتابة النثر مع الإحسان فيهما.

ضرورة الإنشاء:

ونخلص من الحديث عن أهمية الإنشاء إلى ضرورة الاتجاه إليه. فلا شيء، في رأينا، يجب أن يحول بين المثقفين والإجادة في الإنشاء، أيًا كان مدى تثقّفهم ولونه، أو ميلهم في العلوم والمعارف، لأن الحاجة إلى **الكتابة الإنشائية**، ليست موقوفة على فئة دون أخرى، فهي **أداة التعبير في سائر حقول المعرفة**. ومن ينكر أهمية الأسلوب في أداء المعاني العلمية والفلسفية والأدبية، والموضوعات الاجتماعية والتاريخية؟

للمحادثة

١ ــ ما هو مفهوم المشاركة الفنية؟
٢ ــ كيف تتم المشاركة الفنّية؟
٣ ــ ما أهمية علم الإنشاء؟
٤ ــ ما هي غاية الإنشاء كعلم؟

ماهيّة الإنشاء

الإنشاء في اللغة:

الإنشاء، مصدر أنشا، وأنشأ مزيد نشأ بالتعدية. جاء في القاموس[1]: «نشأ نشوءاً. . **حَييَ وربا وشبَّ**، و(أنشأت) السحابة **ارتفعت**. . . وأنشأ الله السحاب رفعه، والحديث **وضعه**. . .».

فبالاستناد إلى هذه المعاني اللغوية يمكن القول، بأن أنشأ لغة تفيد معنى خلق، كما تفيد معنى الارتفاع. . وفي رأينا أن الاتفاق في المعنى اللغوي، لا يعني الاتفاق في المعنى الاصطلاحي، فخلق، تفيد إيجاد الشيء من عدم، وهذا الخلق لا يصح في الكاتب المنشيء، لأن المعاني لا تخلق من العدم، فهذا النوع من الخلق خاصّ بالذات الإلهية ويدل على الإيجاد المطلق.

أما الإنشاء، **فمعناه هنا الإيجاد والخلق لا من العدم وإنما من مادة أخرى**. . . ولما كان الإنشاء مصدراً، لنشأ، الفعل الذي يدل على الارتفاع والنمو، فالإنشاء إذاً إيجاد مع الارتفاع والسمو، وهذا ما أشرنا إليه من ضرورة الجودة والاتقان في الكلام المنشأ.

---

(١) القاموس المحيط: للفيروزبادي.

وقد أخذت لفظة الإنشاء معنى **الإيجاد**، بعد أن كانت تعني الابتداء في الشيء، فيقال: أنشأ فلان يحدثنا بمعنى ابتدأ، ثم تطور معناها فقيل أنشأ حديثاً أو خطبة، بمعنى وضع. وهكذا تميّز الإنشاء عن الكتابة بالوضع والوضع الجيد المتقن، في حين أن الكتابة تعني الجمع الذي لا يفيد الجودة أو ترسّم الأصول الفنية...

الإنشاء اصطلاحاً:

ونتساءل ما هو الإنشاء اصطلاحاً بعد أن عرفت دلالته اللغوية؟

يذهب أهل العربية من نحاة وبيانيين إلى تقسيم الكلام إلى إنشاء وخبر، وإلى أنّ الكلام الإنشائي هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، كقول الشاعر:

فاصبر إذا الدهر نبا نبوة

بعكس الخبر الذي يحتمل الصدق أو الكذب كما في قول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغَ الِفطامَ لنا صبيٌّ   تَخِرُّ له الجبابرُ ساجِدينا

ولكنَّ هذا الاصطلاح لا يعنينا هنا، في قليل أو كثير، فموضعه علم المعاني.

الإنشاء: عند الأقدمين والمحدثين:

يذهب بعض الأقدمين: إلى أن الإنشاء هو استنباط المعاني، والتعبير عنها بلفظ ملائم.

وفي عرف بعض المحدثين الإنشاء هو الكتابة الجيدة.

تعريفنا للإنشاء:

في رأينا أنّ هذين التعريفين، لا يتفقان وماهية الإنشاء: فالإنشاء: «تعبير في قالب لفظي يوحي بأغراض المتكلم».

التعبير ماهية الإنشاء:

فالمنشىء كالأديب، كلاهما، غايته إيضاح ما يجول في نفسه من خواطر ومشاعر فالتعبير هو جوهر الإنشاء وحقيقته.

وعملية التعبير تستلزم الإيجاد خارج الذات وهذا بدوره يتطلب تقييد المعنى الذهني بلفظ مناسب. ولما كان التعبير يعني المشاركة الذهنيّة، لذا، وجب أن يكون الإطار اللفظي ملائماً للفكر والمشاعر المراد نقلها إلى السامع، فهده الملاءمة تعني عملاً فنيًا لا يتأتى إلا للموهوبين. فإذا تمت عملية التعبير على هذا النحو، كان في العبارة الكلامية من القوة والمتانة والوضوح ما هو جدير بأن يثير أفكار الكاتب ومشاعره في نفس المتذوق فالكلام الإنشائي الرفيع، هو الكلام الموحي الذي يستهوي المتذوق ويستثير حساسيته الفنية الجمالية...

إن الإنشاء ليس استنباطاً للمعاني وحسب، كما أنه ليس إيجاداً لنثر جيد، إنه في الدرجة الأولى تعبير وإثارة، تعبير عن ذات صاحبه فكرة وشاعرة وإثارة لذات المتلقّي.

للمحادثة:

١ ــ ما هي ماهية الإنشاء في اللغة؟
٢ ــ ما هو الإنشاء «اصطلاحاً»؟
٣ ــ ما الإنشاء في القديم والحديث؟
٤ ــ ما هو التعريف الملائم لـ «الإنشاء»؟

موضوعُ علم الإنشاء وأركانه

موضوع علم الإنشاء:

قال ابن الأثير في المثل السائر: «إن موضوع كل علم هو الشيء الذي يسأل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته. فموضوع الطب مثلاً بدن الإنسان، والطبيب يسأل عن أحواله التي تعرض له في صحته وسقمه وموضوع الحساب هو الأعداد والحاسب يسأل عن أحوالها التي تعرض لها... وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم...».

فما هو موضوع علم الإنشاء؟

إن موضوع علم الإنشاء هو معرفة أصول الكتابة وفنونها، وما يستتبع ذلك من أساليب الكلام وطرائق التعبير، وما يجب أن تكون عليه ثقافة المنشىء، ليكون بليغاً في إنشائه، من حيث قوة التركيب، وإصابة المعنى...

أركان علم الإنشاء:

وللإنشاء كالآداب والعلوم، شروط وأركان عليها مدار الإجادة في نواحي فنونه أهم هذه الأركان ثلاثة:

١ ــ الموهبة أو الاستعداد الفطري.

٢ ــ المطالعة والارتياض.

٣ ــ معرفة الأصول...

للمحادثة:

١ ــ ما هو موضوع كل علم؟

٢ ــ ما هو موضوع علم الإنشاء؟

٣ ــ عدد أركان الإنشاء.

الركن الأول

الموهبة أو الاستعداد الفِطري

العقل الفطري وقواه:

الموهبة هي الاستعداد الفطري الذي يساعد الإنسان على تفهم حقائق الأشياء وهذا الاستعداد لا يخلو من أهمية في اكتساب المعارف على وجه العموم، والقدرة على إصابة المعاني على وجه الخصوص. وقد اصطلح الأقدمون على تسمية الموهبة بالعقل الغريزي، أي القوة الإدراكية التي فطر عليها الإنسان، وهـذه تعتمد بـدورها على قـوى طبيعية أخرى أهمها: المخيلة، الذاكرة، الشعور، الإدراك. وسنرى أثر هذه القوى في تكوين الذائقة الكتابية.

المخيّلة: قال الراغب: «**الخيال قوة تحفظ ما يدركه الحس من صور المحسوسات بعد غيبـوبة المـادة**» والواقـع أن عمل الخيـال، يتجـاوز حفظ المحسوسـات، فـالمخيّلة بتفـاعهـا مـع سـائـر القـوى الإدراكية، تستطيع أن تخلق من الصور المحفوظة مادة خيالية جديدة، تكون أساساً في كل توليد معنـوي جديـد. فهي إذاً ذات وظيفتين: الحفظ والتوليد. ومن هنـا كانت ذات طـابعين: المخيّلة الحافـظة،

والمخيلة المبدعة، والسموّ في التعبير الأدبي، يقتضي تنمية المخيلة، لتصبح قادرة على الإبداع...

الذاكرة: إذا كانت المخيلة، قوة لحفظ صور المحسوسات والعمل على توليد صور جديدة منها، **فالذاكرة قوة تحفظ صور المعاني المجردة عندما يدركها العقل، ولذلك سميت أيضاً الحافظة.**

والشأن في الحافظة كما هو في المخيلة. فعملها لا يقف عند الحفظ وحسب، فنموّ الذاكرة بعوامل الإدراك والاطلاع المستمر، كفيل بأن يخلق من المعاني المختزنة، معاني جديدة مولّدة.

وعمل المخيلة، أو الذاكرة، لا يتأتى إلا بإثارتهما عن طريق الشعور والإدراك، اللذين يشكلان المنافذ بين الذات والعالم الخارجي، فبواسطتهما تنقل إلى القوتين المتخيّلة والحافظة صور المحسوسات والمعقولات.

الشعور: ويقال له الحس، **قوة تثير وجدان الإنسان، وتحرك عاطفته** بما تحمل إليه من إحساسات مختلفة، تولد بدورها مشاعر مختلفة، يعبر عنها صاحبها، بضروب من الكلام. **فالألم، واللذة، والحزن، والغضب كل هذه تثير عواطفنا فتجدنا** في حاجة إلى تصوير وجداننا المنفعل بها. قال ابن عبد ربه: **إن الكلام العذب إذا حلَّ في القلب أحدث فيه حركة وهزّة».**

الإدراك: قو تثير العقل قد يقال لها الذكاء، **وهو عبارة عن سرعة الفطنة، وعليه المعوّل في تفهم الحقائق المختلفة.**

عملية التعبير:

للنفس إذاً نافذتان هما الحس والإدراك. وبهما تتسرب الصور

الخارجية، الحسية منها أو المعنوية، إلى الوجدان، والعقل فتثيرهما وهذان يثيران بدورهما المخيلة والحافظة. وما ضروب الإنشاء إلا تعبير عن المشاعر والإدراكات المختلفة، التي تولدها عملية الانفعال بين الذات والمحيط الخارجي.

لماذا تتفاوت المواهب؟

هده القوى التي أشرنا إليها تشكّل عوامل الذائقة الفنية في الكاتب والمنشىء، لذا تتفاوت قوة الموهبة في الأشخاص بتفاوت عمل هذه القوى الغريزية فيها... وهذا ناشىء بما يطرأ على ملكة الذوق من عوامل الاكتساب التي تنفذ إلى العقل الغريزي عن طريق الاختبار والممارسة والاطلاع، فتصقل قواه، وتهيء لإعطاء ثمرات أينع، مما لو بقي عقلاً غريزياً صرفاً...

فالموهبة إذاً ليست كل شيء في صناعة الإنشاء، **فللاكتساب ثمرته، وللدربة والمران أثرهما، في الانتقال بالمنشىء من سذاجة الفطرة إلى جمال الصنعة.**

للمحادثة:

١ ــ ما الموهبة؟

٢ ــ عدّد القوى الطبيعيّة؟

٣ ــ حدّد وظيفة كلّ من المخيلة، والذاكرة، والشعور، والإدراك؟

٤ ــ لماذا تتم عملية التعبير؟

٥ ــ لماذا تتفاوت المواهب في الأشخاص؟

الركن الثاني

المطالعة

الركن الثاني من أركان الإنشاء هو المطالعة. والمطالعة لغة لفظ مشتق من اطّلع ـ على الشيء ـ أي أدركه، بالوقوف على حقيقته، ومنه المطَّلَع أي موضع الاطلاع، من مكان مشرف إلى انحدار.

المطالعة غير القراءة:

استناداً إلى مدلـول اللفظة اللغـوي، نشير بـأن المطالعـة غير القراءة من ناحيتين:

الأولى: كونها تفيد التعمق في فهم الكلام، وتدبر وجوهه، وهذا لا تدل عليه القراءة العادية.

الثانية: كونها تتناول التصانيف الكتابية.

هذا، وإن الأقدمين الذين استعملوا لفظة القـراءة قد حمّلوهـا معنى المطالعة.

فوائد المطالعة:

وللمطالعة على النحو المتقدم، فوائد جمة: إنّها توقظ الاستعداد

الفطري، في المنشيء، وتصقل الموهبة، . فهي بمثابة مرقاة، يعتمد عليها في إثارة الذهن، وتحريك المشاعر، وتوليد أجمل الكلم بالإضافة إلى وقعها في النفس. قال الجاحظ: «**القراءة تشحذ الفكر، وتجلو العقل، وتحيي القلب**، وتقوي القريحة، وتعين الطبيعة، وتبعث نتائج العقول، وتستثير دفائن القلوب، فضلاً عن أنها تؤنس الوحشة، وتصل لذتها إلى القلب، من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرض لك».

قيمة الكتاب:

ومن هنا كان للكتاب أثر، في رقي الفرد والجماعة وما هو إلا نتاج قرائح البلغاء الذين أحسنوا المطالعة في سفر الطبيعة، وأسفار الأقدمين وتصانيفهم:

قال المتنبي:

أعزّ مكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ   وخيرُ جليسٍ في الأنام كِتابُ

وقال شوقي:

أنا من بدَّلَ بالكتُبِ الصِّحابا   لمْ أجدْ لي وافياً إلاّ الكِتابا

وقال أحدهم: «الكتب أجنحة النفس».

والمطالعة في رأي فولتير بمثابة الجلوس إلى أعلام القرون الماضية والحديث معهم.

فمن هذه الأقوال تتضح لنا فائدة المطالعة، بما فيها من المشاركة ـ الروحية والعقلية ـ بين الفكر المولّد والفكر المطّلع. ولا نرى ضرورة التوسع في تبيان الدور الذي لعبه الكتاب في حياة الأمم والشعوب، وإن الثورات الفكرية التي أحدثها في الشرق والغرب كانت

ولا تزال أبعد أثراً وأرسخ جذوراً في تكييف حياة الشعوب، من أية ثورة قامت على الحديد والنار.

التأثر وحب الاحتذاء:

والمطالعة تقوم على عوامل نفسية منها:

١ ـ الانفعال والتأثر.

٢ ـ حب الاحتذاء...

فالقارىء المعجب بما يطالع، لا بدّ له من أن ينفعل بما يقرأ، فالانفعال هو بمثابة انعقاد الثمرة في الزهرة، التي استكملت شروط اللقاح، أما إثمار الانفعال الكامل، فهو في إثارة الذهن والنفس، ودفع القارىء إلى احتذاء المنشىء والميل إلى ممارسة الكتابة في واحد من ألوانها.

وهكذا نوجز فوائد المطالعة فيما يلي:

١ ـ الاطلاع على نتاج العقول والقرائح في القديم والحديث، الشيء الذي يوسع أفق التفكير، وينمّي ثروة العقل، ويزيد من خبرة النفس.

٢ ـ تفهم أساليب الكتابة نتيجة للمطالعة الطويلة وفي هذا صقل للذائقة الجماليّة في المثقف، وبه تنمو بذور النقد مستقبلاً.. فأمهر النقاد، هم أكثرهم قراءة واطلاعاً...

٣ ـ حصول ملكة البلاغة لأنها نتيجة حتميّة للاطلاع الواسع والتمييز بين الأساليب المختلفة.

شروط المطالعة:

على أن فوائد المطالعة لا تتوفر إلا بشروط أهمها:

١ ــ حسن الاختيار.
٢ ــ تدبّر الكلام بإطالة النظر.
٣ ــ الحفظ.

حسن الاختيار: يقول البعض: «أبطىء في اختيار الصديق»، يريدون عدم الإسراع في اتخاذ الأصدقاء، وانتقاءَهم ممن صلحت نفوسهم، وتميّزت أخلاقهم بكرم الخلال، وطبائعهم بلطف المعشر، حتى يكونوا الأعوان في الحياة. ونقول أحسن اختيار ما تقرأ، فالكتب كالرجال فيها الصالح والطالح، والجيد والرديء. فاختر جيِّدها، لأن فيه الغنم، واترك غثّها لأن فيه السوء، فإن لم تفعل كان الكتاب الذي لم تحسن اختياره شرَّ جليس، كالصديق الذي لم ترتح لصحبته، تسوءك معاشرته، ويؤذيك سماعه. لهذا نصح فولتير بمطالعة المؤلّفات التي أجمع الناس على استحسانها في القديم والحديث... وهذا يعني أن خير الكتب هي التي يتذوّقها الجمهور في أكثر من عصر، وهي لا تبقى كذلك إلا لأن واضعيها قد توخوا فيها شروط البقاء، فكانت خير غذاء للروح والعقل وأورثت لذتها الحس والوجدان دونما شائبة أو باطل.

هذا، وإن البضاعة الرخيصة، دليل على غثاثتها. ومثل ذلك الكتب الغثة، لم يتوخ فيها مروّجوها إلا الاتجار على حساب الفكر، ولا ضحية لهم في هذه التجارة المرذولة إلا القارىء، وقيم الحق والخير والجمال. فليكن إيثارك لمؤلفات الذين يكتبون بدم قلوبهم، وعصارة أفكارهم، وذوب وجدانهم، أولئك الذين خلقوا من نور الحرف ناراً تبدد ظلمات الجهل، وإشعاعاً يمزق ديجور الاستبداد، والذين جعلوا من أقلامهم حراباً في صدور السفّاحين، وسناناً في

أجساد المدلسين على الحقيقة والتاريخ. إن أمثال هـذه الكتب التي دبّجها رسل العلم بنبضات أفكارهم، وخفقات قلوبهم، هي التي عناها المتنبي بقوله: «وخير جليس في الأنام كتاب».

تدبر الكلام بإطالة النظر:

إن مثل من أعطي كتاباً جيداً ولم يحسن قراءته مثل الذي أصاب ثمرة مغلقة فلم يحسن معالجتها فطرحها لأنه لم يتدبرها لينال لبّها.

إن المطالعة كما يراها «موروا» فن من الفنون... ويذهب عادل الغضبان إلى القول بـأن «**رذيلة المطالعـة متوافـرة في أولئك الـذين يدفعهم الجشع إلى مطالعة كل ما تقع عليه أنظارهم لا يريدون بها الوقوف على الآراء والأفكار، بل على صفـوف من الكلمات** تخفي عنهم حقيقة العالم وحقيقة نفوسهم **كمدخن الأفيون** لا يلتمس من وراء تدخينه إلا الهرب من عالم الأوهام».

إن المطالعة المفيدة فن يستلزم شروطاً منها:

١ ــ **التأمل الطويل**: وذلـك بتدبـر الكلام، إي تفهمـه تفهماً صحيحاً، للكشف عمّا وراء السطور، فبعض الأفكار كالدرر الغوالي لا يحصل عليها إلا الغائص في اللجج العميقة وهذا لا يكون إلا إذا تهيأ كيان المرء كلّه للمطالعة، فلم تكن العين إلا نافذة الكلمـات، إلى الوجدان والعقل.

٢ ــ **إعادة النظر**: أي معاودة قراءة التصانيف نفسها، ففي هذا مدعاة للكشف عن معان جديدة، قد لا نوفق إليها في القراءة الأولى، فضلاً عما في ذلـك من إرساخ للكلمـة في الذهن، وإيقـاظ لملكة الذوق وتنمية لروح النقد الصحيح.

٣ ـ اختيار أوقات المطالعة: ومن أولى شروط المطالعة وأجدرها باهتمام الطالب اختيار الوقت الملائم للقراءة فليست مطالعةً هذه التي تكون في حافلات الترام، أو قبيل ابتداء الخيالة (السينما). وليست مطالعةً هذه التي يُحمل عليها الفكر، فإذا لم يكن المزاج متهيئًا لها، فلا فائدة ترجى منها.

الحفظ:

والشرط الثالث من شروط المطالعة: الحفظ. على أنه يجب أن لا يفهم من الحفظ، أن نختزن في الذاكرة كل ما نقرأ، ففي هذا حشو للدماغ لا مسوِّغ له، كما إن الإفراط في الحفظ من دواعي التقييد للفكر المبدع. فنحن نكتفي من الحفظ بأمرين:

١ ـ حسن الاستيعاب: بامتلاك جوهر ما نقرأ، فالمعاني ليست ملكاً لأحد من الناس دون غيره، بل هي ملك للجميع، إذا زخر بها الذهن وأدّاها المنشىء بعبارته. وقد بيّنا أن عمل المخيِّلة الذاكرة، هو في حفظ صور المحسوسات والمدركات، فإذا أحسنا استيعاب ما نقرأ، **أمكننا أن ننشىء من المحفوظ الذي وعاه القلب، مبتكراً في ضروب المعاني والتعابير**. وما أصدق ابن المقفع في تصويره لعمل الحافظة اللاواعية بضربه هذا المثل: «ومن يقرأ هذا الكتاب ـ كليلة ودمنة ـ **ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما بدا له من خطّه ونقشه**.. وكان كالرجل الذي طلب علم الفصيح فرسم له بعض أصدقائه صحيفة صفراء فيها فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه، فانصرف المتعلّم إلى منزله وجعل يكثر قراءتها فلا يقف على معانيها ولا يعرف ما فيها. ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب والفطنة، وهو يظن أنه قد اكتفى بما حازه من تلك الصحيفة

فأخذ في محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعضهم: أنك قد أخطأت فيها والوجه غير ما تكلمت به. فقال: كيف أخطىء وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي؟ فكانت مقالته أوجب في الحجة عليه وزاده ذلك قرباً من الجهل وبعداً من الأدب».

وما أصدق الشافعي في تصويره العلم الذي وعاه صاحبه بقوله:

عِلْمي مَعي حيثُ ما يمَّمتُ يتْبَعُني قلبي وِعاءُ له، لا بَطْنُ صندوقي
إن كنتُ في البيت كانَ العلمُ فيه معي أوكنتُ في السّوق كان العلمُ في السُّوقِ

وهذا ما عناه البعض بقولهم: «**لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي**».

فحسن الاستيعاب أهم شروط الحفظ وبه تنتقى المعاني الجيّدة دون الألفاظ، إذ لا ينبغي التقيّد بأقوال الآخرين.

فمقياس الحفظ الجيّد تكييف ما وعيناه منه دون أن تستعبدنا الحروف.

٢ ـ **الغاية من الحفظ**: على أن حفظ بليغ الكلام، شعراً ونثراً، كبعض الحكم والأمثال، والنوادر.. لا يخلو من فائدة، لأن الاستشهاد بأقوال العلماء، والحكماء، في معرض الحديث، أو خلال الكتابة، يزيد في قيمة الرأي، ففيه الحجة والبرهان على صدق ما نقول.

لكن يجب الاحتراس، من كثرة الشواهد، فإن فعلنا كان كلامنا أشبه بالرواية التي ينقل فيها المحدث أو الكاتب آراء الآخرين وأقوالهم، لا فضل لنا فيه سوى قوة الحافظة. لهذا قال ابن مسعود: «**كونوا للعلم رعاة، ولا تكونوا له رواة**»، فالذي يرعى ما يحفظ بالوعي الصادق، جدير بأن يستنبط المعاني الجديدة، ويولّد الآراء الشخصية القيّمة.

النسيـــان:

أذكر أنني قرأت في مقدّمة كتـاب «النظرات» لمصـطفى لطفي المنفلوطي وصيته لمن سأله: كيف تتأتي البراعة في الكتابة، أذكر أنه أجاب: بنسيان ما حفظت.

فالنسيان هنا، هو ما أشرنا إليه من ضرورة عدم التقيد بكلّ ما في حافظتنا، وهو شرط من شروط البحث العلمي، والنقاش الهادىء والتفكير الصحيح. فأنت لا تستطيـع واحداً ممـا تقدم مـع أناس لا يتحررون من أفكارهم السابقة التي هي في الأصل ملك للآخـرين. ففضيلة النسيان على هذا النحو، أنه لا يعوق التفكير الذاتيّ الحر، وهو لا يكون إلا بأن نخزن ما نحفظ في عقلنا الباطن. وإن أحداً لا ينكر، ما لعامل اللاشعور من أثر في حياة المنشئين والأدباء: فالذي يتناسى ما طالع بعد وعيه إيّاه، يشعر في ساعات الكتابة المواتية بدفق غريب من المعاني يزدحم في ذهنه، لينساب هادئاً وئيداً على ريشته، تعبيراً جميلاً ملائماً لمقتضى الحال. ولا تفسير لهذا إلا عامل العقل الباطن الذي يمدنا في حينه بالقوة العبيريّة اللازمة.

ويلخص قيمة الحفظ وضرورة النسيان، ما طلعت علينا به كتب الأدب من أنّ **خلف الأحمر لم يأذن لتلميذه أبي نواس الشاعر، أن ينظم الشعر إلا بأن يحفظ آلاف الأبيات، فلما فعل، لم يأذن له بذلك حتى نسيها.**

كتاب الطبيعة:

تحـدثنا فيمـا تقدم عن المـطالعة بمعنـاهـا الضيق ـ أي قـراءة النصوص الجيدة ـ ملمّين بفوائدها، ذاكرين شـروطها، خـالصين من ذلك كلّه إلى أثر الحفظ وضرورة النسيان فيه... وننتقل للكلام على

المطالعة بمعناها الواسع، فنقول بأن قراءة آثار الأدباء والبلغاء لا تغني عن قراءة كتاب الحياة.

ففي الحياة: في الكون الذي يحيط بنا، والأشخاص الذين يعمرونه، من الآيات المحكمات، والصفحات البليغة ما هو أنجع وسيلة لتفهم حقيقة الأشياء وخير أداة لتبصرة العاقل. والانتاجات الخالدة في الكتابة على اختلافها، **ما هي إلا ثمرة مطالعة سفر الطبيعة**، وتأمل لوحاتها، ودراسة نواحيها واختبار طبائع أهليها. قال معروف الرصافي:

قرأت وما غير الطبيعة من سفر ....

فلا غنى للريِّض إذا أراد معيناً من الإلهام لا ينضب، ومنهلاً في الفن لا يتهافت جماله، عن معاينة مجالي الطبيعة الغنية بأبدع ما رسمته ريشة الخالق، الفنان الأكبر. فما أبدعه ويبدعه الفنانون من موسيقيين ورسّامين ومثّالين، وأدباء... ليس خلقاً ذاتياً محضاً، وإنما هو استيحاء من الطبيعة، واستلهام من الحياة. فإن كنا نعتمد في الدرجة الأولى على قراءة روائع التآليف، لتستقيم لنا أداة التعبير، علينا أن نعتمد كذلك على بدائع الكون لتستقيم لنا النظرة الصادقة إلى الحياة. فالجمال مبثوث فيما تراه العين، وتعاينه الحواس، ويتأمله العقل. في كل مظهر من مظاهر الطبيعة حكمة وفن، وبلاغة... فضلاً عن انسجام، هو أساس في تكوين الذوق الفنيّ، والشعور بالجمال، وعليه المعوّل في تربية الملكات الإنشائية والأدبية والنقدية.

أما كيف تكون هذه المعاينة للحياة، فبالاستقراء: بالنظرة النافذة، والملاحظة الدقيقة.

الإبداع والاتصال بالحياة:

والحياة تتناول هنا: الطبيعة، والمجتمع، والذات. قال عمر فاخوري: «**إن الكاتب أو الشاعر الحقيقي يستمد من الطبيعة والحياة أولاً وآخراً**... أما الأديب أو المتأدّب الذي يحسب أن في دراسة الكتب وسعة الرواية ما يكفي، لجعله شاعراً مفلقاً وكاتب مبدعاً، فقد ضلّ سبيلاً إذ أنّ هذا دون الكفاية. **والأديب حقاً من كان على اتصال دائم بهذا الوجود**».

واليقظة التي عناها عمر فاخوري، مثلثة الأبعاد: يقظة في الحواس ويقظة في الجوارح ويقظة في الفكر.

الجلوس إلى الطبيعة:

ففي أحضان الطبيعة علينا أن نسترق السمع إلى موسيقى هذه الجوقة الضخمة المؤلّفة من أصوات الطير والحيوان والريح والجدول، المتعالية أنغامها في ألف لحن، المتآلفة في شبه نشيد أبدي. وفي أحضان الطبيعة علينا أن نمعن النظر بين ذروة تشمخ كبرياء، وواد يهبط قناعة، وسهل ينبسط لينا، وأفق يتسع حلماً، وأن نجيل الطرف في زرقة السماء المنعكسة زرقةً في الماء، وخضرة نبت متداخلة بحمرة تراب.

إنّ الطبيعة دائماً في مهرجان حافل: بين ربيع حالم وصيف مشبوب الجوانح وخريف ناعس الطرف وشتاء غارق في سبات.. فأي عرض أروع من هذا العرض، ثوباً في ألف الثوب وألواناً متباينة في لون؟!.

في رحاب الطبيعة علينا أن نمعن في التأمل مطلقين العنان

لخواطرنا وفكرنا بين مساء غارق في الظل، وبين صباح غارق في النور، بين ليل ساكن في هدأة الراحة، ونهار ضاج بصولة الشباب. فها هنا ألف معنى في معنى....

ومن التزوّد بفطرة الطبيعة يحلو الانتقال إلى درس تعقد الحضارة في المجتمع، فاستقراء الناس في أهدافهم ومشاربهم، وأذواقهم المختلفة، وطبائعهم المتباينة، عالم جديد حافل بأضخم ما عرفت الحياة من كتب، فها هنا كتاب الإنسان بين روحه الفردية والاجتماعية، وها هنا كتاب حضارة الإنسان في تعاونه من أجل التقدم. وبين هذين الكتابين، كتب وكتب بكل ما تزخر به الحياة.

التأمل الذاتي:

ولكن رائدنا في هذا السفر بين الطبيعة المعمورة والطبيعة القائمة على الفطرة، هو ذاتنا: فاستقراؤها أساس في كل استقراء ومعرفتها باب كل معرفة. «**اعرف نفسك**» كلمة يونانية قديمة، وهي كلمة الإنسانية في كل عصر من عصورها. **فالتأمل الذاتي أوليّ في الاستعداد لتأمل الكون والحياة والناس.**

للمحادثة:

١ ــ حدّد معنى المطالعة.
٢ ــ ما الفرق بين «المطالعة» و«القراءة».
٣ ــ عدّد فوائد المطالعة.
٤ ــ ما أهم شروط المطالعة؟ فصّل الكلام على كل منها.
٥ ــ ماذا يعني لك «كتاب الطبيعة»؟
٦ ــ ما السبيل إلى الإبداع؟

الركن الثالث

ممارسة الكتابة

إن عاملي الموهبة والمطالعة ليسا كل شيء في اتقان صناعة الإنشاء، فلا بدّ من الدربة على الإنتاج، ومزاولة الكتابة في أغراض شتّى من وصف، وتعبير عن أحوال النفس، ومحاكاة للبلغاء في أساليبهم، واحتذائهم في فنونهم. فللإنشاء ملكة يزيدها الارتياض طواعية على التعبير، وقوة في التوليد.

قال خالد بن صفوان: «**إنما اللسان عضو إن مرنته مرن، فهو كاليد تخشنها بالممارسة، وكالبدن تقويه برفع الحجر والرجل إذا عودت المشي مشت. . .**».

ومن ينكر قيمة التربض في اكتساب المعارف والصنائع على اختلافها: فالكاتب الناشىء، إذا أوتي الموهبة في الكتابة، ومال إلى قراءة تصانيف البلغاء، وأفاد مما تعي حافظته، وجد في نفسه ميلاً إلى المحاكاة، والإنسان مفطور على التقليد والاحتذاء، فإن لبّى هذا الميل، ودأب عليه، استقامت ملكته، وآتت ثمارها شأننا في ذلك شأن التربة الصالحة، تتعهدها بالغرس والسقيا والعزق والتشذيب، فإذا هي تنبت زكي النبت وصالحه.

الركن الرابع

أصول الإنشاء

ويتعلق الركن الرابع من أركان الإنشاء بالحديث عن أصوله:

فالأصول هي القواعد التي يبنى عليها العلم، وعليها المعوّل في معرفة مادة الكلام: مبنى ومعنى، ومعايب كل منهما، وطرق تحسينهما[1] كما تتناول الكلام المركّب، وأنواعه بين خبر وإنشاء. وبالأصول تعرف أخيراً طرق الاداء المختلفة وأساليب التعبير، وفنون الإنشاء: من، وصف وترسّل، ورواية ومناظرة، وما إليها من طرائق الكتابة وألوانها.

ولا شك أن الإلمام بأصول كل علم، وقواعد كل فن من الأهمية بقدر كبير، لأن هذه الأصول وتلك القواعد مقاييس تنمّي الذوق وتعتقل الموهبة، فتجاوز مرحلة الفطرة إلى مرحلة الاكتساب، فيكون من العناق بين هذه وتلك أسمى مراتب الإبداع.

---

(١) راجع «كتاب النموذج في الإنشاء» للسنة الأولى التكميلية حيث توسعنا في تفصيل الكلام حول هذه الأبحاث.

المَبْنَى وَالمَعْنَى

مادة الكلام:

تتألف مادة الكلام من الألفاظ المفردة، ومن مدلولات هذه الألفاظ وهي المعاني الجزئية.

أما الكلام نفسه، فيتألف من مبنى ـ وهي مجموعة الألفاظ المتناسقة على نحو مفيد ـ ومن مدلول هذا المبنى، وهو التعبير الناشيء عن مجموع المعاني الجزئية.

فلو تأملنا قول المتنبي:

إذا لَمْ يكُنْ من ٱلموتِ بُدٌ   فمنَ ٱلعجزِ أنْ تموتَ جباناً

أمكننا أن نتبين أن هذا البيت من الشعر مؤلف من ألفاظ منسّقة على نمط معين، وهي تؤدي منفردة معاني جزئية، وباجتماعها تشكّل دلالة البيت المعنوية.

هل من تفاضل بين اللفظ والمعنى؟

وعلى أساس ما تقدم، لا يمكننا أن نفصل بين المبنى، ومدلوله المعنوي العام. ونخطّىء الذين ذهبوا في القديم أو الحديث،

إلى القول بأن نسبة المبنى إلى المعنى كنسبة اللباس إلى الجسم، وأن علاقتهما علاقة الشكل بالجوهر، أو القالب بمحتواه.

فهذه النظرة تقيم تفاضلاً بين عنصري العبارة. وفي رأينا أن لا تفاضل بينهما، وأن كلاًّ منهما له وجوده الذاتي وقيمته الذاتية، بالنسبة للتركيب، ولعل المقابلة الجائزة هي التي نوردها في الفصل التالي.

للمحادثـة

١ ــ ما هو الركن الثالث في «الإنشاء»، وما أهميته؟
٢ ــ ممّ يتعلق الركن الرابع من أركان الإنشاء.
٣ ــ كيف تتصور العلاقة بين المبنى والمعنى؟

الألفاظ ومدلولاتها

فمنزلة الألفاظ المفردة من المبنى، هي منزلة العلامات الموسيقية من السلّم الموسيقي. وما التعبير الذي هو مجموع المعاني الجزئية، التي تدلّ عليها الألفاظ، إلا اللحن الموسيقي الناشىء عن أنغام السلّم، المتآلفة على نسق معين.

قيمة هذه المقابلة أنها تجعل الألفاظ المفردة أصواتاً. والأصوات ذات دلالات ولكنها تجعل الأفضلية للتركيب، لأن الأصوات الجزئية، لا تولد نغماً مثيراً إلا بتآلفها.

وهكذا نخطِّىء من جديد الأقدمين: سواء منهم الذين جعلوا البلاغة في اللفظ وآثروه على المعنى، أو الذين جعلوا البلاغة في المعنى وآثروه على اللفظ. كما في قول أبي هلال العسكري: «الألفاظ خدم المعاني والمصرفة في حكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقة طاعتها».

فأبو هلال يجعل الألفاظ خدماً للمعاني، وهو يسلب من اللفظ دوره في التعبير الذي لا يتم جوهره إلا بالتئام الألفاظ فيما بينها وملاءمتها في الآن نفسه للفكرة أو المعنى.

وعلى هـذا الأساس تنعـدم الأفضلية بين لفظ ومعنى، وتبـطل المقـابلة بين الجوهـر والشكـل، والقـالب والمضمـون، وتبقى قيمـة المنشىء في مدى توفيقه بين المبنى والمعنى وبين تعبيره ومقتضى حال المخاطب، وقد سبق تفصيل ذلك.

إنه لا يمكن الفصل بين المبنى ومدلوله، فعناصر الكلام تشكل وحدة تعبيرية لا تتم شروط الأداء الجيد، الموحي بحاجات المتكلم، إلا بتآلفها واجتماعها. إن طبيعة البحث تستلزم النظر إلى كل عنصر بذاته، أولاً. لذا وجب درس العلاقة القائمة بينها من خلال الوحدة التعبيريّة المشار إليها.

الألفاظ ومدلولاتها:

الألفـاظ المفردة أصـوات لغويـة، تدل على معـانيها الـذهنيـة المجردة التي اكتسبتها في تاريخ تطورها الطويل ويجب أن نراعي فيها أمرين: الفصاحة والصراحة.

إن منزلة اللفظة المفردة في التركيب اللفظي هي منزلة العلامة الموسيقية في سلّم الإيقاع.

وما دام الإيقاع المو سيقي لا يتكامل جوهره إلا إذا نزلت كل علامة موسيقية منزلها في السلم العام، كذلك لا يكتمل جرس الكلام إلا إذا روعي الانسجام بين أصـوات الألفـاظ وهـذا هـو مـوضــوع الفصاحة.

الفصاحــة:

الفصاحة في اللغة معناها الوضوح والإبانة، وخلوص الكلام من التعقيد. ولا تتوفر الفصاحة إلا إذا خلت الحروف من التنافر، وروعي

في هذا الكلام القياس الصرفي، إلى غير ذلك مما يطلب في باب البلاغة.

الصـراحـة:

وكما يجب مراعاة الانسجام بين الألفاظ من الوجهة الصوتية، كذلك يجب مراعاة الانسجام بينها من الـوجهة المعنـوية، وهـذا ما يسميه البيانيون بالصراحة.

والصراحة نزول الكلمة منزلتها في التركيب، بحيث تدل بوضوح على المراد. قال ابن عبد ربه: «**لا تجعل اللفظة قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فإنك متى فعلت هجنت الموضع الذي حاولت نسبتها إليه، فإن وضع الألفاظ بغير إمكانها أنما هو كترقيع الثوب الذي لم تشابهه رقاعة**».

ولكي يتـأتي للمنشىء الصراحـة والوضـوح في الكلام يمكنـه الاعتماد على الترادف والنعت.

التـرادف:

الترادف هو تشابه لفظتين أو أكثر في المعني. فهذه المفردات: ربط، قمط، صفد، رزم، صرَّ، عصب، كلها تفيد الشدّ، ولكن كلاً منها يدل على نـوع من الشدّ، يقـال: ربط الدابـة، وقمط الصبي، وصفد الأسير، ورزم الثياب، وصرَّ الناقة (أي حلبها) وعصب الرجل وسدَّ من الجوع.

وكذلك الحال في الأسماء الـلاحقة التي تـدل على الأطعمة: **القرى، الوليمة، المأدبة، التحفة، الوضيمة، العجالة**، إلا أن القرى طعـام الضيف، والوليمـة طعام الأعـراس، والمأدبـة طعام الـدعـوة،

والتحفة طعام الزائر، والوضيمة طعام المآتم، والعجالة طعام المستعجل.

وفي خروج الماء نجد اصطلاحات لغوية مختلفة: فلخروجه من السحاب يقال: **سحّ**، ومن الينبوع **نبع**، ومن الحجر **انبجس**، ومن النهر **فاض**، ومن السقف **وكف**، **ومن القرية سرب**، ومن الإناء **رشح**، ومن العين **انسكب**.

وهذا التدقيق في استعمال المرادفات وفق الاصطلاحات اللغوية عامل مهم في جودة الكتابة، وبلاغة التعبير، ولا بدَّ هنا من الاستنارة بكتب فقه اللغة والاستعانة بها.

ومن الأمثلة الدالّة على الإجادة في استعمال الترادف ما قاله الأعرابي في الاستطعام: «يا قوم تتابعت علينا سنون عجاف شداد، ولم يكن للسماء فيها رجع، ولا للأرض فيها صدع، فنضب العدّ، ونشف الوشل، وأمحل الخصب، وكلح الجدب، وشفَّ المال، وكسف البال، وشظف العيش، وذهب الرياش، وطرحتني الأيام إليكم غريب الدار، ليس لي مال أرجع إليه، ولا عشيرة ألحق بها، فرحم الله امرءاً رحم اغترابي، وجعل المعروف جوابي».

الصفات:

وما قيل في المترادفات يقال في الصفات، وهي مفردات تستعمل لإيضاح الشيء الموصوف ونعته. ففي القبح يقال: **وجه دميم، وكلمة عوراء، وفعلة شنعاء، وامرأة سوءاء، وأمر شنيع، وخطب فظيع**..

وهناك صفات أصبحت بمنزلة مسمّياتها فيقال: موسى كليم الله والإسكندو ذو القرنين.

حسن الاختيار: وبالرغم من وجود موازين لغوية وقواعد صرفية لاختيار الألفاظ، لا ننكر أن الانتقاء الجيد، موكول في الغالب لإرادة المنشيء ولا مقياس له إلا الذوق الذي هذّبه الاطلاع ومقلقة المزاولة. هذا، والذائقة الفنية في التعبير خاضعة في كل زمن لبيئة المنشىء، وظروف محيطه ومدى ثقافته. فإن كنا نعذر أحياناً شاعراً جاهلياً في استعمال الألفاظ الغريبة المعقّدة، التي ينبو عنها ذوقنا اليوم، بسبب عوامل الزمان والمكان كقول الشنفرى:

دعست على غطش وبطش وصحبتي سعار وأرزيز ووجر أفكل

فلا عذر لشاعر كالمتنبي يستعمل لفظة جفخت، بدل فخرت في هذا البيت:

جفَختْ وهم لا يَجْفخون بها بهم شيمٌ على آلحسَبِ الأغرّ، ولا مكرُ

واختيار الألفاظ يجب أن يكون مناسباً لمواضيع الكتابة، فالكتابة الأدبية تستلزم من اللفظ مالا تستلزمه الكتابة العلمية. وهذا ما سنتوسع فيه أثناء حديثنا عن: أساليب الأداء.

ونضيف إلى ما تقدّم أن اللفظة المفردة قد تكون فصيحة في ذاتها، ولكن وجودها في التركيب يؤدي المعاني المقصودة، ذلك أن اللفظة في ذاتها تحمل دلالتها اللغوية الذهنية، أما ظلال اللفظة فلا تظهر إلا في جو العبارة العام. لهذا يتوقف قسم غير يسير من المقدرة في الكتابة، على مراعاة الجوّ الذي تخلقه الألفاظ مجتمعة.

وهناك عامل يعتمد عليه المنشىء في إصابة المعاني البعيدة

فلكل لفظة وزنها من فاعل، وفعال، وفعيل، ولكل من هذه الأوزان دلالة لغوية مختلفة، تدل عليها الأصول الصرفية، فيجب مراعاة اختيار التفاعيل التي تناسب المعنى.

البديع اللفظي: ويعمد المنشئون عادة إلى نوع من المحسنات اللفظية، تشكل في البلاغة باباً يعرف باسم البديع اللفظي، ومواضيعه كثيرة، لن نأتي هنا على تفصيلها، ولكن لا بد من التنبيه إلى أنّ وجوه البلاغة جميعها، ولا سيما وجوه البديع منها، يجب ألا يكون متكلفاً، لأن التكلفّ يخرج الكلام عن طبيعته الخالصة فتنبو عنه الأذواق السليمة. لهذا يقبل من هذه الطرق البلاغية، ما كان منها بباعث البداهة، أو الصنعة المعتدلة التي لم يخرج فيها صاحبها عن المألوف، أو يقع في التعقيد والغرابة.

إن الأخذ بهذه الطرق المختلفة التي ذكرناها في باب اللفظ، يستند غالباً إلى عاملي الاطلاع والممارسة، فاختيار الألفاظ، والمجانسة بينها، ومراعاة أوزانها، ولزوم جانب الطبيعة في زخرفتها بأنواع البديع كل هذا متوقف على ما للمنشىء من باع طويل في أصول اللغة، وما استطاع أن يدخره من ثروة لفظية. هذه الثروة هي الأساس في إحكام الوضع وفق المواضيع وتبعاً للأساليب. فإن لم تتوفر المقدرة اللغوية للمنشىء، اضطره قصوره اللغوي أحياناً إلى عدم مراعاة التخصيص في الألفاظ، فتضطرب المصطلحات في كتابته وتتداخل، وهو ما نراه في كثير من كتب الناشئين الذين يتعجّلون الشهرة والمجد الأدبي، في حين لا تساعدهم ثقافتهم الأدبية واللغوية على أداء مختلف المعاني، فتكون مبادرتهم المبكرة للكتابة عاملاً من عوامل فشلهم.

للمحادثـة:

١ ـ ما منزلة الألفاظ في المبنى؟
٢ ـ ما فصاحة اللفظ؟
٣ ـ ما الصراحة وما أهمية الترادف في بناء العبارة؟
٤ ـ ما أهمية الصفات؟ ما البديع اللفظي؟

المعنَى

المعنى هو مضمون الكلام أو المقصود به: وهو من الوجهة البلاغية الفكرة الذهنية التي يدل عليها المبنى.

فالمعاني المقصودة في الجمل الآتية:

١ ـ عاد بخفي حنين.
٢ ـ سئمت تكاليف الحياة.
٣ ـ لا تكن يابساً فتكسر، ولا ليناً فتعصر.

هي على التوالي:

١ ـ الخيبة والفشل.
٢ ـ السأم والملل.
٣ ـ ضرورة الاعتدال.

أوجه المعنى:

المعنى أوجه مختلفة، منها:

١ ـ **المعنى المجرد** الذي يعرض للذهن خالياً من كل زخرف لفظي **ويقال له الفكرة** كقول المتنبي:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العزْمِ تأتي ٱلعَزَائِمُ   وَتَأتي عَلى قدْر ٱلكِرام ٱلمكارِمُ

٢ ـ وإذا كان المعنى معروضاً للذهن بعبارة مجازية قيل له «صورة» كقول شوقي:

وَلِلْحُـريَّـةِ ٱلحمـراءِ بـابٌ   بِكُـلِّ يـدٍ مضـرَّجـةٍ يُـدَقُّ

فقد اجتهد الشاعر في أن يعرض كلامه بعبارة تمثّله في الذهن بوضوح فاختار هذا القالب المجازي.

٣ ـ والصـورة المعنويّـة تدعى «شـاعرة» إذا دلّت على بعض مشاعر النفس كقول الجاحظ في رسالة: «أما بعد، فنعم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس العوض من التوبة الإقرار».

ومثل ذلك قول ابن الرومي **في الحنين إلى الوطن**:

وَلِـي وَطنٌ آلـيـتُ ألا أبـيـعـهُ   وألَّا أرى غَيْري لهُ الدهرَ مالِكاً

كيفية الاختيار بين هذه الوجوه:

والاعتماد على وجه من وجوه المعنى المتقدّمة، منوط بأغراض المتكلم أولاً، وموقف المخاطب ثانياً، والذوق هو الحاكم في توخي هذا الوجه أو ذاك.

وعلى وجـه العموم، نجـد الوجـه الأول عامـاً في المصنّفـات الفلسفية والعلمية، وفي الكتابات الاجتماعية، والأقوال الحكمية لأن غاية كل من الفيلسوف والعالم والكاتب والحكيم، الكشف عن الفكرة الذهنية دون غيرها.

بخـلاف الشاعـر أو الأديب، فهما يهـدفان إلى إثـارة القارىء وتحريك مشاعره، لذا يعمدان غالباً إلى الطرق البلاغية المختلفة من

تشبيه، ومجاز، واستعارة، لتحسين صورة المعنى، وجعله أقرب إلى فهم القارىء.

فعلى المنشىء أن يراعي حسن الاختيار بين هذه الوجوه، وفق مقتضيات الحال. فعندما يكون الكلام ملائماً لأحوال المتكلم والمخاطب يصح أن نعتبره بليغاً، وصحّ في قائله أن ينعت كذلك.

تعدد وجوه البلاغة:

لعلّ ابن المقفع قد صوّر تعدد وجوه البلاغة بقوله: «**البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة: فمنها ما يكون في السكوت** ومنها ما يكون في **الاستماع**، ومنها ما يكون في **الإشارة**، ومنها ما يكون **شعراً**، ومنها ما يكون **سجعاً**، ومنها ما يكون **ابتداء**، ومنها ما يكون **جواباً**، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل...»

أرأيت كيف أن إنزال أساليب الكلام منزلتها من أغراض المتكلّم هي البلاغة بعينها؟

التوليد:

ومراعاة البلغاء من الكتاب والمنشئين لشرط البلاغة المتقدِّم، هو الذي يدفعهم غالباً إلى ابتداع المعاني الجديدة، وتوليدها من معان قديمة. لأن المعنى إذا كثر تداوله، يبتذل كاللفظ. فمن **شروط البلاغة في أداء المعاني، الاستنكاف عن طَرْق المعاني الشائعة** التي رددها الكثيرون بصورة رتيبة. ولما كانت المعاني لا تخلق من العدم، لزم على المنشىء أن يجدد قيمة المعنى بحسن توليده: فالتوليد مشروع

إذا كان ابتداعاً ولم يكن اتباعاً، وأكثر المولّدين إنما ارتكزوا في ذلك إلى ثروة متقدميهم المعنوية..

لا يكفي توليد المعاني من أقوال السابقين وحسب، فهذا قد لا يأتي بالنتائج المرغوب فيها، فالتوليد الجدير باهتمام المنشئين، هو الاحتكاك المباشر بالطبيعة والمجتمع، فالمعاني مبثوثة في الحياة، تستلزم منا الجهد لاستخراجها، ووسيلتنا إلى ذلك قوى العقل وملكاته التي أشرنا إليها سابقاً من خيال وإدراك وشعور.

وكما بيّنّا خطورة المجانسة بين اللفظ والمعنى، نشير إلى أهمية الملاءمة بين المعاني ومقتضى الحال، أي أن يوافق الكلام حال المتكلم والمخاطب فيوضح مقاصد الأول، ويحمل المخاطب على تفهم هذه المقاصد، وهذا هو موضوع البلاغة. سئل بعضهم ما البلاغة؟ فقال: «إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع».

فالبلاغة تقتضي إذاً مراعاة الأحوال المختلفة، التي تحيط بظروف الكلام، والتلطّف، في بلوغ الغاية، وهذا يقتضي كما قال ابن قتيبة أن يكون لكل مقام مقالاً. فالناس مختلفون في طباعهم ومشاربهم، ومتباينون في ثقافتهم وقوة مداركهم، فالمنطق يقضي بأن نخاطب كل فئة بما يلائم حالها. وقال أحدهم: «**البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه، من غير تعب عليه**».

كذلك يختلف الكلام باختلاف الظروف التي تحيط بالمتكلم. فقد يستلزم المقام الإشارة وقد يتطلب الإسهاب. فإعطاء كل حال لبوسها أمر ضروري شريطة عدم الخروج عن المعقول. قال المفضل الضبّي بلسان أعرابي: «**البلاغة هي الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل**».

تحسين المعنى:

ومما يجب مراعاته في المعنى سهولة المأخذ، أي عدم التعقيد المعنوي، بحيث لا يشكل فهمه، ويلتبس أمره على القارىء. وهذا ما ينافي البلاغة لأن البلاغة، تقتضي حسن التبليغ، وتعقيد المعنى ينشأ في الغالب من غموض الفكرة في ذهن المنشىء. فالفكر الواضحة، انعكاس للتفكير البيّن ووضوح القصد، فالمعاني لا تكون مغلقة، إلا لعدم وضوحها في الذهن.

المعنى المعقد والمعنى البعيد:

ويجب التمييز بين المعاني المعقدة، والمعاني البعيدة. فالمعنى البعيد، هو العميق الذي يستثير ذهن القارىء ومداركه. فواجب أن تكون المعاني وازنة وعميقة، وألا تأتي سطحية مبتذلة. وليس من البلاغة في شيء، أن نستر المعاني الضعيفة بتعقيدها، وليس هنا أصدق ممّا قاله ابن المقفع في تحديده البلاغة: «**البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهل ظنَّ أنه يحسن مثلها**».

المعنى ومقتضى الحال:

ملاءمة المعاني لمقتضى الحال، معناها أن تكون مطابقة للواقع. ولكن ما الواقع؟ الواقع المقصود هنا، ليس الواقع العملي، المساوي للحقيقة العلمية، وإنما هو واقع إنساني قادر على تصوير ما يجول في خواطرنا دون أن نلج دائرة الوهم أو الباطل. المعنى الواقعي هو الذي ينطبق على الشعور الإنساني الصادق الذي عبّر عنه زهير بقوله:

وإنَّ أجمـلَ بيـتٍ أنْتَ قـائـلُهُ بَيْتٌ يقال إذا أنشـدتَـه صَـدَقـا

تعدّد المعاني:

عـدد الأقدمـون المعاني المختلفـة، باختـلاف صورهـا، فمنها المبتكر والدقيق، والنافذ والجامع. ولا ضرورة للوقوف على تفصيل ذلك. ولذا تكفي الإشارة إلى أن خير المعـاني هو المعنى الجـامع المبتكر النافذ، الذي يدل على معان كثيرة في ألفاظ قليلة.

البديع المعنوي:

وكما اعتمد البلغاء أنواعاً من البديع اللفظي لتحسين المبنى، كذلك اعتمدوا ألواناً مماثلة لتحسين المعنى. ونوصي هنا، كما أوصينا هناك، بعدم الإسراف في الاعتماد على وجوه البديع في تأدية المعاني وزخرفتها. فالصنعة لا تكفي لتغطية القصور في التعبير في منأى عن الطبعية والفطرة السليمة.

ولتحسين المعنى وإيضـاحه، يعتمـد على طرق بيـانية عـديدة كالتشبية والاستعارة والمجاز كما يمكن كذلك اختيار ما يلائم من وجوه البديع المعنوي، وهذه كلها من أبواب البلاغة.

للمحادثـة:

١ ــ حدّد ماهية «المعنى».
٢ ــ كيف تختلف وجوه المعنى؟
٣ ــ ما البلاغة؟
٤ ــ ما أهمية توليد المعاني؟
٥ ــ كيف يتم تحسين المعنى؟ وما الفرق بين المعنى المعقّد والمعنى القريب الواضح؟
٦ ــ ما أهمية البديع المعنوي؟

القسم الثاني

في فنون الإنشاء

الوَصف

إيضاح وتعريف:

الوصف لغة نعت الشيء بما فيه. وهو كفن من فنون الكتابة أسلوب يعمد إليه لتبيان أحوال الأشياء وصفة الأشخاص الذين يحيطون بنا، والتعبير عن ضروب الأحاسيس التي تتولّد فينا، ومن هنا كان الوصف جامعاً لناحيتين:

الأولى: تصوير الشيء الموصوف بالنسبة لعوامل الزمان والمكان.

الثانية: التعبير عن موقفنا من هذا الشيء بالذات، بالنسبة لعواملنا النفسية وعواطفنا المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن هاتين الناحيتين كثيراً ما تتداخلان، فيصعب الفصل بينهما، وهذا يعني أن الصورة التي نعطيها عن ضروب الموصوفات تتلوّن غالباً بمزاجنا الخاص الذي هو انعكاس لذاتيتنا، وترجمة لمشاعرنا.

على أن التداخل بين الناحيتين ليس شيئاً لازماً، فكثيراً ما يأتي الوصف واقعياً أميناً لحقيقة الشيء الموصوف وجوهره.

نوعا الوصف:

بالاستناد إلى ما تقدّم، يمكن القول بأن هناك نوعين من الوصف:

١ ـ **الوصف الواقعي**: وغايته نقل المعطيات الواقعية بدقّة، دونما مبالغة أو إسراف في القول يجعل صورة الموصوف تتنافى وماهيته، أي ما يتحلّى به في الأصل من نعوت.

٢ ـ **الوصف البياني**: وهو الذي يرتفع بالموصوف من حدود الواقع إلى عوالم الزخرفة، وهنا يضفي الواصف على الأشياء والأشخاص أصباغاً وألواناً هي من فيض خياله، وتوليد مشاعره.

ولا أفضلية بين هذين اللونين، فكل منهما مستساغ في موضع ومستقبح في آخر، والذوق هو الحكم الذي يميّز بين ما هو مستساغ أو مستقبح.

الموصوفات:

تتناول الموصوفات كلَّ ما تنطوي عليه صفحات الحياة: في الطبيعة الحية، والطبيعة الجامدة، بالإضافة إلى الأحداث الكونية والحوادث اليومية.

الطبيعة الحية:

وهي هذه التي تمتاز بصفة الحركة، ويمكن لذلك أن نسمّيها بالطبيعة المتحركة وهي تضم:

أولاً: وصف الأشخاص.

ثانياً: وصف أنواع الحيوان والطير.

ثالثاً: وصف عوالم الطبيعة.

رابعاً: وصف الحوادث التي تلم بالمجتمع الإنساني.

الطبيعة الجامدة:

والأخلق أن ندعوها بالطبيعة الساكنة وتتناول:

أولاً: **الكون الطبيعي،** بما فيه من أجرام السماء وأفلاكها ومداراتها، وهيئة الأرض، بين وهد ونجد، وواد ومرتفع، وقفر ومرج إلى غير ذلك.

ثانياً: **آثار العمران،** وهي ما أنشأته يد الإنسان من مظاهر البنيان في البيئة والمحيط، وما ابتكره عقله من آلة لها اليد الطولى، في عمارة الأرض وكنه الكون الطبيعي وما فيه من مختلف نواحي الحضارة والمدنيّة.

الوصف الظاهر، والوصف الباطن:

١ ــ **الوصف الظاهر**: ونقصد به الأوصاف التي نتوصل إلى معرفتها عن طريق الحواس.

فبواسطة أنهار الحواس، نميّز بين أشكال الأشياء، وضروب الأصوات والألوان، ومختلف الروائح والمذاقات.

فاعتبار التباين بين الأطوال المختلفة، والتفاوت بين دقة الأصوات وقوتها، والتنافر بين نعومة الملمس وخشونته، وعدم الانسجام بين ذكي الروائح وقبيحها، كل هذا منوط بالحواس نظراً وسمعاً، ولمساً وشمّاً.

الوصف الباطن: على أن الحواس هي النوافذ للتذوق الوجداني

العميق، والإدراك الفكري الدقيق. فهي التي تتيح لملكاتنا النفسية أن تـذهب في معاينتهـا للأشيـاء وراء الخطوط الـظاهرة، في المكـامن البعيدة، فتستشف وراء جمال الحسن، جمال الفكر، والوجدان، إنّ وراء البسمـة المشرقـة تشع نفسيـات، وتنعكس طبائـع، ومن خلال القسمات في المحيا والوجه نتبين عوالم إنسانية غنيّة بأجوائها، فيها الصلاح والفساد، وفيها الجمال والقبح، وفيها الفضيلة والرذيلة.

أروع أساليب الوصف:

وأروع أساليب الوصف، هـو الأسلوب الذي يُجمـل ويفصِّل، وينتقل من الظاهر إلى الباطن، ومن المحسوس إلى غير المحسوس، ومن المرئي إلى اللامرئي، بروعة وبراعـة، فيقيم ما بين هـذا وذاك علاقة، من شأنها أن تعطينا عن الموصوفات صوراً كلية لا جزئية.

ويجب أن يراعى في الوصف ما يلي:

١ ــ **الطبعيّة**: وهي عدم التكلف وتحاشي التصنّع، الذي ينفي انطباع الكاتب على هذا الفن.

٢ ــ **الصدق**: أي عدم الإسراف في الزخرفة اللفظية أو التكلف المعنوي، الذي يوقع الكلام عادة في المبالغة ويخرجه عن المألوف والواقع.

٣ ــ **السمو**: وهو الترفع عن الابتذال في الوصف، بإثارة الحياة في الموصوفات الجامدة، بما نعطيها من حـركية تجعلهـا معبرة عن معان غنيّة ومختلفة.

٤ ــ **الإجمال**: وهو أن نبدأ الوصف، بوصف عام يضع القارىءَ أو السامع في الجو الملائم.

٥ ـ **التفصيل**: وهو اتباع الوصف الإجمالي العام، بوصف مفصل نأتي فيه على الخصائص والنواحي الفرعية في الشيء الموصوف.

٦ ـ **إصابة الغرض**: وذلك بإبراز الناحية الهامة في الموصوف التي يقوم عليها جوهره.

للمحادثة:

١ ـ ما هو مدلول الوصف في اللغة؟
٢ ـ ما هما نوعا الوصف؟
٣ ـ ما موضوع الوصف؟
٤ ـ تحدّث عن أساليب الوصف.
٥ ـ ما هي الأمور التي يجب مراعاتها في الوصف؟

نماذج في الوصف

١ وصفُ الأشخاص

أ ـ وصفُ الخَلْق

أم يعقوب

أم يعقوب عجوز أوفت(١) على التسعين. وهي في عرف أبناء قريتها أرملة. أما في عرف نفسها فامرأة ذات بعل(٢). والسر في ذلك أن زوجها ـ وكان تاجر أغنام ـ سافر منذ سبعين سنة إلى الموصل ولم يرجع، ولا قام في تلك المدة الطويلة أي دليل على بقائه في الحياة، ولكنّ أم يعقوب كانت تقول: إنّ في قلبها «هاتفاً» ما انفك يؤكد لها أن زوجها حيّ يرزق «والإنسان قلبه دليله». أما أنهم أطلقوا عليها كنية «أم يعقوب» فمن باب المجاملة وحسن الجوار، وعلى سبيل التفاؤل لا أكثر.

إذا نظرت إلى أم يعقوب تتوكأ على عصاها المعقوفة الرأس، وقد تقوّس ظهرها حتى ليكاد جبينها يلامس الأرض، حسبتك، من غير

(١) أوفت: أشرفت.
(٢) بعل: زوج.

شك، تبصر عجوزاً تمشي إلى قبرها، وليس بينها وبينه غير بضع خطوات، ثم حسبتك لو نفخت عليها لهوت على الحضيض(١)، ولكنك متى عرفت أنها ما فقدت سناً من أسنانها ولا ضرساً من أضراسها، وأنها ما تزال تُدخل الخيط في ثقب الإبرة، وترفأ(٢) ثيابها وتغسلها بيدها، وأن لها ذاكرة ما محت الأيام شيئاً من مخزوناتها ولساناً ما فلَّت(٣) الأحداث من حدَّته، أقول لعلك لو عرفت ذلك لما تسرّعت في حكمك على أم يعقوب ولصدقت قولها أنها، لن تدفن قبل أن تدفن المائة الأولى وبعضاً من الثانية، فهي تكره الموت أشدّ الكراهية، ولا تنفك تردد: «الموت؟ لا كان الموت، أنا أريد أن أعيش».

ميخائيل نعيمة

تحليل النص

بدأ الكاتب نصّه بوصف مجمل، ذكر فيه أن أمّ يعقوب عجوز في التسعين من عمرها. ثم انتقل فبين مصدر كنيتها. وهذا كله توطئة لتفصيل الكلام في وصف أم يعقوب وصفاً خَلقياً، يبرز لنا صورة دقيقة لشخصيتها من الناحية الظاهرة فهي:

١ ــ تتوكأ على عصا معقوفة الرأس.

٢ ــ وهي مقوّسة الظهر.

٣ ــ صلبة العود رغم السنين التي تحملها على كاهلها.

وقد اهتم الكاتب بهذه النقطة الثالثة فبرع في خلق الصور

---

(١) الحضيض: الأرض.

(٢) رفأ الثوب: خاطه، لأم خرقه.

(٣) فلّت: أضعفت.

والمعاني التي يصل بها إلى غرضه، فأم يعقـوب لم تفقد سنّـا ولا ضرساً وهي حادّة البصر.. وقويّة البنية... إلخ.

للمحادثـة

من هي أم يعقوب؟ كم بلغت من العمر؟ كيف تبدو في عرف أبناء القرية؟ هل هي كذلك في عرف نفسها؟ ما هو السر في ذلك؟ لمَ أطلقوا عليها كنية أم يعقوب؟ علام تتوكأ أم يعقوب؟ هل تقوس ظهرها وإلى أي حد؟ هل أم يعقوب ما زالت تحتفظ بنشاطها؟ استخرج من النص العبارات التي تثبت ذلك؟

ب ـ وَصفُ الخُلُق

تيمورلنك

كان تيمورلنك من هؤلاء الأفذاذ الذين يظهرون من حين لآخر في التاريخ، فيصبغون أديم الأرض بالدماء أمثال: الإسكندر ونابليون. ويتجلّى عليهم الله كما يتجلّى[٢] على الأنبياء باسم الرحمن الرحيم أو الهادي الأمين. تواتيهم الظروف وتسعفهم الأقدار، فيقطعون الأرض طولاً وعرضاً، وشرقاً وغرباً، كما يقطع اللاعب رقعة الشطرنج، فيخربون ويدمرون، وينكلون[٣] بمن يقف في سبيلهم أو تحدثه نفسه بصدهم، قد جردوا من ضمير مؤنّب، أو وجدان مشفق، تلذّهم الدماء، كما يلذ الأكل الشهي النهم[٤] الأكول، أو كما يلذ الماء الزلال الظامىء الصادي. وكأن بينهم وبين الإنسانية ثأراً، فلا يهدأون حتى يقضوا عليها، ويطووا صحيفتها. وهم مع ذلك كلّه يعتقدون أن العناية الإلهية أرسلتهم ليدفعوا الظلم، وينشروا في الأرض راية العدل. وويل للإنسان من العقل، فهو قدير أن يسمّي أقسى الظلم غاية العدل، وأن يسمّي التخريب تعميراً، وأن يسمّي الوحشية إنسانية،

---

(١) الأفذاذ: ج فذ، الرجل الفرد.
(٢) يتجلى: يظهر.
(٣) نكل به: عذبه.
(٤) النهم: الشره.

وهو في كل ذلك يجد المنطق الذي يخدمه، والبرهان الذي يؤيده.

كان لتيمورلنك قلب أقسى من الحديد، وأصلب من الجلمُود[١]، لا تأخذه رأفة، ولا تَلِجُه[٢] رحمة، سُلّط على ممالك آسيا فدوّخها، وصاد سلاطينها، وأباد البلاد وأهلك الحرث والنسل، وأزهق[٣] النفوس، وبنى القلاع من الرؤوس، وكان كما حدّث عن نفسه «في مقدمة ثلاثة أشياء: الخراب والقحط والوباء».

ولكن كان له بجانب قسوته وغلظته جوانب غريبة، كان له فراسة[٤] في الأشخاص ولا فراسة إياس، تستخرج من أعماق الصدور ما يستخرجه القياس. وكان إلى هذا يألف الأولياء والعلماء، وتلذّه مجالستهم، ورؤيتهم، وأحاديثهم ومناقشاتهم، يستمد البركة من الأولياء ويزورهم، ويطلب دعاءهم، وإذا فتح بلدة دعا علماءها للمجاملة معهم.

أحمد أمين

تحليل النص

يدور هذا النص حول وصف شخصية تيمورلنك أحد كبار الغزاة والفاتحين الذين عرفهم العالم. ويختلف الكلام هنا، عن النص السابق لأن الكاتب لم يهتم بإبراز صفات «تيمورلنك» الخارجية، وإنما وجّه اهتمامه إلى شخصيته الباطنة، إلى ما يتعلق بطباعه وخلال نفسه،

---

(١) الجلمود: الصخر.
(٢) تلجه: تدخله.
(٣) أزهق: أباد.
(٤) الفراسة: المقدرة على معرفة الباطن من الظاهر.

ولذلك رسم لنا إياه خير رسم وأبرز ما انطوت عليه نفسه من صفات ولاسيما صفات القسوة، والرغبة في سفك الدماء، والفراسة، وألفة العلماء. كل ذلك بأسلوب هادىء وعبارات واضحة، تفصح عن الغرض وترمي إلى الغاية وهذا هو وصف الخُلُق.

للمحادثة

من يعتبر تيمورلنك؟ اذكر صفات هؤلاء الأفذاذ ـ ماذا تلذهم؟ ماذا يعتقدون رغم ظلمهم؟ باسم أي شيء يصور هؤلاء الظلم عدلاً؟ كيف كان قلب تيمورلنك؟ اذكر أعمال هذا الفاتح. ماذا حدّث عن نفسه؟ ما هي الجوانب الغريبة في شخصيته؟

٢ وَصْفُ العُمْران

الزهراء

كان الخليفة عبدالرحمن الناصر كلفاً[١] بعمارة الأندلس، وإقامة معالمها، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان. فأفضى[٢] به الإغراق[٣] في ذلك، إلى أن ابتنى مدينة الزهراء، البناء الشائع ذكره، المنتشر صيته. واستفرغ جهده في تنميقها[٤] واتقان قصورها، وزخرفة مصانعها؛ فاستدعى عرفاء[٥] المهندسين، وحشد برعاء البنّائين من كل قطر، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية. ثم أخذ في بناء المنتزهات، وإنشاء مدينة الزهراء الموصوفة بالقصور الباهرة، وأقامها بطريق البلد على ضفة قرطبة، ونسّق[٧] فيها كل اقتدار معجز[٨] ونظام.

---

(١) كلفاً: مولعاً.
(٢) أفضى به: انتهى به.
(٣) الإغراق: المبالغة.
(٤) تنميقها: زخرفتها.
(٥) عرفاء المهندسين: أشهرهم.
(٦) وفدوا عليه: جاءوا إليه.
(٧) نسّق: في الأصل رتب، وهنا جمع.
(٨) معجز: الذي يعجز عن الإتيان بمثله.

وكان قصر الخليفة متناهياً في الجلالة والفخامة. أطبق(١) الناس على أنه لم يبن مثله في الإسلام البتّة، وما دخل عليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل(٢) المختلفة إلا وكّلهم قطع، أنه لم ير له شبهاً، بل لم يتوهم كون مثله، ولو لم يكن فيه إلا السطح الممرّد(٣) المشرف على الروضة، المباهي بمجلس الذهب والقبة، وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة، وفخامة الهمة، وحسن المستشرَف(٤)، وبراعة الملبس والحلّة، ما بين مرمر مسنون(٥)، وذهب مصون، وعمد كأنما أفرغت في القوالب، وتماثيل لا تهتدي الأوهام إلى سبيل التعبير عنها... لكفى مثلاً.

وكنت ترى في مقصورة الخليفة بركة، يجري الماء فيها بصنعة محكمة، وفي وسطها يعوم أسد عظيم الصورة، بديع الصنعة، شديد الروعة، لم يشاهد أبهى منه فيما صوَّر الملوك في غابر الدهر، مطلي بذهب إبريز(٦)، وعيناه جوهرتان لهما وميض شديد، فيمجّ(٧) الماء من فيه في تلك البركة، فيبهر الناظر بحسنه، وروعة منظره، وثجاجة(٨) صبِّه، فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها، ويستفيض على ساحاته وجنباته. وهذه البركة وتمثالها من أعظم آثار الملوك في غالب الدهر لفخامة بنيانها وما يخص سائر البنايات. فكان الناصر قد

---

(١) أطبَق: أجمع.
(٢) النحل: ج نحلة وهي المذهب في الدين وسائر العقائد.
(٣) الممرد: المملس.
(٤) المستشرف: المنظر الذي يرى من شرف أي من مكان عال.
(٥) مسنون: ناعم.
(٦) الإبريز: الذهب الصافي.
(٧) يميج الماء: يخرجه.
(٨) الثجاجة: الانصباب.

جلب إليها الرخام الأول المجزّع[1] من مرية، والأبيض من غيرها، والورديّ والأخضر من إفريقية.

وبنى في القصر المجلس، وجعل في وسطه اليتيمة التي أتحف الناصر بها (أليون) ملك القسطنطينية، وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة، وهذا المجلس صهريج عظيم مملوء بالزئبق، وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب، قد انعقدت على حنايا[2] من العاج والأبنوس المرصّع بالذهب، وأصناف الجواهر، قامت على سوار من الرّخام الملوّن والبلور الصافي. وكانت الشمس تدخل في تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه، فيصير من ذلك نور يأخذ بالأبصار.

وكان بناء الزهراء في غاية الإتقان والحسن، وبها من المرمر والعمد كثير، وأجرى فيها المياه، وأحدق بها البساتين، وقد أتقنه إلى الغاية وأنفق عليه أموالاً طائلة. ووضع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملّون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها، محيط بها، ويتصل بعضها ببعض، وكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع. وتم بناء الزهراء بأربعين سنة.

المقّري

من كتاب «نفح الطيب»

---

(١) المجزع: ما كان فيه بياض وسواد.

(٢) الحنايا: ج حنية، الأقواس.

تحليل النص

استهلّ الكاتب الوصف بتبيان اهتمام الخليفة الناصر بعمارة الأندلس، ثم فصّل الكلام حول هذه الناحية، وخصَّ قصر الزهراء بوصف مسهب فأقام الدليل على روعة بنائه، وفخامته وعجيب صنعته، وألوان زخرفته، حتى أحاط بالموصوف من جميع نواحيه. وتوقف الكاتب عند مظاهر معينة في القصر، كالبركة القائمة في مقصورة الخليفة، والمجلس، وقرامد القصر الذهبية والفضية.

وظاهر أن هذا اللون من الوصف، حافل بذكر طرائق التوشية والزخرفة، من رخام ملون وبلور صاف، ومرمر وعمد، ونقوش بالذهب، بشكل نتحسس معه عظمة البنيان وجليل آثار العمران.

للمحادثة

بم كان الخليفة الناصر مولعاً؟ إلام أفضى به الإغراق في ذلك؟ فيم استفرغ جهده وكيف تم له اتقان بناء القصر؟ علام أطبق الناس؟ صف سطح القصر الممّرد؟ صف هذا الأسد. لمَ تعد هذه البركة من أعظم آثار الملوك؟ أين بنى الناصرُ المجلس وماذا جعل في وسطه؟ مم صنعت قرامد هذا القصر؟ بيِّن كيف كان الزهراء غاية في الاتقان والحسن؟

٣ وصف البلدان والأصقاع

الأسكيمو

في الأصقاع[١] الشمالية - بالقرب من القطب - يشتد الزمهرير، ويجمد الماء في البحار، وتنزل الثلوج كسفاً من السماء، فلا تدع مجالاً لمحراث حارث، ولا مسرحاً تتجلّى فيه صنعة صانع، ولا نهجاً[٢] لسالك، ولا طريقاً لقاطرة، ولا مرتعاً لماشية.

هنالك سهول واسعة مترامية الأطراف، قد تراكمت فوقها الثلوج وملأت أرجاءها، فلا تقع العين إلا على مثل ملاءة بيضاء ناصعة متلألئة، يسكنها قوم يدعوهم العالم المتمدن «بالأسكيمو»، ويسمون أنفسهم «بالرجال» يأكلون اللحم لا تنضجه نار ولا يوضع في قدر، وهم رجال يعتمدون على أنفسهم، ويتناولون طعامهم مندّى[٣] بعرق جبينهم، قد فتّقت[٤] لهم الحاجة ضروب الحيل، وأرشدتهم إلى طريق العمل. غالبهم الجوع فغلبوه. ووقف على أبوابهم الموت العاجل فطردوه.

---

(١) الأصقاع: ج صقع، الناحية، أو المكان.
(٢) النهج: الطريق.
(٣) مندى: مبلل.
(٤) فتقت لهم الحيلة: كشفت لهم.

وما ضرَّهم أنهم قليلو العدد، لا يقيمون بأرض مخضرة الأودية، فلقد سخّر الله لهم البحر ليأكلوا منه لحماً طرياً، ومنحهم أفئدة ذكية، ونفوساً لا تعرف الملل، وصبراً جميلاً، ونظراً صائباً، وجعل فيهم ميلاً إلى الدعابة[١] ورغبة في حلو الفكاهة، وأودع بين حنايا ضلوعهم قلوباً رحيمة، تفيض شفقة على أفلاذ أكبادهم وتحنو على الغريب، حتى أنهم ليطعمونه في يوم ذي مسبغة[٢]، يؤثرونه[٣] على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويفتّنون في طرق الاحتفاء به، غير أنهم لا يمدون الأيدي بالسلام ولا يهمّون بالقيام.

وقد كان من عاداتهم في التحية، إذا لقي الرجل أخاه أن يلصق كلاهما وجهه بوجه صاحبه، ويحك أنفه بأنفه مع اللين والرفق، ولكنّهم تركوا هذه العادة المضحكة، فلا تُرى الآن إلا بين الصبيان. وهم يحسنون الرماية ويولعون[٤] بالموسيقى، ولهم ميل إلى الزخرف، ودقة في الملاحظة، غير أنهم لا يقربون الماء، ولا يعنون[٥] بنظافة جسومهم.

وهم قوم بدن[٦] عضلاتهم مفتولة، وقامتهم قصيرة، وأرجلهم غلاظ معوجة، وألوانهم سمراء ضاربة إلى البياض، ولهم وجوه سمحة[٧] مستديرة، ركّبت فيها أنوف عريضة وعيون سوداء صغيرة،

---

(١) الدعابة: المرح والفكاهة.
(٢) يوم ذي مسبغة: شديد الجوع.
(٣) يؤثرونه: يفضلونه.
(٤) أولع بالشيء: أحبه حباً جماً.
(٥) يعنون: يهتمون، لا يعنون، لا يهتمون.
(٦) بدن: ضخام البنية.
(٧) سمحة: مؤنث سمح، والسمح في الأصل من كان من أهل الجود، ووجوه سمحة ليست سمجة.

وأفـواههم واسعة وأسنـانهم بيضاء لامعـة، تحجبها اللثـة إلا قليـلاً، وجلودهم ناعمة الملمس، ورؤوسهم كبيرة، عليها شعر أسود طويل، يقصّه الرجـال من الإمام حتى لا يغـطي عيونهم، والنسـاء يتعهدنـه ويمشطنه، ويعقدنه تيجاناً فوق رؤوسهن ويتباهين به. ولا تنبت لحى الرجال إلا قليلاً. وزي[1] المرأة والرجل واحد، ويصعب تمييزهما في بعض الأحيان.

وإنك إذا رحلت إلى جزيرة «الأرض الخضراء» ـ وذلـك حيث يكثرون ـ وجدتهم يأوون في الشتاء إلى بيـوت صغيرة من الثلج في شكل قباب مستديرة قليلة الارتفاع، تقام جدرانها على جوانب حفرة في الأرض لا يهتدي إلى بابها طارق إلا بعد طول النظر، وأنّى له ذلك، ومدخلها نفق[2] ضيّق لا يتسع إلا لمرور شخص واحد، وهو جاث[3] على يديه. فإذا قدر الله لك اجتياز هذا البرزخ، رأيت نفسك في مكان فاسد الهواء، كريه الرائحة، عديم النوافذ، لا ينفذ[4] إليه ضوء الشمس، ولا نور القمر، يصل رأسك إلى سقفه الذي علّق في وسطه ذبالة[5] ترسل أشعة ضيئلة في أرجائه، وفي جانب منه نسـوة جلسن على نحو مصطبة، وبين أيديهن جلود ولحم وعظام وشحم، وأطفال دون الفطام ملأ القذى عيونهم، وغطى الوسخ جلودهم: فهذه تصنع نعلاً لزوجها، وتلك تطعم زوجاً قد استلقى على ظهره، وهنا

---

(١) زيّ: لباس.
(٢) نفق: دهليز طويل.
(٣) جاث: من جثا، ركع ويداه على الأرض.
(٤) ينفذ، يدخل.
(٥) ذبالة: فتيل.

امرأة تتعهد[1] المصباح، تمدّه[2] بالشحم، وإلى يسارها أخرى تلبس ولدها الذي بعُد عهده بالماء، ثم تضعه في حقيبة مبطنة بريش طير وتللّبه[3] حتى يغلبه النوم. وهناك عجوز قد أمسكت قطعة من العظم وأخذت تعالجها حتى تصير سهماً من سهام الصيد.

أما في الصيف فيذوب الثلج، وينكشف وجه الأرض، فيسكن الأسكيمو خياماً تقام على عمد من أضلاع الحيتان، أو قطع الخشب الطافية يحملها اليهم الماء، وهم في هذا الفصل يميلون إلى الرحلة. وتقرب مساكنهم غالباً من الشواطىء، لأنهم من البحار يرتزقون وعليها يعتمدون، فتجري بهم زوارق صغيرة، طول الواحد منها نحو ثمانية عشر قدماً، وعرضه في منتصفه قدمان، وفي وسطه ثقب يكفي لجلوس شخص واحد. وأضلاع الزورق من قطع الخشب التي يلتقطونها أو من عظام الحيتان التي يقتلونها، وغطاؤها جلد متين يوصل بعضه ببعض، وتخاط أجزاؤه بغاية الدقة، حتى لا تدع مجالاً لقطرة ماء. وهي خفيفة يسهل حملها؛ والمجاذيف[4]، كذلك من العظام أو الخشب عالجوا صنعها فأحسنوه، وهم مهرة في الجذف. يخرجون بهذه الزوارق حتى في العواصف الشديدة، ولهم في كل حال نصيب من حماية الله وحسن رعايته، وكثيراً ما تغشاهم[5] الموجة بعد الموجة وتقلب بهم الفلك، وهم آمنون في مجالسهم فلا يرجف لهم قلب، ولا يضطرب فؤاد.

---

(١) تمده: تزوده.

(٢) تللبه: تهزه.

(٤) الجذف: التجذيف.

(٥) تغشاهم: تدهمهم.

في هذه المراكب يخرج جماعاتهم لصيد أنواع حيوان البحر التي تكثر في تلك الجهات، فيطعنونها بالرماح أو يرشقونها بالنبل، ويرمونها بسهام حادة متصلة بسيْر طويل ينتهي طرفه الآخر ببعض أوعية الحوت المنفخة التي تطفو[1] فوق الماء، لا يزالون يطاردون صيدهم على هذه الحال إلى أن يذوق الموت الزؤام، ومتى خارت قواه وتخاذلت أطرافه وأبطأ في حركته، وعلموا أنه لا محالة مأكول، اجتمعوا حول هذه السيور، وتناولوا أطرافها، وربطوها بقوائم الفلك، ورجعوا إلى أهلهم ظافرين غانمين.

ومن حسن حظهم أنه إذا جاء الشتاء، وجمد الماء صادفوا عجول البحر، وقد أحدثت ثغراً[3] في الجليد وطلعت منها تستنشق الهواء كما يفعل الإنسان، فيصوبون إليها الرماح، ويسددون السهام فيُصمونها[4]. وقد يترقبون ظهورها في هذه الفتح، حتى إذا ظهرت أخذوها على غرّة[5] فكانت غنيمة باردة. وهم كذلك يصطادون كذلك الطيور التي تأوي إلى تلك الأصقاع، ويقتلون ذوات الفِراء من الحيوان، وليس يخيفهم ويملأ قلوبهم رعباً سوى الدبّ القطبي. وأعز شيء لديهم كلاب قوية، طويلة الشعر، شبيهة بالذئاب، تميل إلى المشاكسة[6]، وعليها يعتمدون في رحلتهم، وحمل متاعهم، وجرّ أثقالهم وهي سريعة تقطع في اليوم نحو أربعين ميلاً.

وأولاد الأسكيمو غاية في النشاط وخفة الحركة، ولهم

---

(١) تطفو: تعوم.

(٣) ثغر: ج ثغرة، الفتحة.

(٤) يصمونها: من وصم بمعنى صدع.

(٥) على غرّة: فجأة.

(٦) المشاكسة: المخالفة، لصعوبة خلقها.

افتنان[1] في لعبهم، فتارة يصعدون فوق جبال الثلج، ومعهم زلّاجات صغيرة، فإذا وصلوا إلى القمة ركبوها فتنحدر بهم، وآونة يحتبون[2] فوق القمم ثم يتدحرجون.

وقبائل الأسكيمو منتشرة، مفكّكة الأوصال، ليس بينها رابطة اجتماعية أو عصبية قومية، وقد سرت[3] مبادىء المدنية إلى بعضها منذ اختلاطهم بالعالم المتحضر، وصلتهم بأوربا التي كانت سبباً لأمراض لا طاقة لهم بحملها. ولهم لغة مستقلة، كلماتها قليلة، لكنها كثيرة المعنى، فقد تغني الكلمة عن خمس عشرة كلمة من اللغات الأخرى، وهم أميّون لا يقرأون ولا يكتبون، ولا يدينون بدين معروف.

هؤلاء هم الأسكيمو، وذلك مبلغ حظهم في الحياة، ونصيبهم من العيش، ولولا رعاية الله، وتوفيق منه وسعي متواصل، وعزيمة لا يفلّها الدهر، لأتت عليهم حوادث الأيام وأبادهم ريب المنون. ولكن لا تموت الأمم، ولا تفنى الشعوب إلا إذا أخلدت إلى الراحة وركنت إلى الكسل وكثر المترفون فيها.

تحليل النص

يدور هذا النص حول ضرب جديد من ضروب الوصف، ألا وهو وصف البلدان والأصقاع. وموضوع هذا اللون هنا وصف «الأسكيمو».

وقد برع الكاتب في وصف طبيعة هذه المنطقة المتجمدة، حيث

---

(١) افتنان: مهارة.

(٢) يحتبون: من احتبى وضع يديه على مقدمة ركبتيه.

(٣) سرت: تسربت، دخلت.

لا تجد أثراً للخصب والعمـران، كما أجـاد في وصف سكان هـذه الأصقاع من الناحيتين الخَلقية والخُلقية، فإذا هو يعطينا صورة دقيقة عن أجسادهم وحياتهم، وعاداتهم، وطرق معيشتهم، وتـراه لا ينسى الكلام عن بيوتهم ووسائل الصيد عندهم، إلى غير ذلك من الحديث عن معيشتهم. وينهي هذا النص بالتحدث عن «الأسكيمو» اجتماعياً. فإذا هم «قبائل مفككة الأوصال، ليس بينها رابطة اجتماعية أو عصبية قومية».

للمحادثـة

أين تقع بلاد الأسكيمو؟ من يسكن تلك البلاد؟ ماذا سخّر الله لهم؟ اذكر بعض صفاتهم؟ كيف كانت عادتهم في السلام؟ ماذا يحسنون؟ وبم يولعون وإلى أي شيء يميلون؟ صف رجلاً من الأسكيمو من الناحية الخلقيـة. تحدث عن بيـوتهم؟ ماذا يفعلون في الصيف؟ أين يقيمـون منازلهم؟ صف كيف يصنعـون زوارقهم؟ بم يقتاتون في الشتاء؟ ما الذي يخيفهُمُ وعلام يعتمدون في رحلتهم شتاء؟ اذكر ما تعرفه عن قبائل الأسكيمو؟

* * *
* * *

٤ وصف الحيوان

النحل

ومما خصَّ الله به النحل، وأنعم عليها به، أن جعل خلقة صورتها وهياكلها وجميل أخلاقها، وحسن سيرتها وتصاريف أمورها، عبرةً لأولي الألباب وآية لأولي الأبصار. وذلك أنه خلق لها خلقة لطيفة، وبنية نحيفة وصورة عجيبة. بيان ذلك أنه جعل بنية جسدها ثلاث مفاصل محدودة فجعل وسط جسدها مُدمجاً مخروطاً، ورأسها مدوراً مبسوطاً، وركَّب في وسطها أربع أرجل ويدين متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المسدس في الدائرة، لتستعين بها على القيام والقعود، والوقوع والنهوض. وتقدر أساس بناء منازلها وبيوتها على أشكال مسدسات مكتنفات كيلا يداخلها الهواء فيضرّ بأولادها أو يفسد شرابها الذي هو قوتها وذخائرها.

وبهذه الأربعة الأرجل واليدين تجمع من ورق الأشجار والزهر والثمار الرطوبات الدهنية التي تبنى بها منازلها وبيوتها. وجعل سبحانه وتعالى على كتفها أربعة أجنحة خفيفة حريريّة لتسيح في الطيران في جو السماء. وجعل مؤخر بدنها مخروط الشكل مجوفاً مملوءاً هواء ليكون موازياً لثقل رأسها في الطيران. وجعل لهما حُمة حادة كأنها

شوكة وجعلها سلاحاً لها لتخوف بها أعداءها وتزجر بها من يتعرض لها أو يؤذيها. وفتح لها منخرين وجعلهما آلةً لها لتشمّ بها الروائح من الطّيبات. وجعل لها فماً مفتوحاً فيه قوة ذائقة تتعرف بها الطعوم الطيبات من الطعوم المشوبات. وجعل لها مشفرين حادّين تجمع بهما من ثمر الأشجار ومن ورق النبات والأزهار وأنوار الأشجار رطوباتٍ لطيفة، وجعل في جوفهما قوة جاذبة وماسكة وهاضمة طابخة منضجة تصيّر تلك الرطوبات عسلاً حلواً لذيذاً وشراباً صافياً وغذاء لها ولأولادها وذخراً أو عوناً لشتوتها، كما جعل في ضروع الأنعام قوة هاضمة تُصيّر الدم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

«إخوان الصفا»

تحليل النص

يدور هذا النص حول وصف النحل. وقد بدأ إخوان الصفا الحديث ببيان قدرة الله في خلقه، وأنه جعل النحل عبرة لأولي الألباب. وبعد أن أجملوا وصف خلقة النحل، راحوا ففصلوا ما أجملوا فذكروا أقسام النحلة وشكل كل قسم منها وعمله بدقة علمية، وهكذا لم يتركوا شيئاً يتعلق بطباع النحل وطرق معيشته ونواحي عمله، إلا أحصوه.

للمحادثة

بم خص الله النحل؟ كيف جعل الله بنيتها؟ تحدث عن كل قسم من جسدها، وبيّن ماذا ركب النحلة في وسطها؟ كيف يبني النحل بيوته؟ ولماذا؟ ماذا جعل الله على كتفها؟ كيف جعل مؤخر بدنها؟ بم تجمع ثمر الأشجار؟ أذكر منافع النّحل.

مواضيع في الوصف

للمعالجة

أولاً: في وصف الأشخاص:

الموضوع الأول: تطالعك وأنت ذاهب إلى المدرسة كل يوم، صورةُ فقير مقعد. صف هيئته وبيّن شعورك نحوه.

الموضوع الثاني: وقفت تتأمل أحد رجال شرطة السير وهو يؤدي حركاته بانتظام. صف لباسه وإشاراته، وبين أهمية عمله.

الموضوع الثالث: رأيت صيّاداً يحمل بندقيته في طريقه إلى الغابة المجاورة لصيد بعض العصافير. توسّع في وصف لباسه.

الموضوع الرابع: عند شاطىء البحر رأيت صياد سمك وقد رمى بصنّارته في الماء. صف هيئته وتقاطيع وجهه في المحاولات الناجحة والفاشلة.

الموضوع الخامس: عهد والدك إلى ميكانيكي لإصلاح سيارته، فأتيح لك بذلك أن تتأمل عمّال المصنع وتراقب أعمالهم. صف واحداً منهم في لباسه وعمله.

الموضوع السادس: اعتادت إحدى البدويات أن تزوّدكم كل يوم بحاجتكم من اللبن والحليب صفها بلباسها وجرّة اللبن على رأسها.

الموضوع السابع: صف مزارعاً، يحرث حقله، وقد لفحته أشعّة الشمس فنفرت عروقه وتصبّب العرق من جبينه، وبيّن قيمة المجهود الذي يقوم به.

الموضوع الثامن: صف أمك خَلقاً وخُلقاً.

الموضوع التاسع: صف رجلاً أعمى، وهو يتحسس الطريق بعصاه.

الموضوع العاشر: صف راعياً في جلسته تحت شجرة في الجبل، يوقع ألحاناً قروية على مزماره والقطيع منتشر أمامه.

الموضوع الحادي عشر: دخلت دكان بائع أقمشة بصحبة والدتك. صف البائع وهو يستجيب لرغبات الزبائن وبين طريقته في ذلك.

الموضوع الثاني عشر: استمعت إلى إحدى الخطب الحماسيّة. صف هيئة الخطيب وحركاته في المواقف المختلفة وبيّن كيف استطاع أن يلهب حماس الجمهور.

ثانياً: في وصف الطبيعة:

الموضوع الأول: صفّ الطبيعة عند مقدم الربيع.

الموضوع الثاني: صف حديقة دارك خلال فصول السنة الأربعة.

الموضوع الثالث: صف القرية عند شروق الشمس.

الموضوع الرابع: صف غروب الشمس، وبيّن شعورك إزاء هذا المشهد.

الموضوع الخامس: صف البحر في يوم عاصف.

الموضوع السادس: صف الريف في أيام الشتاء.

الموضوع السابع: زرت منطقة الأرز في أوقات التزلّج. صف منظر الثلج وقد خلع ثوبه الأبيض الناصع فوق القمم والجرود.

الموضوع الثامن: كان الجو صاحياً، وفجأة هبّت رياح عاصفة أعقبها هطول أمطار غزيرة صف تبدل الطقس المفاجىء وبيّن شعورك.

ثالثاً: في وصف حوادث ومشاهد مختلفة:

الموضوع الأول: صف باخرة تغرق، وقد ألقى البحّارة زوارق النجاة لإنقاذ ما أمكن من ركابها.

الموضوع الثاني: اصطدمت سيارة مسرعة بجدار فسببت بعض الأضرار صف هذا المشهد.

الموضوع الثالث: ابتعد أحد السبّاحين عن الشاطىء فخارت قواه وكاد الموج يصرعه. صف المشهد وكيف بادر ذوو الحمية إلى إنقاذه من غرق محتّم.

الموضوع الرابع: كنت عائداً مع والدك بالطائرة إلى بيروت، وفجأة طرأ بعض الخلل على محركات الطائرة ثم زال الخطر. صف حالة الركاب وبيّن شعورك في الموقفَيْن.

الموضوع الخامس: هطلت أمطار غزيرة، وسبب فيضان بعض الأنهر خسائرَ في القرى المجاورة. صف هذه المأساة وذيولها، وتحدث عن إجراءات الإنقاذ المختلفة التي اتخذتها الدولة والمؤسسات الاجتماعية.

الموضوع السادس: نتجت عن حوادث الزلزال التي ألمّت ببلدك، فواجع مؤلمة. صف ما سمعت أو رأيت واذكر شعورك.

الموضوع السابع: رأيت جزّاراً يقود خروفاً لذبحه. صف صراع الحيوان من أجل البقاء وبيّن شعورك.

الموضوع الثامن: رأيت ثلة من الجنود يحيون علم البلاد. صف هذا المشهد وتوسّع في التعبير عن عواطفك نحو الراية الوطنية.

الموضوع التاسع: حضرت مع رفقائك احتفالات عيد الاستقلال. صف الاستعراضات المختلفة وبيّن شعورك نحو جيش الوطن.

الموضوع الحادي عشر: شاهدت وقائع الاحتفال بذكرى الشهداء. صف عواطفك وما داخلك من شعور في هذا اليوم.

رابعاً: في وصف البلدان والأصقاع والآثار:

الموضوع الأول: زرت إحدى المناطق الجبلية لأول مرة، صف كيف يعيش سكان الجبال.

الموضوع الثاني: حلقت بك الطائرة فوق إحدى المدن. صف ما رأيت من عل وبيّن شعورك.

الموضوع الثالث: قامت مدرستك برحلة إلى بعلبك، زرتم خلالها آثار قلعتها التاريخية صف روعة هذه الآثار وبيّن شعورك.

الموضوع الرابع: صف كيف يعيش سكان الصحراء مستعيناً بمعلوماتك الجغرافية.

الموضوع الخامس: صف أحد الأصقاع في المنطقة الاستوائية وبيّن وسائل العيش وطريقة السكنى في هذه المناطق الحارّة البعيدة عن وسائل الحضارة والتقدّم.

المراسلة

إيضاح وتعريف:

المراسلة فن له أهميته بين فنون الإنشاء، لأن عليه المعوّل في نقل مشاعر الكاتب وأفكاره إلى المرسل إليه، ومن هنا كانت الرسالة بمثابة رسول بين متباعدَيْن، تقرّب بينهما المسافة، وتخفِّف من لواعج شوقهما وحنين الواحد إلى الآخـر. وهي في حال البعـد من أحسن الطرق لإبلاغ من نحب، الأغراض المختلفة، ونُعرب له عن مقاصدنا ومشاعرنا.

شروط الرسالة وآدابها:

وللرسالة شروط وآداب.

أولاً: شروطها :

من أهم شروط الرسالة البساطة «أي عدم التكلف»، والبيان «أي الوضوح» والإيجاز «أي بلوغ القصد من غير إسهاب» والملاءمة «أي أن تكون الرسالة متّفقة وعلاقة المرسِل بالمرسَل إليه.

ثانياً: آدابها:

أما آداب الرسالة فتتعلّق بأقسامها الأربعة وطريقة توسيعها.

هذه الأقسام هي:

١ ـ **فاتحة الرسالة**: وهي أن تفتح بذكر اسم المرسَل إليه وذكر ما يلائمه من نعوت كقولك: والدي المحترم ـ أخي العزيز ـ حضـرة الرئيس...

٢ ـ **الديباجة**: وهي مقدّمة الرسالة التي يعبِّر فيها المرسِل عن عواطفه نحو المرسَل إليه، كقولك: تحيةً واحتراماً ـ أقرئـك السلام، أبعث إليك بأصدق تحيات الأخوة...

٣ ـ **الغرض**: ويقال له القصد، وهو جوهر الرسالة، وغرضها الرئيس. وعلى المرسل أن يخصَّ هذا القسم بعنايته لأنه محور هذا اللون من الكتابة. ويتعلّق الغرض بمقاصـد شتى من حنين وشوق، وشفاعة وشكر وغير ذلك.

٤ ـ **الخاتمة**: وهي مماثلة للمقدّمة في فحواها. فعلى المرسل أن يختم رسالته بذكر مشاعره نحو المرسل إليه.

أنواع الرسائل:

الرسائل أنواع ثلاثة:

الرسائل الأهلية: وهي التي يتبادلها الأهل والأقارب فيما بينهم ومن شروطها أن تكون خالية من كل مظاهر التكلّف، مطبوعة بطابع الودّ.

الـرسائـل المتداولـة: كالـرسائـل التجاريـة، ورسائـل الاعتذار ورسائل النصح والعتاب والتهنئة والتعزية. وتراعى في كل منها شروط بعينها تتفق وطابع الرسالة(١).

---

(١) راجع في ذلك المصدر السابق مع نماذج عن كل قسم من أقسام الرسالة.

الرسائل العلمية: وهي التي يدبّجها المفكرون والأدباء في أغراض فكريّة عامة، ولا علاقة لها بفن المراسلة، موضوع هذا البحث.

نموذجان في المراسلة

أولاً

رسالة عبدالحميد إلى أهله

أما بعد، فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة[(١)] بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن[(٢)] إليها، ومن عضّته بنابها ذمها ساخطاً عليها وشكاها مستزيداً لها.

وقد كانت أذاقتنا أفاويق[(٣)] استحليناها، ثم جمحت[(٤)] بنا نافرة ورمحتنا[(٥)] موليّة فملح عذبها، وخشن لينها، فأبعدتنا عن الأوطان، وفرّقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة[(٦)] والطير بارحة[(٧)].

---

(١) محفوفة: محاطة.
(٢) سكن إلى الشيء: اطمأن إليه.
(٣) أفاويق: جمع الفيقة اللبن الذي يجتمع في الضرع، والمعنى إذا فتنا ضروباً من لذائذها.
(٤) جمع الفرس: غلب راكبه.
(٥) رمح: رفس.
(٦) الدار نازحة: بعيدة.
(٧) البارح: هو الذي يمر من اليمين إلى اليسار والعرب تتخذ هذا وسيلة للتشاؤم والتطير، وعكسه السانح: وهو الذي يمر من اليسار إلى اليمين وهو رمز اليمن.

وقد كتبتُ والأيام تزيدنـا منكم بعداً، وإليكم وجـداً. فإن تتم البليّة إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا، وأن يلحقنـا ظُفر جارح من أظافر من يليكم نرجع إليكم بذلّ الأسار[1] والذل شر جار.

نسأل الله الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة، في دار آمنة، تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه ربُّ العالمين وأرحم الراحمين.

تحليل النص

هذه رسالة من عبدالحميد الكاتب إلى أهله، وهي من الرسائل الأهلية التي يضمّنها الكاتب عادة لواعج قلبه وحنينه إلى الأقارب والخلّان.

وقد استهلّ عبدالحميد رسالته بذكر مسرَّات الدنيا ومصائب الـدهر، وأن الإنسان إما أن يساعده الحظ أو تعضه الأيام بنابها. ثم انتقل إلى الغرض من رسالته وهو الإعراب عن حزنه من الفراق، ومزيد وجده من الشوق. واختتمها بما يتلاءم ومقتضى الحال فسأل الله أن يجمع الشمل مع الأمن وسلامة البدن.

للمحادثة

كيف جعل الله الدنيا؟ ماذا أذاقت الدنيا الكـاتب؟ كيف كانت حـاله مـع الوطن والإخوان؟ في أي ظرف كتب عبدالحميد رسالته؟ ماذا سأل الله في نهاية الأمر؟

---

(١) الأسار: القيد، أو الأسر.

ثانياً

رسالة في التعزية

من علم أن القضاء واقع، وأن الأعمار رهائن المصارع، فلم يصحب دهره على غرّة(١)، ولم يفتر(٢) من الأقدار بفترة، لم تكبر عليه الرزيئة(٣) إذا اغتالت، ولم يطمئن إلى السلامة وإن طالت، فإن للدهر رقدة وهبّة، وإن لليالي كمنة(٤) ووثبة، ومثلك من أدرك مبادىء الأمور ومصايرها(٥)، وعرف موارد الحياة ومصادرها. وإنما الموت طوراً من أطوار الوجود، وآخر أعمال الحياة في الوجود. ولا أزيدك علماً بالكون وشرائعه، والكائن وطبائعه، إنما هي ذكرى لمن فجأه الرزء فشغله، وحلّ بساحته القضاء فأذهله.

وحسبي من التعزية علمي بما عندك من موارد العلم المباح ومن التـأسية(٦) مـا تعلمه من حـال مخاطبـك وهو سـائل الجـراح، ومـا

---

(١) الغرة: الغفلة.
(٢) يفتر: يسكن.
(٣) الرزيئة: المصيبة.
(٤) الكمنة: السكون والرقود.
(٥) مصاير الأمور: غايتها.
(٦) التأسية: التعزية.

أخلقني[١] بأن أقول إن رزءك هذا قد زادني شجناً[٢] على أشجاني، ونكأ[٣] ما تماثل[٤] من قرحة أحزاني. ولكنّي قد صيَّرني إلى حال لا تعمل فيها حال، ولا أبالي معها بسلم ولا قتال. فكأنما إياي عنى أبو الطيب حيث قال:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نِبال
فصِرتُ إذا أصابتني سهام تكسرت النصال[٥] على النصال

تحليل النص

هذه الرسالة، من الرسائل المتداولة، وغرضها الرئيس التعزية. وقد كان المرسل متفهماً لهذا اللون، ملمَّاً بنواحي هذا الأسلوب.

وقد بدأ الكاتب رسالته بوصف حال الدنيا، وأن الإنسان رهن القضاء والقدر. ثم أظهر حزنه الشديد وعظيم ألمه للمصاب الذي ألم بالمرسل إليه، فخفف من حدّة ألمه بمقاسمته شدة الأتراح. واختتم رسالته ببيتين للمتنبي صوّر فيهما من جديد حالة الأيام وأرزاءها التي تنزل بالأنام.

للمحادثة

كيف وصف الكاتب حالة الدهر؟ لم حاول الكاتب أن يذكّر المرسل إليه بواقع الدهر؟ اذكر كيف عزاه بعد ذلك عن مصابه؟ لماذا قاسم المرسِل المرسَل إليه أحزانه وأتراحه؟ وما وقع ذلك في نفس صاحبه؟

---

(١) ما أخلقني: ما أولاني.
(٢) الشجن: الحزن.
(٣) نكأ الجرح: أساله من جديد قبل أن يبرأ.
(٤) تماثل للشفاء: قرب من الشفاء.
(٥) النصال: ج نصل: وهو سنان الرمح وحد السيف القاطع.

مواضيع في المراسلة

الموضوع الأول: أنت ضابط في الكلية العسكرية، اكتب رسالة لصديق لك تصف له فيها ما تقوم به من أعمال وتمارين في الكليّة، وتعتذر له عن تقصيرك في الكتابة إليه.

الموضوع الثاني: كتبت رسالة إلى صديق لك تهنئه بالنجاح الذي أحرزه في الامتحان لوظيفة رسميّة مبيناً شعورك نحوه مقدّراً كفاءته.

الموضوع الثالث: اكتب بلسان صديقك جواباً على الرسالة السابقة.

الموضوع الرابع: لك صديق في المهجر، اكتب إليه رسالة تدعوه فيها للعودة إلى الوطن والعمل على خدمته بالتضامن مع سائر الموطنين محاولاً أن نبيّن مضار الهجرة ومساوئها بالنسبة لبلده.

الموضوع الخامس: اكتب جواباً على الرسالة السابقة، بلسان صديقك الذي يذكر حنينه إلى الوطن، وأنه أزمع العودة إليه عملاً بنصيحتك له.

الموضوع السادس: اكتب رسالة إلى أحد العملاء من التجار تخبره فيها عن وصول البضاعة المرسلة واصفاً له حالتها، وجودتها طالباً منه العمل لاستلامها.

الموضوع السابع: اكتب رسالة إلى رئيس مصنع وهو من معارفك، تلتمس فيها أن يؤمن لك عملاً يتفق وخبرتك الطويلة بالشؤون الصناعيّة.

الموضوع الثامن: اكتب رسالة تشكر فيها صديقك رئيس المصنع على ما أبداه من اهتمام بأمرك، وعلى تلبيته لرغبتك.

الموضوع التاسع: اكتب رسالة إلى أخيك الأصغر الذي يتابع دراسته في الخارج، تحثّه فيها على الجد والعمل المثمر، وتنصحه بعدم إغفال واجباته محذّراً إياه من مغبة الاسترسال في اللهو والعبث.

الموضوع العاشر: اكتب جواباً على الرسالة السابقة بلسان أخيك الذي يشكرك على ما أبديته له من نصح ثمين، والذي يعدك بأن يكون عند حسن ظنك، ذاكراً لك بعض أخبار نجاحه وتفوّقه.

الموضوع الحادي عشر: اكتب رسالة توصي فيها أحد معارفك من ذوي المناصب الكبيرة، بزميل لك طالباً إليه أن يعمل بطرقه الخاصة على إيجاد عمل مناسب له.

القِصَّة

إيضاح وتعريف:

الفن القصصي من أقدم الفنون الأدبية، وأكثرها تأثيراً في حياة الشعوب. وتعتبر القصّة من أغنى الأساليب الكتابية في التعبير عن العواطف والمشاعر وسائر الميول والرغبات الإنسانية، ولذلك نجدها في أقدم الآثار الأدبية التي عرفت عند الشعوب الغابرة سواء منها الآثارة المنقوشة في الحجارة، أو المكتوبة على ورق البردي، أو الآثار المدوّنة على العظام أو سعف النخل أو في الورق العادي.

أطوار الفن القصصي:

أولاً: الحكاية[1]: وهي عبارة عن قصة سماعية في الغالب، تروى بواسطتها بعض الحوادث سواء منها المختلقة التي هي من اختراع الخيال أو الحوادث التي وقعت وبالغ الخيال في وصفها.

ثانياً: الرواية: وتمتاز عن الحكاية بأنها ليست سماعية، بل هي مكتوبة وذات شروط معينة. وهي في الواقع قصة طويلة متعددة الحوادث والشخصيات وتروي حوادث وقعت أو ممكنة الوقوع.

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن إطلاق هذه الأسماء: الحكاية، الرواية، القصة، لا يزال يعتوره شيء من التشويش.

ثالثاً: القصّة: ونقصد تلك المسمّاة بـ: القصة الفنّية أو الحديثة، تمييزاً لها عن الطورين السابقين.

والقصة الفنية عبارة عن سرد لحادثة من الحوادث بأسلوب أدبي، من أبرز خصائصه جدّة الموضوع وبلاغة الإيجاز، وبراعة الأسلوب الذي يثير رغبة القارىء في تتبع مجرى الحادثة، ويستحوذ على مشاعره وينال إعجابه(١).

أصول القصة الفنّية:

للقصة الفنية عناصر أربعة هي: التمهيد، السياق، العقدة والذروة، الحل، فالخاتمة وفيما يلي الحديث عن كل منهما:

أ ــ التمهيد: وهو مقدّمة القصة، الغاية منه تعيين مكان وزمان الحوادث وشخصية بطل القصة البارزة التي تبنى تلك الحوادث عليها. ومن الأصول التي يجب أن يراعيها القاصّ في هذا الجزء أن يكون أسلوبه مبتكراً بحيث يجذب القارىء ويمتعه.

ب ــ السياق: وهو عبارة عن مجرى الحوادث ابتداء من التمهيد فالعقدة، فالخاتمة، في كثير من ترتيب ونظام وعدم تشويش.

ج ــ العقدة والذروة: العقدة هي النقطة من القصة التي تتأزم فيها الحوادث تأزماً مثيراً، والذروة هي قمة هذا التأزم التي ترتفع بالقارىء إلى أعلى مراتب التأثر والانفعال الشديد.

د ــ الحلّ: وهو يتفق مع الذروة من حيث أنه قمة الإثارة، ولكن أسلوب الحلِّ يختلف اختلافاً كلياً عن أسلوب الذروة ففي هذا

---

(١) راجع في الجزء السابق من «النموذج في الإنشاء» توسيع الكلام عن فن القصة.

الجزء الحيّ من القصة، يجب أن يجد القاصّ مخرجاً مفاجئاً ومعقولاً في آن معاً لتأزم الحوادث، يزيل توتر القارىء دون أن يفقده اللذة الفنيّة.

نموذج في القصة

الدخلاء

السياق: التمهيد:

في ليلة من ليالي الشتاء، وقف رجل في غابة مشتبكة النبات على جبال الكربات الشرقية، يراقب ويستمع، كأنّ وحشاً من وحوش الغابة يقترب إلى مدى بصره، ثم إلى مدى غدّارته.

ولكن الصيد الذي كان يرتقبه بانتباه شديد لم يكن بحال ما من الصيد الذي يبيحه القانون! ذلك «أن ألريش فون» كان يذرع الغابة المظلمة بحثاً عن عدو آدمي!

كانت الغابة التي يملكها «جردفتز» واسعة فسيحة الأرجاء، مكتظة بوحوش الصيد. ولم يكن طرفها الضيق المنحدر ملحوظاً بكثرة الوحوش التي تأوي إليه وحسن مواقع الصيد فيه، ولكنه ـ دون سائر أملاك صاحبه الواسعة ـ كان أشدها حراسة وأكثرها نصيباً من اهتمامه.

قد استردّها جده قسراً ـ بعد قضية كبيرة ـ من يد جار دنيء كان يستولي عليها بغير حق، ولكن الفريق الذي انتزعت منه لم يرض قط بقرار المحكمة. وظلت العلاقات تسوء بين الأسرتين مدى ثلاثة

أجيال، بسبب السطو على الغابة وسرقة الصيد منها وما شابه ذلك من الدنايا.

ثم أصبحت الخصومة العائلية خصومة شخصية منذ أصبح «ألريش» سيد العائلة وصار يحسّ ملء قلبه بالكراهية والبغضاء «لجرج زناييم» وارث الخصومة وسارق الصيد، الذي لا يفتأ يغير على البقعة المختلف عليها.

وربما كان من الممكن أن تنطفىء تلك الخصومة أو تصل إلى الصلح لو لم تقف أحقاد الرجلين الشخصية في الطريق. ففي طفولتهما كان كل منهما يتعطش لدماء الآخر وفي رجولتهما كان كل يدعو الله أن ينزل بالآخر المصائب والآلام.

وفي تلك الليلة العاصفة كان «ألريش» قد جمع رجاله ليراقبوا الغابة المظلمة - لا بحثاً عن ذوات الأربع من الوحوش - ولكن ترقباً للصوص الذين كان يتوقع دخولهم من طرف الغاب.

وكانت الغزلان التي تأوي عادة إلى بعض الأشجار تحتمي بها من الريح العاصف، تجري كأنما تساق سوقاً. وكان القلق والاضطراب يسودان المخلوقات التي تعودت أن تنام في ظلام الليل. ما من شك في أن شيئاً مثيراً قد دخل إلى الغابة. . . ويستطيع ألريش أن يحزر من أي أرجائها استطاع أن يتسلل.

وقد ترك رجاله الذين وضعهم في كمين على قمة التل، ودلف وحيداً إلى المنحدرات الزلقة التي تكتنفها الأعشاب المشتبكة، وهو يرقب من بين جذوع الأشجار، وينصت وسط صرير الريح في الأغصان المرتعشة، لعلّ سمعه أو بصره يقع على قطّاع الطريق.

لو أنه في تلك الليلة القاسية في ذلك المكان المظلم المنعزل، قد لقي «جرج زنابيم» وجهاً لوجه بغير شاهد ولا رقيب.

تلك كانت الأمنية التي تسيطر على أفكاره.

العقـدة:

وبينما هو يستدير حول جذع شجرة ضخمة إذا به وجهاً لوجه أمام الرجل الذي يبحث عنه...

وقف الخصمـان يحدق كـلّ منهما في الآخـر فترة طـويلة في صمت، وكان كلاهما يحمل غدّراته في يده، وحقده في قلبه، ونية القتل تسيطر على أفكاره. لقد سنحت الفرصة أخيـراً لتحقيق نوازع العمر بأجمعه. ولكن الشخص الذي ربي في قيود المدنية لا يستطيع أن يحمل أعصابه على قتل جاره هكذا في هدوء وبدون كلمة مغضبة، إلا أن يكون قد أسيء إلى شرفه أو بيته.

وقبل أن تنتهي لحظة الصمت إلى عمل أو حركة، حدث من حركات الطبيعة ما أفزعهما معاً وهدّد كيانهما، فقد صرخت العاصفة مدويّة، أعقبها صوت تحطيم الشجرة القريبة التي هوت عليهما هادرة كالرعد، ووجد «ألريش» نفسه ممدداً على الأرض، وقد خدرت تحته إحدى ذراعيه بينما اشتبكت الأخرى في فرع متشابك الأغصان عاجزة عن التخلص، وقد أنقذه حذاء الصيد الثقيل، من تحطّم قدميه. ولكن مهما خفّت إصابته عما كان يتوقع، فإنه ولا شك عاجز عن الحركة في موقفه الراهن حتى يحضر أحد لنجدته.

وكـانت الأغصان في أثنـاء سقوطهـا قد سلخت جلد وجهـه، فاحتاج أن ينفض عن جفنيه بضع قطرات من الدم حتى يستطيع أن يدرك ما حوله من حدث.

وكان جرج زناييم على مقربة منه بحيث لو شاء ـ في الأحوال العادية ـ لاستطاع أن يلمس جسمه المضطرب الذي يصارع الأغصان الملتفّة حوله. ولكنه كان مثله عاجزاً عن تخليص نفسه، فقد تراكمت حولهما الأغصان المحطّمة والجذوع المتناثرة.

وقد سر «ألريش» أنه لم يزل حياً، بينما أثار في نفسه منظر غريمه شهوة التحرش فجرى على لسانه خليط عجيب من الشكر لله واللعنات لعدوّه.

أما جرج الذي كاد يعميه الدم النازف من جفنيه فقد وقف عن الصراع لحظة يستمع إلى ألريش ثم ضحك ضحكة قصيرة عالية وصاح:

ـ أنت إذن لم تمت كما كنت تستحق. ولكنك حبيس على أي حال، ومقيّد بشدة يا لها من نكتة بارعة. «ألريش فون جردفتز» يقع في حبائل الشرك في داخل غابته المسروقة. ذلك قصاص عادل.

وضحك مرة أخرى ضحكة وحشية ساخرة.

فجاوبه ألريش: «إنني مقيّد في غابتي الخاصة. وعندما يحضر رجالي لفك قيودي فربما تمنيت أنك كنت في وضع أفضل من ضبطك وأنت تسرق من أرض جارك. يا للعار!».

فصمت جرج برهة ثم قال بهدوء:

ـ أأنت على يقين من أن رجالك سيجدون فيك ما تفك قيوده؟ إن لي رجالاً في الغابة أيضاً. وهم ورائي على مقربة مني وسيجيئون أولاً فيخلصونني. وإذ ذاك لن يجدوا جهداً كبيراً في إلقاء ذلك الحطام المتناثر على أم رأسك. حتى إذا جاء رجالك وجدوك ميتاً تحت شجرة هاوية، وسأرسل من باب «الشكليات» تعزية لأسرتك!

فقال «الريش» بحدّة: «فكرة مفيدة إن لدى رجالي أوامر بأن يتبعوني بعد عشر دقائق. وقد مرّ منها ما يقرب من سبع حتى الآن. فإذا جاء رجالي وأخرجوني من تحت الأنقاض، فسأتذكر فكرتك. ولكن، نظراً لأنك لقيت حتفك وأنت تسرق في أرضي فلا أجد من الصواب أن أرسل أية تعزية إلى أهلك!

فصاح جرج: حسناً، حسناً. إننا نقتتل في معركتنا تلك حتى الموت. أنا وأنت ورجالنا دون أن يدخل بيننا الدخلاء. لك الموت وعليك اللعنة يا ألريش فون جردفتز.

ــ وعليك مثل ذلك يا جرج زناييم، يا سارق الصيد ومقتحم الغابات.

كان كل منهما يتكلم بمرارة من يتوقع الهزيمة. فقد كان كلاهما يعلم أن رجاله ربما أبطأوا في تفقده. وكان سبْق أي فريق للآخر مسألة متروكة للصدفة وحدها. وقد كفّ عن محاولة التخلص من ركام الأنقاض التي طرحتهما على الأرض. فقد كانت محاولة عقيمة، واكتفى «ألريش» بمحاولة تقريب ذراعه الحرة نوعاً ما من جيب سترته الخارجي ليخرج منه زجاجة من النبيذ. حتى أنه بعد أن استطاع ذلك بالجهد والمشقة، وجد نفسه في حاجة إلى جهد آخر لفتح الزجاجة ثم لإفراغ جرعة منها في حلقه.

لم يكن ما نزل من الثلج إلا كمية ضئيلة، فكان ما تعرض له الرجلان من البرد قليلاً نسبياً، ومع ذلك فإن جرعة النبيذ قد سرت بالدفء والحياة في جسم الرجل الجريح. فنظر بشيء يشبه العطف إلى عدوه الملقى على الأرض وقد حبس صرخات الألم والإجهاد عن شفتيه ولما يكد.

ثم سأله فجأة: «أتراك تستطيع أن تصل إلى هذه الزجاجة لو ألقيتها إليك» إن فيها نبيذاً جيداً. وعلى الإنسان أن يجتهد في طلب الراحة ما أمكنه ذلك. فلنشرب ولو كان مقدوراً على أحدنا أن يموت الليلة»!

فقال جرج: «لا، لا أستطيع أن أرى شيئاً، فالدم قد جمد على عيني. ثم إني لا أشرب بحال من الأحوال مع عدوّ لي»!

الحل:

فصمت «ألريش» بضع دقائق وأخذ ينصت ساكناً لأنّات الرياح الثقيلة. لقد كانت في رأسه فكرة تنمو في بطء وتزداد قوة كلما نظر إلى الرجل الذي يصارع الألم والجهد بهذا العنف. وأحس ألريش وسط آلامه وشعوره بضعفه أن البغضاء القديمة الحادّة قد بدأت تهبط وتموت.

ونادى رفيقه: «يا أيها الجار. اصنع ما بدا لك إذا حضر رجالك أولاً. لقد كانت المعركة عادلة. أما عن نفسي فقد غيّرت رأيي. فإذا جاء رجالي أولاً فستكون أنت أول من تفك قيوده، كأنّك ضيفي. لقد تصارعنا حياتنا كلّها كالشياطين حول هذه القطعة من الغابة التي لا تستطيع حتى أشجارها أن تثبت في ليلة عاصفة. وقد رأيت - في أثناء تفكيري - وأنا ملقى هنا الليلة - أننا كنا في ذلك مغفلين. ففي الحياة ما هو أجمل من التغلب في معركة على قطعة أرض. يا أيها الجار، إذا ساعدتني في دفن الأحقاد القديمة فإني . . . إني أسألك أن تكون لي صديقاً»!

ظل «جرج زناييم» صامتاً لحظة طويلة حتى خيّل لألريش أنه لعله فقد وعيه من شدة الألم والجراح. ولكنه تحدث أخيراً في بطء

حديثاً متقطعاً: «تصور كم سيدهش الناس إذا ركبنا معاً إلى السوق. ما من حيّ واحد يذكر أنه رأى أحداً من «زنابيم» يحادث أحداً من عائلة «فون جردفتز» حديث صداقة. وما أروع السلام الذي سيضفي بجناحية على سكان الغابة لو أننا تخلصنا الليلة من أحقادنا... وإذا رأينا نحن أن نقيم السلام بين أسرتينا فليس هناك من يتدخل في قرارنا هذا... ليس هناك دخلاء من الخارج. وستأتي أنت فتقضي ليلة العيد تحت سقفي... وأذهب أنا لأتناول الطعام في قصرك ذات يوم من الأيام الكبيرة... ولا أطلق طلقة واحدة في أرضك إذا دعوتني كضيف. وتأتي أنت فتصطاد معي في أرضي الطيور البرية. ليس هناك في هذه البقعة من يستطيع أن يمنعنا من إقامة السلام إذا رغبنا في إقامته.. إنني ما فكرت يوماً في أن أحس نحوك إلا البغضاء والحقد طوال حياتي، ولكني أعتقد أنني أنا أيضاً قد غيّرت رأيي في المسألة، في نصف الساعة الأخير... ألريش فون جردفنز... سأكون صديقك»!

ثم سكت الرجلان برهة طويلة كانا في أثنائها يديران في رأسيهما التطورات العجيبة التي سيؤدي إليها هذا الصلح الفذّ. وبقيا في الغابة الباردة المكفهرة حيث تعول الريح وتصفر خلال الأغصان العادية وحول الجذوع الخاوية ـ في انتظار الرجال الذين سيحضرون لنجدة الطرفين. ودعا كل منهما ربَّه من إظهار مروءته لعدوه الذي أصبح صديقه!

فلما سكنت الرياح قليلاً قطع السكون «الريش» بقوله:

«فلنسرسل صيحتنا طلباً للنجدة. فربما استطاعت أصواتنا في هذا السكون أن تصل إلى مدى أبعد».

فقال جرج: لن تمتد أصواتنا بعيداً بين الأشجار والأغصان الملتفة، ولكن فلنحاول معاً».

ثم صاح الإثنان معاً صيحة ممطوطة. وبقيا بضع دقائق ينتظران عبثاً صيحة الجواب. فعاد «ألريش» يقول:

«فلنصح معاً مرة أخرى».

ثم قال بعد قليل: «أظن أنني سمعت شيئاً في هذه المرة».

فقال جرج بصوت مبحوح: «لم أسمع شيئاً إلا الريح المعولة».

وساد الصمت مرة أخرى عدة دقائق. ثم صاح «ألريش» صيحة ملؤها السرور: «أستطيع أن أرى أشباحاً آتية نحونا خلال الغابة. إنهم قادمون من الطريق الذي اتخذته من سفح التل».

ثم صاح الرجلان صيحة أودعا فيها كل ما بقي في صوتهما من قوة.

وعاد «ألريش» يقول: «إنهم يسمعوننا! لقد توقفوا. إنهم يروننا الآن. وها هم أولاء ينحدرون نحونا من جانب التل».

فسأل جرج: «كم من الرجال ترى!».

فأجابه «ألريش»: «لا أستطيع أن أحدّد بالضبط. تسعة أو عشرة».

فقال جرج: «إذن فهم رجالك. فقد كان معي سبعة فقط».

وقال «ألريش» مسروراً: «إنهم قادمون بأقصى ما يستطيعون من قوّة يا لهم من فتية شجعان!»

فسأله جرج: «أهم رجالك!»... ثم كرّر السؤال ثانية بصبر نافذ حين وجد «ألريش» لا يجيب.

فأجابه ألريش: «لا». قالها وهو يضحك ضحكة رجل لم يفقده الهول ترابط أعصابه فسأله جرج وهو يحاول بشدة فتح عينية ليرى ما حوله: «من هم إذاً!».

الخاتمة:

ـ «الذئاب»...!

هكتورهيومنرو
ترجمة: محمد قطب

تحليل النص

هذا نموذج من القصة القصيرة أو الحديثة، التي تدور حول خصومة دفينة بين عائلتي جردفتز وزناييم وكيف أن هذه الخصومة آذنت أن تنقشع عن سلام ومحبة، لولا أن جاء الدخلاء.

فالدخلاء ـ وهم الذئاب ـ عنوان لهذه القصة الغنية بأجوائها، الرائعة في حوارها، القوية في حبكتها وعقدتها، والبالغة منتهى الفن القصصي في حلّها وختامها.

* * *

الحِوار

إيضاح وتعريف:

الحوار لغة مصدر حاوره، أي جاوبه وراجعه الكلام. وهو من فنون الكتابة، ومن طرائق التعبير التي يعمد إليها الأدباء، والبلغاء، لإيضاح الكلام حول أمر من الأمور، على سبيل المداولة بين شخصين أو أشخاص عدة. وقد استند إليه كثير من الحكماء كأسلوب من أساليب التفكير، وكان سقراط من أبرز الفلاسفة الذين اتخذوه أسلوباً أو طريقة في الجدل.

وإذا نظرنا إلى الحوار من الناحية الاجتماعية ألفيناه بعيد الأهمية، لأنه لسان التخاطب بين الناس في مختلف أصقاعهم وأقطارهم.

أسلوب الحوار وشروطه:

وللحوار أسلوب معروف هو توالي الكلام بين اثنين أو أكثر من المتحاورين، كل يعطي رأيه حول موضوع معين. وكثيراً ما يقتصر هذا الأسلوب على شخصين دون غيرهما.

ويحبّذ في أسلوب الحوار، أن تراعى الدقة والاتزان، وإثارة الكلام حول موضوع البحث، والابتعاد عن الحشو والابتذال. ومن هنا

كان الحوار من أصعب الفنون الكتابية، لما يستلزمه من شروط أدبية وفنية.

وللحوار شروط أهمها أن يكون مبنى ومعنى، متّفقاً وأحوال المخاطب، أي أن يلائم الحوار، شخصية المتكلم. فمهمة الكاتب عسيرة في أن يجعل الحوار ملوناً بألوان الشخصيات التي يجعلها تنطق بأفكاره ومبادئه وغاياته.

وقد عمد بعض الكتاب إلى إجراء الحوار على ألسنة البهائم كما هي الحال في بعض أمثال كليلة ودمنة لغايات متعددة فكرية وأدبية بعينها.

ولا بد أن نشير إلى أنّ الحوار من أوسع طرائق الكتابة فهو يدخل في كل باب من أبوابها سواء في الوصف أو في القصة، أو في الشعر.

عناصر الحوار:

عناصر الحوار ثلاثة: التمهيد، المحاورة، الختام.

١ ـ **التمهيد**: وهو عبارة عن مقدمة وجيزة توضح الفكرة الأساسية التي يدور حولها الحوار، كما تبيّن كيف اجتمع المتحاورون، وكيف بدأوا حديثهم.

٢ ـ **المحاورة**: وهو الكلام المتداول بين المتحاورين، الذين يحاول كل منهم أن يبدى فيه وجهة نظره، المؤيدة لها.

٣ ـ **الختام**: وهو الخروج من الحوار بحكم عام إما أن يكون في صالح أحد المتحاورين، أو أن يكون داعياً إلى المصالحة والتسوية.

نموذج في الحوار

حديث قطّين

التمهيد:

تقابل قطّان: أحدهما سمينٌ تبدو عليه آثار النعمة، والآخر نحيف يدل منظره على سوء حاله.

وكان القطّ الهزيل مرابطاً في زُقاق، وقد طارد فأرة فدخلت في جُحر لها، فوقف المسكين يتربص بها أن تخرج. وكان القطّ السمين قد خرج من دار أصحابه يريد أن يُفرج عن نفسه، فأبصر الهزيل من بعيد، فأقبل يمشي نحوه. ورآه الهزيل وجعل يتأمله وهو يتخلع تخلُع الأسد في مشيته.

وأقبل السمين حتى دنا منه، وأدركته الرحمة له، إذ رآه نحيفاً منقبضاً، طاوي البطن، بارز الأضلاع، كأنما همّت عظامه أن تترك مسكنها من جلده، لتجد لها مأوى آخر.

المحاورة:

فقال له: ماذا بك؟ وما لي أراك مُتيبساً كالميت في قبره غير أنك لم تمت؟ أفلا يسقونك اللبن، ويطعمونك الشحمة واللحمة،

ويأتونك السمك ويقطعون لك الجبن أبيض وأصفر، ويفتّون لك الخبز في المرق، ويؤثرك الطفل ببعض طعامه، وتدلل الفتاة على صدرها، وتمسحك المرأة بيديها، ويتناولك الرجل كما يتناول ابنه. . .؟ وما لجلدك هذا مُغبراً كأنه لا تلطعه بلعابك، ولا تتعهده بتنظيف. وأراك ضعفت وجهدت كأنه لا يركبك من حب النوم على قدر من نعيمك ورفاهيتك، وكأن جنبيك لم يعرفا طنفسة ولا وسادة، وما أشبهك بأسد أهلكه ألا يجد العشب الأخضر والهشيم اليابس.

قال الهزيل:

وإن لك لحمة وشحمة، ولبناً وسمكاً، وجبناً وفتاتاً وإنك لتقضي يومك تلطع جلدك ماسحاً وغاسلاً، أو تنطرح على الوسائد والطنافس نائماً ومتمدداً. أما والله لقد جاءتك النعمة والبلادة معاً، وربحت شبعاً وخسرت لذّة، عطفوا عليك وأفقدوك أن تعطف على نفسك، وحملوك وأعجزوك أن تستقلَّ، وقد صرت معهم كالدجاجة تُسمنُ لتذبح، غير أنهم يذبحونك دلالاً ومالاً. إن كان أول ما في الحياة أن تأكل، فأهون ما في الحياة أن تأكل، وما يقتلك شيءٌ كاستواء الحال ولا يُحييك شيء كتفاوتها، ولكن أين أنت عن العلل التي تُحركنا إلى لذات أعضائنا ومتاع أرواحنا، وتهبنا من كل وجودنا الأكبر، وتجعلنا نعيش من قبل الجسم كله، لا من قبل المعدة وحدها؟

قال السمين:

تا الله لقد أكسبك الفقر حكمة وحياة. ناشدتك الله إلا ما وصفت لي هذه اللذات.

فقال الهزيل:

إنك ضخم ولكنك أبله، أما علمت ـ ويحك ـ أن لهفة الحرمان هي التي تصنع في الكسب لذة الكسب، وكيف لك بذلك وأنت وادع محصور من الدنيا بين الأيدي والأرجل؟ إنك كالأسد في القفص قصرت أجمته، ولم تزل تصغر حتى رجعت قفصاً يحدّه ويحبسه، فصغر هو ولم يزل يصغر حتى أصبح حركة في جلد. أما أنا فغيضتي أبداً تتسع ولا تزال تتسع أبداً، وإن الحرية لتجعلني أتنسم من الهواء لذة مثل لذة الطعام، واستروح من التراب لذة كلذة اللحم. ولقد كنت الساعة أختل فأرة انجحرت في هذا الشقّ فطعمت منها لذة وإن لم أطعم لحماً، وبالأمس رماني طفل خبيث بحجر يريد عقري، فأحدث لي وجعاً، ولكن الوجع أحدث لي الاحتراس. هل ذقت أنت لذة الفرصة والنهزة، أو وجدت يوماً فرح النجاة بعد الروغان من عابث أو باغ أو ظالم؟ وهل نالتك لذة الظفر حين هولك طفل بالضرب فهزمته أنت بالعض والعقر فولّى عنك منهزماً لا يلوي؟

قال السمين:

وفي الدنيا هذه اللذات كلها وأنا لا أدري؟ هلمَّ أتوحش معك، ليكون لي مثل دهائك واحتيالك، وسأتصدى معك للرزق أطارده وأواثبه.

الخاتمة:

فقطع عليه الهزيل وقال:

يا صاحبي إن عليك من لحمك ونعمتك علامة أسرك، فلا يلقانا أول طفل إلا أهوى لك فأخذك أسيراً، وأهوى عليّ بالضرب. لأنطلق حراً: فأنت على نفسك بلاء، وأنت بنفسك بلاءٌ عليَّ.

مصطفى صادق الرافعي

تحليل النص

يدور هذا النص حول فكرة تتعلق بفلسفة الحياة وكل من القطين اللذين اختارهما الكاتب لإبراز هذه الفكرة، يتقمّص شخصية إنسانية تدافع عن وسيلة من وسائل العيش.

وقد وفق الكاتب في تنميق المحاورة بين القط الهزيـل والقط السمين وفي إثارة الحياة في كل عبارة من عبارات النص، ووفّق أيضاً في الخاتمة التي ارتآها لكي ينهي المشادة بين المتحاورين.

القسم الثالث

نماذج إنشائية

الموضوع الأول

كيف تفضّل أن تقضي أوقاتَ فراغِك؟ ولماذا؟

بَسْط الموضوع

لا تقتصر قيمة الإنسان على نوع العمل الذي يقوم به، وإنما هي تتعلق كذلك بالكيفية التي يملأ فيها أوقات فراغه.

إن الإنسان **لا يستطيع أن يكون في فراغ تام** لأن هذا معناه الموت. بكلمة ثانية، **الإنسان دائم العمل** سواء كان عمله أساساً في تأمين حياته اليومية أو لم يكن كذلك. فلنتمثل أحد العمال بعد خروجه من مصنعه، ترى أيكون في حالة فراغ تام بعد أن اشتغل بياض نهاره؟

الواقع أنه انتقل من عمل لآخر، الفارق بينهما أنه في العمل الأول مسؤول تجاه غيره، وأنه في العمل الثاني مسؤول تجاه ذاته. ولنتصور الطرق المختلفة التي يقضي بها هذا العامل الفترة التي تلي وقت عمله الأساسي.

وهناك وسائل عديدة يعتمد عليها في تلك الفترة، التي نسميها بوقت الفراغ على سبيل النسبة أو بشكل تقريبي. وهذه الوسائل تتراوح

بين الخمول وبين مختلف مظاهر النشاط. **الخمول نفسه نوع من العمل** لأن الخامل لا يعني، أنه لا يعي أو لا يفكر، لكن وعيه وتفكيره ليسا إيجابيين، نريد بذلك أنه في تلك الحالة لا يؤدي عملاً مفيداً، وإنما هو **يقوم بعمل سلبي** له تأثيره السيء بالنسبة إليه وبالقياس إلى المجتمع.

نفهم مما تقدم أن الكائن الإنساني لا يعرف معنى الفراغ وأنه في عمل مستمر ما لم يقف الموت حائلاً بينه وبين الحياة. وما دام الأمر كذلك فمن الضروري أن يحسن التصرف في الأوقات التي يقضيها خارج عمله الأساسي.

إن التمتع بقسط من الراحة، في أوقات الفراغ هذه، **شيء مفيد** يمكن أن يعيد لحسّ الإنسان وعقله نشاطهما، كما يمكن أن يمدّهما بالقوة اللازمة التي تساعدهما على معاودة العمل أو موالاة السعي. ولكن الاسترسال في الراحة قد يعود على الجسم والفكر بالضعف والخمول، بدل التيقظ والتنبّه وفي غير ذلك من الأحوال نستطيع أن نعدد مختلفاً من الطرق أو السبل التي نملأ بها أوقات فراغنا بالشيء النافع والمفيد.

أما كيف أملأ أوقات فراغي، فأنا أفضل أن أصرفها في المطالعة، والنزهات، والألعاب الرياضية.

● **المطالعة:**

فالمطالعة لها أهميتها في **الترويح عن النفس وتوسيع المدارك بصقل العقل وشحذ الذهن**، كما أنها بعيدة التأثير في **بعث الخيالات المفيدة** والتصورات النبيلة. **إنها تجعل الإنسان يتصل بأفكار الآخرين** ونفوسهم والتعرف إلى مشاعرهم وأحاسيسهم المختلفة. ويمكنك وأنت

جالس إلى الكتاب أن تنتقل من حاضرك المؤلم أو السيء إلى الماضي السعيد أو المستقبل الضاحك. كذلك فبإمكانك أن **تنتقل إلى آفاق رحبة** متتابعة حسب نوع الكتاب الذي تقرأه. **فقد تقوم برحلة مع بعض المغامرين في التاريخ**، الذين يعود إليهم الفضل في كشف مجاهل المعمور **وقد تقوم بزيارة للطبيعة** من خلال قراءة قصيدة لشاعر أو قطعة أدبية لمفكر، وربما سنحت لك الفرصة أن تتعرف إلى أسرار الحياة أو حقائق العلم أو إلى عجائب البحار عن طريق مطالعة الكتب العلمية بشتى ضروبها. **وبكلمة عامة في المطالعة متعة وراحة، ولذة وفائدة** ولكن المهم هو أن تحسن اختيار الكتب التي تقرأها.

● **النزهة في الطبيعة:**

أما الهواية الثانية التي أفضل أن أملأ بها أوقات فراغي فهي القيام **بالنزهات في أرجاء الطبيعة**: في زورق أثناء الصيف يشق بيّ عباب البحر حيث أشعر بالابتراد والنشاط يدبّان في كياني، أما في الشتاء فالنزهة المفضلة هي لعبة التزلج الرياضية المفيدة ولكنها نزهة تحتاج إلى مرونة وتدرب. وما أكثر النزهات التي يمكن للإنسان أن يتعرف بها إلى جمال الطبيعة ومفاتنها في كل فصل من فصول السنة.

● **الألعاب الرياضية:**

وهوايتي الثالثة المفضّلة هي **الألعاب الرياضية** من ركض، وقفز، وسباحة، وألعاب الكرة المختلفة. إن كل لعبة من هذه الألعاب تفيد في تنمية أعضاء بعينها في الجسم الإنساني. وإذ يقوى الجسم، ينمو التفكير وينضج العقل. وإن أسوأ ما يمكن الاعتماد عليه من الطرق في تصريف أوقات الفراغ، ارتياد أماكن اللهو حيث يخسر الإنسان ماله وصحته ومكانته الاجتماعية.

ولا شك أن الذي ذكرته من الهوايات المفضلة شيء يسير بالنسبة لهوايات أخرى مفيدة **كالرسم والتصوير والموسيقى والقيام ببعض** الأشغال اليدوية أو ممارسة بعض الحرف أو المهن المختلفة. إن الكيفية التي يعتمد عليها البعض في الاستفادة من أوقات الفراغ هي التي تجعل منهم رجالاً نابغين ومواطنين صالحين.

الموضوع الثاني

«في مجالات الطبيعة عون على طردِ الهموم عند احتضارهـا، وغذاءٌ للنفس والروح».

ناقش هذا القول، وبيّن ما للجلوس إلى الـطبيعة من أثـر في صَقْل النفس الإنسانية والإيحاء لها بشتى الصور والأفكار.

بسط الموضوع

أصبح الإنسان اليوم بعيداً عن عالم الطبيعة، بسبب انغماسه في مشاغل الحياة المدنية. فالعصر الحديث هو عصر الآلـة التي غيرت الكثير من طرق العيش عند الناس، فأصبح الواحد منا يقضي معظم أوقاته في المدينة منقطعاً إلى أعماله، وهو لا يصرف أوقات فراغه إلا في جنباتها: فيجلس إلى الخيالة ويرتاد المقاهي، وأندية اللهو، وغير ذلك من الأماكن التي أوجدتها الحضارة في هذا العصر.

الواقع أن أوقات الفراغ يجب أن تكون للبشرية مجالاً للترويح عن النفس وإبعـادها عن أجـواء العمل المـرهق، وتخفيف المتاعب عنها. هذه المتاعب التي تكثر يوماً بعد آخر حتى لا يجـد الإنسان متنفساً لهمومه أو راحة لأعماقه.

هذا الوضع بالذات حمل جملة من المفكرين على المناداة بالعودة إلى الطبيعة، وكان روسو الأديب الفرنسي، في طليعة من دعا إلى ذلك في الوقت المتأخر فما هو السرُّ في هذه الدعوة؟

نحن نرى أن السر في ذلك ينحصر في مبدأين:

أولهما يتصل بطبيعة الحياة الاجتماعية. والثاني يرتبط بالناحية الجمالية الفنية.

فالعودة إلى الطبيعة من شأنها أن تبعد الإنسان بعض الوقت عن ظروف حياته المادية. هذه الحياة التي كادت تسلب الإنسان كل فضيلة من فضائله.

فطالما الإنسان في صراعه الدائم ضمن دائرة بيئته الاجتماعية، فهو لا يفكر إلا في طرق الكسب المادي، وفي هذا ما فيه من الخطر على حياته بالذات وعلى حياة الإنسانية كذلك. فالخروج إلى الطبيعة تجعل الإنسان يتصل بالكون من حوله فتداخله عظمة الخالق ويشعر بأن الحياة ليست موقوفة على الكفاح من أجل المادة، لاسيما والمرء لا يعيش للعمل المهني وحده، وإنما هو يعيش أيضاً للوجدان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان.

أما النقطة الثانية فقد بيّنا أنها تتصل بالناحية الفنية فحياة المدن أقرب إلى الخمول الروحي والجسمي، منها إلى حياة التجدد. فإذا أتيحت للإنسان الفرص، لكي يسرح في أحضان الطبيعة، فيمتع نفسه بمجالاتها الواسعة، فإن في ذلك صقلاً لهذه النفس وبعثاً لها، وتجديداً لقواه. ففي الطبيعة يتعلم الإنسان أشياء كثيرة لا يستطيع أن يلمَّ بها وهو مقيد بقيود المجتمع. إنه يتعلم قبل كل شيء كيف يكون

حراً. حراً فيما يلبس، وحراً فيما يأكل، وحراً فيما يقوم به. إنك تجده أثناء وجوده في الطبيعة غير متكلّف ولا متصنّع، فثيابه عادية لا يتأنق فيها، وطعامه بسيط لا يتكلفه على النحو الذي يقوم به أهل المدن. ثم إنه لا يخجل وهو في الطبيعة أن يطلق ساقيه فتراه يركض ويعدو ويقفز، وأحياناً يتسلق السفح إلى القمة، وأحياناً أخرى يهبط المنحدر إلى الوادي، وتارة يتناسى كل شيء إلا هذه الألواح القائمة من حوله، **فيملأ عينه بنورها ويسر ناظره بألوانها** المتداخلة، بين زرقة سماء، منعكسة مع خضرة الأرض، وبين حمرة تراب متداخلة بلون العشب، وهو يمتع أذنه أيضاً فيصغي إلى موسيقى، وأية موسيقى، خافتة حيناً وقوية صاخبة حيناً آخر، لينة أو عنيفة تكاد تكون همساً وقد تضج فتصبح دوياً. إنها موسيقى الطبيعة التي تعزفها على قيثارتها الخفية، وتوقعها بأناملها السحرية فتتعالى من هنا وهناك، آلاف الأنغام بين خرير ماء، ورفرفة جناح وتغريد طائر وهدهدة نسيم، وحفيف شجر، وضربة فأس، ولحن مزمار، وثغاء غنم أو نباح كلب، وقوقأة دجاج، وصياح ديك. **إنها أنغام الطبيعة التي يجتهد الفنانون بعد ذلك في استيحائها والارتفاع بها إلى مجالات الفن**، وهناك تتمتع الروح أيضاً، الروح التي يحبسها الجسم فتعيا عن الانطلاق وتحبسها حياة المدينة، فتحول دون انفلاتها. ولكن ههنا في السهل والنجد، في تلك البطاح الذاهبة إلى اللانهاية، أو في تلك الذرى الشامخة فوق سطح الطبيعة، في هذه الأماكن تستطيع الروح أن تحلّق فتراها خاشعة صامتة تداخلها فكرة في ألف فكرة ويراودها سؤال، في ألف سؤال، إنها تبحث عن أسرار الكون وما أكثر أسرار الكون.

ولهذا صحّ أن يقال: «**إن في الجلوس إلى الطبيعة عوناً على طرد الهموم عند احتضارها وغذاء للنفس والروح**».

الموضوع الثالث

اشرح هذا القول: «لا تكنْ ليّنًا فَتُعْصَر، ولا يابساً فَتُكْسَر».

بسط الموضوع

لعلَّ أصعب شيء يواجهه الإنسان في حياته، **اختلاف طبائع الناس الذين يتصل بهم**، ويتعاون معهم. لأن نجاحه في هذه العلاقة متوقف على الطريقة الملائمة في التعامل معهم، بشكل يحفظ فيه ذاته دون أن يسيء إليهم.

ولهذا كان **الاعتدال في الأمور من أوجب ما يأخذ به الإنسان**. والاعتدال، معناه التوسط بين شيئين أو موقفين، كلاهما مضر أو سيء العاقبة.

فالشجاعة مثلاً، فضيلة لأنها وسط بين التهوّر والجبن. فالتهور إفراط في الشجاعة كثيراً ما يؤدي إلى التهلكة. والجبن إفراط في التخاذل يؤدي هو الآخر للتهلكة أيضاً. والكرم أيضاً فضيلة بين رذيلتين هما الإسراف والشحّ، وقسْ على ذلك بقية الفضائل، فهي مظهر من مظاهر الاعتدال وجميعها مستحبة لأنها في خير الإنسان وراحته وأمنه وطمأنينته.

وشخصية الإنسان يجب أن تكون هي الأخرى ممثلة للاعتدال بحيث تبتعد عن مواطن التهور أو التهاون. فغير مستحب أن يكون أحدنا متسامحاً إلى حدِّ الضعف، أو أن يكون متواضعاً إلى حدِّ الذل. كذلك غير مستحب أن يكون شديداً إلى حد القسوة ومتعالياً إلى حد الكبرياء. ومن هنا قيل: «**لا تكن ليناً فتعصر، ولا يابساً فتكسر**» فما هي الحكمة في ذلك»؟

لا تكن ليناً فتعصر: إن اللين شيء مرغوب فيه إذا كان يدلُّ على المرونة في ممارسة العلاقة مع الآخرين. فهو ضرب من ضروب الكياسة وحسن التصرف. وكثيراً ما يكون اللين في بعض المواقف سبباً في درء المخاطر وتفادي الشرور. على أنَّه لا ينبغي للإنسان أن يسرف في لينه، لأنه يكون قد تمادى في إظهار ضعفه، ولاسيما إذا كان يفعل ذلك مع فريق من الناس، اللؤم في طباعهم والغدر من صفاتهم. فاللئيم يعتبر الرقّة في القول واللطف في المعاملة، نوعاً من الضعف أو عدم المقدرة. وهكذا يتجرأ الأخسّاء على من يعاملهم بالرفق أو الحسنى، بحيث لا يستطيع المترئف بهم أن يردعهم عن تطاولهم عليه وخذلانهم إياه. فالمسرف في لينه كالثمرة التي ازداد نضجها فلا شيء ينجع فيها إلا العصر.

والإسراف في الشدة شبيه بالإسراف في اللين. فكما أن بعض الناس يغلب عليهم اللؤم، فإن بعضهم الآخر يغلب عليهم الطبع الكريم. وكما أن اللئيم يعتبر معاملته بالرفق دليلاً على الضعف فإن الكريم يعتبر معاملته بالقسوة، دليلاً على الاستخفاف بشأنه، وعدم الحفاظ على كرامته، فيؤدي به ذلك إلى التمرد والعصيان، دفاعاً عن حقّه السليب ورغبته في الثأر لعزّته، واسترجاعاً لما يأمله من الاعتبار.

فالذي يتطاول على الآخرين بعنفه وجبروته لا بدَّ لـه أن يحطَّم في النهاية كغصن اشتدَّ في يبسه، فلا بد له أن ينكسر. وهذا أشبه مـا يكون بموقف السنديانة من العاصفة حين تثور، فهي لا تستـطيع أن تحني لها رأسها فتقتلعها العاصفة من جذورها.

بقي أن يكـون أحدنـا حكيماً في تكييف نفسـه وفق الظروف المحيطة: يلين ساعة يكون اللين دلالة على الحزم، ويقسـو ساعـة تكون القساوة دليلاً على العزم وما أصدق شاعرنا المتنبي في تصوير ذلك حين قال:

ووضع النّدى في موضع السيف بالعُلَى   مضرٌ، كوضع السيف في موضع الندى

الموضوع الرابع

ناقش قول الشاعر:

كنِ ابنَ من شئتَ واكتسبْ أدباً يغنيكَ محمودُه عن النَّسَبِ
إن الفتى من يقولُ ها أنذا ليسَ الفتى من يقولُ كان أبي

بسط الموضوع

قال الإمام عليّ:

«إني لأرى الرجل فيعجبني، فأسأل أله عمل؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني».

فالإنسان العامل خير من الإنسان الخامل. والخمول قد يكون مردُّه افتخار الإنسان بما ورث عن آبائه من مجد أو ثروة. ولكن ثروة الآباء أو مجد الأجداد لا يغني الإنسان في قليل أو كثير، وإنما الغنى الحقيقي ما يستطيع الإنسان أن يحصل عليه بجهده الخاص ونشاط ذاته.

ولا شيء يساعد الواحد منا على أن ينال المرتبة الرفيعة في حياته، **كالاعتماد على النفس والتحلّي بزينة العلم والأدب**. فلا قيمة لرجل يعتمد فقط على حسبه ونسبه أو على وجاهة عائلته، إذا لم يبد ما

يدل على قيمة شخصيته. ولقد نوَّه الشاعر في البيتين المشار إليهما أعلاه بما لاكتساب الأدب وتحصيل المعرفة من أثر في رفع شخصية الإنسان وجعلها مرموقة بين الناس قادرة على النجاح في الحياة.

فالشاعر يحبّذ في المرء أن يكون عصامياً، وهو يصوّر العظامي، الذي يكتفي بمجد الآباء بصورة قبيحة. فكما أن الإنسان لا يفيده أن يقول: أخي شجاع إذا كان هو جباناً أو يقول صديقي كريم إذا كان هو بخيلاً أو يقول فلان من الناس زعيم وهو أحد أقاربي. فكما أن هذا كلَّه لا يفيد فكذلك **ليس الفتى من يدَّعي بأن أباه رجل، له مكانته وسؤدده، بل هو الذي يستطيع أن يقول بجرأة وقوة: إنني رجل ذو مكانة وقد حصّلت رفعة منزلتي بما غرست من بذور السعي والعمل،** وبما بذلت من روح التضحية وبما أديت من واجب، وبما كسبت من علم، وبما جنيت من ثمار الأخلاق الرفيعة.

لا شيء يعيب الإنسان إلا أن يدعي بما ليس له، وليس شيء أقبح من جاهل يدّعي العلم، وناقص يدعي الكمال، وجبان يدعي الشجاعة، وخائن يدعي الأمانة، وعدوّ يدعي المودة والصداقة. نعم إنه لا شيء أقبح من الادعاء لأنه يقوم على الغرور، والغرور وهم، وبعض الوهم قاتل. شأن الإنسان الذي يبني حياته على الادعاء والغرور شأن الذي يرفع بناء على أساس من الرمل فسرعان ما ينكشف أمره وتنهار عظمته الفارغة، عند أقل حادثة، كهبة ريح تذهب بالذي شيّد وبنى.

فيا أيها الإنسان المحب للكمال، **أقبل على ينابيع المعرفة بروح التواضع** وانهل منها راغباً في الازدياد، لأن الأدب لا حدود له والمعرفة بحر واسع لا شاطىء لها، ودع عنك بعد ذلك كل زينة لأن علمك وأدبك هما كل الزينة ونعم الحلية.

الموضوع الخامس

ما هي الحكمة من هذا القول:

«إن الأمة التي لا تعرف قيمةَ المحراث، لا تجدَ ما تبنى به صرحَ استقلالها».

بَسْط الموضُوع

الحياة مادة وروح ولا قوام لها بدون اجتماعهما، سواء تعلّق ذلك بحياة الفرد أو حياة المجتمع. فالإنسان بحاجة لأن يعنى بذاته من الوجهتين المادة والروحية، لا من وجهة واحدة. أو هو كما قال بعضهم، وسط بين النور والتراب. فلا يكون ملاكاً وحسب، ولا يتحتم أن يكون ترابياً وحسب. إن صبيعته تلزمه بالنزوع إلى العالمين معاً: **يرضي نزعته المثالية** بالارتقاء نحو آفاق علوية، **ويرضي نزعته المادية** بتحقيق رغبات عيشه.

وما قيل في الفرد يقال في الأمة أو المجتمع. **فكيان الأمة يتطلب أن تتوفر عند أبنائها مثالية أخلاقية، وأن يكون لها أسسها الماديّة** وهذا يعني أن **لحياة التربة تأثيرها الكبير في توجيه حياة الأمة.**

والتربة معطاءة إذا عرفنا كيف نستغلّها، وبخيلة إذا نحن، توانينا

في خدمتها والسهر عليها. ففي الحالة الأولى نستخرج منها كنوزاً لا تحدُّ، وثروات لا تنفد. فمن الطبيعة حيث يعمل محراث الفلاح، وينهال فأس الحطاب، ويتحرك ساعد البنّاء، **من هذه الطبيعة نستمد مقومات وجودنا المادي**، هذا الوجود الذي يتعلق بتأمين كسائنا وطعامنا ومسكننا وسائر مستلزمات رفاهيتنا. ناهيك عما يحتاج إليه المجتمع من مظاهر التقدم التي تقوم في الدرجة الأولى على استخدام القوى الكامنة في الطبيعة.

إذا أردنا أن نتبيّن قيمة عمل المحراث في حياتنا اليومية فلنستشهد بما قاله أفلاطون المفكر اليوناني: «**إشبع أولاً ثم تفلسف**». لقد كان أفلاطون يعني ما يقوله: إن تأمين الحاجة المادية أي ما يتطلبه جسمنا من غذاء شيء أولي في تأمين غذائنا العقلي، وحاجتنا من الفكر والتأمل الروحي وما إلى ذلك من ضروب اللذة العقلية.

فلا معنى في توجيهك لإنسان ما، توجيهاً روحانياً أو عقلياً إذا أنت لم **تؤمن له متطلباته الأولية** التي يحتاج إليها جسمه. ثم أليست حياة العقل مرتبطة بقوى الجسم؟ ألم يقل بعضهم: «**العقل الصحيح في الجسم السليم**»؟ ألا يعني هذا القول أن الإنسان مادة وروح معاً، وأن الحياة يجب أن تكون كذلك؟ ليس بها جنوح نحو الروح أو جنوح نحو المادة؟!

على أساس ما تقدم نستطيع القول بأن **للمحراث** - ونقصد يد الفلاح العاملة وإمكانية المزارع في الغرس - **اليدَ الطولى في تثبيت دعائم الأمة**. إنه ليس بإمكان شعب من الشعوب أن يقابل قوّة عدوه: ناره، وحديده، وسيفه، ومدفعه، بمجرد التأملات الروحية أو الصلوات القلبية. إن الحياة صراع والصراع بالكفاح والكفاح بالعمل، والعمل

باستثمار عطاء الأرض لأنها كريمة إذا نحن عرفنا كيف نحرثها ونضع فيها بذور الخير والخصب.

إن ما تعطينا إياه الأرض يشكل ما يسميه العلم الحديث **بالعامل الاقتصادي**، فالتربة أساس أولي في حقول الصناعة والتجارة المختلفة، فلولا المادة التي يستنبتها المزارع بعد أن يشق بمحراثه الأثلام ما ارتفعت في سماء بيئة من البيئات أبخرة المعامل، ولا دوّت حركة المصانع، ولما كان للإنسانية وسائلها التقدميّة التي تعرفها اليوم سواء منها تلك التي تستخدم البخار أو هاتيك التي تعتمد على الكهرباء أو غير ذلك من الطاقات المولّدة.

د كانت التربة، ولا تزال، الينبوع الدافق للحيوية البشرية، وإنه ليس بإمكان أمة من الأمم أن تشيد لنفسها صرح استقلال وسيادة، إذا لم تؤمن لأفرادها زادهم من العيش، لكي يجنوا لها نصيبها من القوة العاملة التي تحوّل حجارتها ومعادنها ومياهها، إلى عمارات شاهقة تطاول السُحب بارتفاعها وتشهد لها بالتفوق والعمران.

علينا أن نعيد للفلاح احترامه وللمحراث أهميته، لأن الترفع عن السير وراء المحراث، معناه الخطوة الأولى في طريق الانهيار والتدهور الاجتماعي.

إن الإنسان كما أوجدته الطبيعة لا يستطيع أن يأكل أو يلبس أو يتنعم إلا بما توفره له الأرض من نعمة وعطاء.

* * *

الموضوع السادس

اشرح قول المتنبي:

الرأيُّ قبلَ شجاعةِ الشّجعانِ   هو أوَّلُ وهيَ المحلُّ الثاني

بَسْط الموضُوع

بين الملكات الإنسانية ملكة التفكير وملكة العاطفة المتهورة. ولعلّ **العقل الإنساني هو مركز الملكة الأولى، والقلب مركز الملكة الثانية**، كما ذهب إلى ذلك بعض المفكرين الأقدمين. إنّ ناحية من عمل العقل وظيفتها النظر في الأمور وعواقبها، وتحديد الآراء التي تكفل في قليل أو كثير سلامة الفرد وتؤمن جانباً من سعادته التي ينشدها.

أما الشجاعة التي تأتي هنا بمعنى الجرأة الوثّابة، فهي من مظاهر **العاطفة المتهوّرة** التي ترتكز على ثورة الكائن الداخلية أكثر من ارتكازها على بصيرته وتفكيره.

إذا درسنا حياة الإنسان أمكننا أن نلمس أهمية هذين العاملين في وجوده على اختلاف نواحيه. ومحور الموضوع الذي يدور حوله بيت أبي الطيب إنما هو المفاضلة بين قيمة الرأي وقيمة الشجاعة. في

رأينا **ليس أخطر من الحكم السريع في مثل هذه المفاضلات** لاسيما ونحن نعي ونعلم أهمية الرأي والشجاعة، فما هو موقفنا إذاً وكيف نعلّله؟

نستطيع أن نوجز الإجابة إذا ألممنا بما هو مقرّر علمياً واختبارياً، لأن **الملكة التفكيرية ذات المرتبة الأولى** بين ملكات الإنسان كلها وهي كذلك لا تنضج ويتم نموها إلا بعد أن يتخطّى الإنسان مرحلة ذات شأن من حياته بحيث تتجمع لديه التجارب العديدة، والاختبارات الكثيرة التي على ضوئها يستطيع أن يحكِّم رأيه في أغلب شؤون حياته.

فما دامت منزلة التفكير العقلي المجرد على هذه الصورة، فمن المستلزم أن يكون **الرأي** ـ وهو ليس شيئاً سوى ما يصدره العقل ـ **صاحب المرتبة الأولى**. وهذا حكم ليس بالغريب إذا حاولنا أن نفسره بحوادث وشواهد الحياة الكثيرة. وغرض الشاعر الرئيس من حكمته هذه، هو أن يدعو الإنسان إلى **تحكيم العقل قبل تحكيم الشجاعة**، الأمر الذي يضمن السلامة أو يكفل على الأقل إمكان حصولها.

إن الانطلاق في أعمالنا، بسلطة العقل من شأنه أن يزيدنا يقيناً بنجاح خطواتنا في الحياة. فالآراء المدروسة، التي أطلنا التفكير فيها، والتي كانت ثمرة وجهات نظر عديدة، واستشارات متوالية، أولى وأجدر، من أية خطوات نتخذها بدافع من دوافع الجرأة غير الواعية أو الشجاعة العمياء، حتى ولو آتت هذه الخطوات نتائجها الآنيّة، لأن مصير الإنسان يجب ألا يكون في يد الصدف، أو في كفة المقادير. فالرأي السديد وحده يستطيع أن يتحكّم بهذا المصير.

لا نكر ـ في ظروف حياتنا الطارئة ـ مواقف حرجة **قد تستلزم أن**

نتخذ خطواتنا بجرأة أو تحدّ بالغين في عنفهما. في مثل هذه المواقف أمام رياح الزمن الساخطة، وفي الساعات العصيبة، التي لا تتضح أثناءها أية غايات سليمة، والخطر محدق بنا، يجب أن نعتمد على الجرأة في مغامرة هي الخلاص، أو الانتصار في الوجود.

نعم! في مثل هذه الظروف المربدّة العابسة، وأمور عاجلة يتعلق البتّ فيها، بالضمير الإنساني، كإنقاذ ملهوف، أو مساعدة بريء علينا ألا نلتفت إلى تردد العقل، وتريث الفكر، إذا كان في هذا تنكبٌ عن جادة المروءة والخير. بل علينا أن نتخذ قرارتنا بجرأة ودونما تلكؤ يوحي ببرودة الوجدان.

إنّ الحكمة تقتضي الريث والاتزان في تصريف شؤوننا وأعمالنا، ومن هنا ترجّح كفة العقل وما يوحيه من آراء وأفكار، غير أنه في حالات معيّنة من وجودنا الإنساني، نصمّ آذاننا عن نداءات العقل، **لنستمع إلى صرخات الوجدان،** عاملين تحت إمرة الشجاعة والتضحية والبذل السريع الفاعل.

الموضوع السابع

اشرح قول سينكا الفيلسوف: «إن ألدَّ عدوٍّ للإنسان هذا القابع في صدره».

بَسْط الموضُوع

لقد أصاب أحدهم حين شبه الدهر بكرة من المطاط كلما حاولت الارتطام بالأرض ارتدت لتذهب عالياً، فهي لا تستقر على حال. كأنه يريد أن يؤكد **بأن الدهر لا يمكن أن يكون دائماً على صورة واحدة وإنما التبدّل والتقلب من طبيعته**. والإنسان محمول على أن يقبل تبدل الدهر، إذ لا جدوى ولا مفرّ من الانصياع إلى حكمه لكن الفيلسوف سينكا لا يقرّ بهيمنة الدهر حين يقول: «إنَّ الدَّ عدوّ للإنسان هذا الكامن في صدره» فهو يريد أن يقيم الدليل على أن مصائب الإنسان إنما تأتي على الغالب من سوء تصرفه وليست تعود إلى خداع الدهر ومخاتلته.

فما هو موقفنا أمام هذه القضية وأي الحكمين أصح في هذا المجال؟ أصحيح أن الإنسان لا يمكنه أن يدرأ عن نفسه ما قدّر له، أم أن الذي قدّر له هو من خلق يده؟

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة إجابة نهائية يقبلها الواقع، ليست في يد أي مفكر. إن الإنسان منذ كانت الحياة، وهو يحاول الاهتداء عبثاً إلى حلّ يرضي أعماقه المتعطشة إلى الحقيقة، وإذا الناس متأرجحون بين القدر والاختيار: فبعضهم يرى أن ما ينزل بالكائن البشري لا يمكن أن يدفع وفريق يرى أنّه مخيَّر، وأنه بوسعه أن يدفع عن نفسه ما أراد إذا عرف السبيل إلى ذلك.

مهما يكن، فخاطرة سينكا لا يمكن أن نردّها بسهولة، وإن كان الإنسان نفسه يقف مدهوشاً أحياناً أمام بعض الحوادث التي تعتريه، فلا يعرف لها تفسيراً وإذا النتائج عنده لا تتفق مع مقدّمات أعماله، وإذا هو في ظروف بعينها يزرع الخير ويحصد الشرور، ويبذل الجهد وينال الفشل. فكيف نفسر هذا؟ هل للحظ وجود في حياة الإنسان، وما هو هذا الحظ إذاً؟

نحن لا نملك القدرة على ازدراء هذه القوة العليا التي تلعب بمصير الناس والتي تقلب لهم ظهر المجن بين عشية وضحاها. فإذا بالملك المستبد يجرّد من ألوهيته ليغدو مواطناً عادياً كغيره من الناس لا حول له ولا قوة، والغني الواسع الثراء يصبح خالي الوفاض معدماً لا يملك قوت يومه، بعد أن كان في قبضة يده صولجان العزّ ومقدرات الناس وقس على ذلك. ففي الحياة سرّ يبقى غامضاً مهما حاول الإنسان أن يكشف عنه النقاب. وغاية ما يؤدي إليه تفكيره أن يدرك أنه كائن ضعيف حقاً، وأن الدهر الذي أعطاه يستطيع أن يحرمه وأن الأيام التي واتته يمكنها أن تتبرّم به، وأن الخلائق الذين أطاعوه بوسعهم أن يتمرّدوا عليه. فعليه إذاً أن يدفع عن نفسه الغرور مهما تطاول في العمران وأن يحترس من غائلة الأيام مهما هبت الريح في جانبه. إذ لا

شيء يعدل الدهر في تمرده كأني به هذا المارد القاهر يتقمص في كل يوم شخصية جديدة وليس شيء أدعى إلى الاتعاظ، بهذه الحوادث المتقلبة التي تطلع علينا كل يوم بنبأ جديد، نكاد لا نصدقه لأنه يشكل بحسابنا دليلاً على أن الإنسان لا يجني دائماً ما كان قد زرع فهل ننعت القدر بالظلم؟

إن حكمة سينكا ـ تحتم علينا أن نبني بحذر وأن ندَّخر ـ إذا كان الدهر معنا ـ ما يقينا من تقلّبات الحياة إذا ما أضحى الدهر علينا. فالإنسان مدعو أن يعمل بوحي من عقله وأن يسير على هدى بصيرته وأن يقيس الأمور باتزان فكره، فلا يدع للعاطفة الجامحة مجالاً في تقرير مصيره أليس صحيحاً أن أعدى عدوّ للإنسان هو الإنسان نفسه؟.

الموضوع الثامن

ناقش القول الآتي:

«الحياةُ شجرةُ جذورُها **العمل، وأوراقُها الأمل، وثمرتُها طمأنينةُ النفس**».

بَسْط الموضُوع

اختلفت غاية كل إنسان من الحياة: **فبعضهم قنع بالعيش** واستهدف تأمين متطلباته المادية المختلفة، **وبعضهم الآخر رغب فيما هو** أسمى من الناحية المادية، في تحقيق معنى الحياة على الوجه الأكمل.

إن كلاً من الفريقين مدفوع إلى العمل حتى ينال مبتغاه، وإلى السعي حتى يحقق مراده، لأن الحياة ليست مجرد إرادة تنوي الوصول إلى غاية، إنها إرادة عاملة في الدرجة الأولى، تتجاوز النيّة إلى العزم، والعزم إلى التنفيذ.

ونحن إذا حاولنا أن نتفهم ماهية الحياة رأينا كم فيها من المصاعب والمصائب. وكم يكتنف طريقها من العقبات والنوائب.

وغاية ما يصبو إليه الإنسان فيها، أن ينتصر على كل ما يحول

بينه وبين مراميه البعيدة. ولا شكّ في أن هذا هو النجاح الذي يأمله ويرجوه بكل قواه. فإذا كان النجاح في الأعمال هو أسمى ما يتطلع إليه الإنسان فهو إذاً شجرة الحياة نفسها، التي يلوذ بها حين تحرقه شمس المشقة، وتدمي قدميه وعورة الطريق، وتثير هواجسه أهوال المعاناة. إن النجاح واحة الحياة التي هي منتجع كلّ مغامر، وكلّ مسافر سائح، في درب هذا الوجود. فلا عجب أن تكون هذه الواحة عظيمة الشأن في نفوس الناس ولا غرابة في أن يكون العمل الجذور الأساسية التي تمدّ شجرة النجاح بما تحتاج إليه من الغذاء الضروري لبقائها.

إنه، كما تذهب أصول النبتة في داخل التربة حيث تمتصُّ ما يكفل لها أن تنمو وتزدهر، وتكبر فتورق، وتعطي ثمرها، **كذلك الكائن** الآدميّ شبيه بهذه النبتة، **لا بدّ أن يستخلص غذاءه من أنياب الدهر، محفوفاً بالفواجع، محاطاً بالألم... ولا شيء يساعده على نيله إلا العمل الدائب، والنضال الحثيث والكفاح المستمر. وهذا كلّه من أسباب البقاء الأولى، وهو بدوره، يورق الأمل في النفس اليائسة، ويبعث الرجاء في القلوب الحائرة، التي كادت تفشل فتتراجع، وأوشكت أن تخيب، فتنكفىء، والتي ابتدأت تطمئن إلى الكسل حباً بالدعة، وإيثاراً للسلامة. غير أنها عندما تذوقت ثمرة الجد، داخلتها من الطمأنينة خلجات، ومن الراحة هينمات فإذا هي تنتفض برعشة الأمل فتعاود السعي من جديد.**

فلئن روَّعك أن تكون شجرة الحياة عند أحدهم عارية يابسة، لا أثر للربيع أو الصيف فيها، **فاعلم أن جذور هذه الشجرة قد تعطّلت عن الامتصاص بالوهن، فلم تعد تقوى على شقِّ طريقها في خضم**

هذا الوجود، فراحت تعيش متطفلة أمداً من الزمن، على موائد العاملين، ثم طردت عنها لأنها كالجرثومة الفاتكة. . . **تأخذ ولا تعطي**. . وتبيد ولا تعمّر. وهكذا تخلّت عنها روح التجدّد، فلم تلبث أن فارقتها جماعة الطير فباتت كالحة كاسفة. فكيف تطمئن النفوس أو تراح الخواطرلأناس، شجرة حياتهم بلا جذور، جذعها هامد وأفتاتها ذاوية؟ ألسنا نجد في ذلك، ما يبيِّن قيمة الكفاح الذي يملأ كل صفحة من صفحات الحياة المجيدة، ويشكل كلَّ حجر من حجارة صرحها العتيد؟

ألم يكن شوقي رائعاً حين قال:

وما نيلُ المطالبِ بالتَّمني ولكنْ تُؤْخذُ الدنيا غِلابا

ألم يكن في قوله هذا متفهماً لمعنى الحياة، متدبراً له واعياً لأسراره كل الوعي؟

ولئن يكن النجاح هو الشهد الذي نبتغي حلاوته، أفليس دون الشهد لسع إبر النحل كما يقول الشاعر الحكيم؟

فلنعمل إذاً كي نبني صرح طمأنينتنا وأملنا المنشود.

* *

الموضوع التاسع

قيل: «ليس العاقلُ من إذا وقع في الأمر احتال له ولكنّ العاقل من يحتالُ للأمر حتى لا يقع فيه».

بَسْط الموضُوع

أذكر فيما أذكر مثلاً كان يضربه لي والدي من وقت لآخر. وفحوى هذا المثل أن تاجرين كانا يعملان معاً ثم افترقا، واستقلّ أحدهما عن الآخر في تجارته. وراح كل واحد منهما يجهد في توسيع ثروته بشتى الوسائل. أما الأول فقد كان **يبغي الحصول على ربح وفير في وقت وجيز**، ولهذا أنفق جلَّ ما يملك، دون أي احتراس فلم تمض مدة حتى أوشك على الانهيار، فحاول إنقاذ نفسه غير أنه لم يفلح.

أما الآخر فقد عمل برويّة **وكان لا يعقد صفقة تجارية إلا دارساً لها، باحثاً في نتائجها**، فكان من نصيبه أن اتسعت تجارته وعظم مدخوله وارتفع شأنه.

إن مثل هذين التاجرين أحدهما متهور غير متبصر، والآخر متزن بعيد النظر، **ينطبق على فئتين من الناس**:

أما الفئة الأولى: فهي التي تشكل **الطبقة العاقلة في المجتمع**.

إن كل فرد من هذه الفئة يجسّد لنا مفهوم الرجل العاقل الهادىء طبعه والمتزّن سعيه والذي لا يخطو من غير تأكد، ولا ينجز أمراً إلا بعد تثبت، وتـراه قبل أن ينشط في أعمـاله يسـأل عقله عن السبيل إلى الخطة الحكيمة. فإذا سألته عن أمر لم يتسرع في الجواب، لأنه يتخذ من الحذر وقاية، كما ينال من الحيطة السلامة وهو بكلمة صورة مثلى للعقل الناضج والنظرة المتعمّقة.

فإذا بحثت عن سرّ السعـادة في واقع هـذا الرجـل ألفيت أن الطمأنينة تخيم على وجوده، ولمست أن السلامة ترفرف في حياته، فهو لا يشكو من دهره ولا يتبرّم بحاضره، ولا يضيق بعيشه، لأنه ناجح في أعماله، ولذلك تراه يشكر دهره ولا يتأفّف من مصيره.

أما الفئة الثانية فإن الفرد فيها، **تغلب عليه في أعماله وأقواله العفوية والطفرة. أمـا العفويـة فمعناهـا النزوع إلى العمـل من غير تصميم**. وأما الطفرة فهي تجلّي عدم الاتزان في الأعمال، أو عـدم التريث في تنفيذها. إن هذا الرجل نموذج للإنسان الذي يفعـل ولا يدري لماذا يفعل، والذي يحجم عنـدما يُستـوجب الإقدام، ويقـدم عندما يستوجب الإحجام. فأقلّ ما ينعت به أنه غير عاقل. ومـا دام يفتقر إلى كل مـظاهر التعقـل فأنت لا تـراه إلا نادمـاً ولا تجده إلا متحسراً. وإذا سألته عن حاله أجابـك في غيظ وحنق، وأحيانـاً في انكسار وذلّ، بأن الدهر ظلوم، وأن الأيام خؤونة وبأن حظه مشؤوم، وبأن المصائب تتوالى عليه فلا يعرف كيف يردّها أو كيف يتصبّر على بلاياها. والواقع أن هذا الرجل وأمثاله إنما اشتروا الندامة والحسـرة والمصيبة بقصور تفكيرهم وقلة إدراكهم وعدم حذرهم واحتراسهم.

من حق كل مخلوق أن يوفر لنفسه أكبر قسط من هناءة العيش،

ونعمة الراحة ولذة السعادة. **ولكن عدم الأخـذ بدواعي التبصـر هو الذي يقيم الفروق بين الأفراد والمجتمعات**. إن كل إنسان يشكو من مصائب الدهر التي يمكن تجنبها، إنما هو يسبب لنفسه تلك المحن لأنه لم يستطيع أن يجد الوقاية منها، شأن من يغتر بصحته فيعرض نفسه لدواعي المرض فيعاني بعد ذلك من ألم العلة وشقوة الداء.

في طليعـة سبل النجـاح وضمان الفـوز، **أن يعالـج كـل فـرد المشكلة قبل حدوثها، وأن يدرس الأوضاع قبل قيامها**، وأن يحتال بما وهب من نعمة العقل، على الشرور ليتجنبها قبل حدوثها. إنه لا معنى للكفاح والنضال اللذين يبذلهما أحدنا للتخلص من المصـاعب التي تنشأ عن استهتاره، لأنه كان من الممكن تجنب تلك الظروف القاسية مع سداد الرأي وحسن التصرف. لذلك صحّ قول هذا الحكيم: «ليس العاقل من إذا وقع في الأمر احتال له ولكن العاقل من يحتال للأمر حتى لا يقع فيه».

لو أمعنا النظر في أكثر مـا يعانيـه الناس، من نكبـات الدهـر وخطوبه الجسـام، أو ما تـرزح تحته الإنسـانية من ويـلات الحروب وبلوى النزاعات المستمرة، إننا لو أمعنا النظر في هذا أو ذاك لاتضح لنا أن **أكثر هـذه النكبات وتلك الخطـوب إنما نشـأت بيد الإنسـان نفسه**، الذي لا يدري كيف يواجه صروف الأيام أو كيف يتكيّف مع مـواقف الآخرين. فكم من كلمـة سيئة سببت لـلإنسـان متـاعب لا يتخلص منها إلا بالجهد الجهيد، وكم جرّ الانفراد بالرأي، أو الادعاء أو الغرور، لصاحبه، من الاضطرابات التي تقلق خاطره، والتي كان من الممكن أن يحيد عنها، لو أنه تعقل فلم يسر في طريقها.

إننا حيث تلفتنا لمسنا قيمة هذا القول الحكيم، كأني به نبراس من الهداية يجب أن نتطلع إليه في كل سانحة وعند كل بادرة.

الموضوع العاشر

سئل بعض الحكماء: أيّ الأمور أشدُّ تأييداً للفتى، وأيها أشدُّ إضراراً به؟ فقال: أشدها تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبُت. وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء: الاستبداد والتهاون والعَجلة.

عالج هذا الموضوع.

بَسْط الموضُوع

إن الإقدام على الحياة كالإقدام على شيء مجهول، وإن الذين يخبطون فيها على غير هدى، أكثر بكثير من أولئك الذين عرفوا طريقهم السويّ وساروا نحو المِحَجَّةِ، دونما تردد أو اضطراب.

إنه ليس من السهل على الإنسان أن يتثبّت من خطواته في الحياة، فهو ولا شك معرّض في كل آونة لخطر الانزلاق والتدهور. وهو إن لم يعدّ عدته، ويُحكم أمره، ويحسن تصريف شأنه على خير حال، يعجز عن بلوغ ما يفكر به أو يسعى إليه.

فما هي عدّة الإنسان التي تدرأ عنه تلك المخاطر؟

في رأي أحد الحكماء، أن أكثر الأمور التي تؤيد الإنسان في

حياته، هي المشورة والتجربة والتثبت من الأمور، فلنتأكد من أهمية هذه المبادىء الثلاثة.

مشورة العلماء:

الإنسان ضعيف بمفرده قويّ بغيره، وتصريف أعمال اليوم يحتاج إلى إستعراض الآراء المختلفة. وكم من أناس اعتورهم الفشل، وأصابتهم الخيبة لأنهم ضعاف الرأي قليلو التبصر. وليس لأي إنسان عذر إذا هو فشل لضعف في الرأي والتصوّر.

لقد أوصتنا الشرائع المختلفة بضرورة المشورة، وكما لا ينبغي لك أن تضنّ على أخ لك بالنصح، فالأولى بك أن لا تضن على نفسك بمثله، إذ لا قيمة لإنسان لا يعرف الخير لنفسه ويعرفه للآخرين. فالعلماء الذين خبروا الحياة، فوقفوا على كثير من حقائقها هم المنتجع حين تنغلق علينا الأمور، وهم الملاذُ حين تتربص بنا الدوائر. ففي آرائهم نور لظلمة آرائنا، وفي بصيرتهم عون لضعف بصيرتنا. فإذا نحن تفحصّنا هذه الآراء واستنرنا بتلك البصائر، كُفينا شرّ التردد والسير على غير هدى، وما أجمل ما قاله أحد الشعراء حين وصف قيمة المشورة بقوله:

الرأي كالليل مُسْوَدٌ جوانبهُ ... والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى ... مصباح رأيك تزدد ضوءَ مصباح

تجربة الأمور:

ليست المشورة كافية وحدها في تسديد خطانا، **فآراء العلماء أشبه ما تكون بمصابيح تضيء لنا الطريق.** فهي تستلزم الجرأة التي نسلك معها تلك السبيل الموحشة، سعياً وراء مبتغانا. بل يمكن أن نشبه تلك الآراء بخطط العمل. وإن أية خطة لا تنجح إلا إذا قام الإنسان بتجربتها. لذلك كان الإنسان الذي كثرت تجاربه في الحياة

موضع احترامنا وتقديرنا، لأنه من الثابت أن الذي لا يعرف معنى الفشل، لا يقدّر معنى الفوز، كذلك الذي لم يذق مرارة العيش لا يستطيع أن يتمتع بنعمته حين تؤاتيه. فالتجربة إذاً ضرب لازب لكل من يبغي الفلاح فهي التي تقوّي في نفوسنا العزيمة وتعوّدنا الأناة في التفكير، وعدم الاستهتار في الأمور. ولعلّ الشاعر حين قال:

إذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا فأهونُ ما يمرُّ به الوحول

لعله حين قال هذا البيت قد أدرك قيمة التجربة في الحياة. فالذي يجابه الأهوال ويواجه المصاعب تهون عليه شدائد الحياة، فتراه قوي المراس بعيد الهمة، لا يهاب عظائم الأمور ولا يخشاها. لهذا **نحن نتحدث دائماً عن حكمة الشيوخ، وننعت الشباب بالطيش، لأن الحكمة نتيجة التجربة والطيش مظهر الارتجال.**

حسن التثبّت:

إن آراء الحكماء تفتح أمامنا سبلاً عديدة للأعمال المختلفة التي نرغب في القيام بها. فلا بد لنا من الاختيار بينها بعد التثبّت واليقين. فكثيراً ما يأتينا النصح من صديق، هو في ظاهر الأمر أكثر الناس تودداً إلينا، وفي واقعه أشد الناس عداوة لنا. وأنه لا شيء أصعب على المرء من الكشف عن حقائق الأمور لأن هذا يحتم إطالة النظر فيها وتقليب الأمور على وجوهها المختلفة.

إن أشد ما يوقع الضرر فينا، هو أن نتعجل تنفيذ الأمور، وما من إنسان تعجل أمراً إلا ندم. فحسن التثبّت لا يقل أهمية عن المشورة والتجربة. وهكذا يمكن أن نلخص أسباب النجاح في ثلاثة أمور: عدم الاستبداد بالرأي، والقيام بالتجربة في الحياة، والتثبّت من صحة الأمور قبل الإقدام عليها.

الموضوع الحادي عشر

قيل: «خُلُقُ التضحية أوّليّ في بناء المجتمع».

ناقش هذا القول.

بَسْط الموضُوع

الانتقال من حياة الفردية إلى حياة المجتمع منوط بانتقال نفسية الإنسان من طور الأنانية البحتة، إلى طور الروح الاجتماعيـة، روح الألفة والتعاون مع الآخرين في سبيل الخير العام.

الأنانية تعني حب الإنسان لذاته، وإيثارها على سواها، وطلب الخير لها دون غيرها. والإنسان أناني بغريزته وطبعه. وهو كذلك سواء كان في طور الفردية أو ضمن نطاق الجماعة. ولكن في حين تكون إنانيته بعيدة المدى عميقة الجذور في الطور الأول، فإنَّ حدّتها تخفُّ وتأثيرها ينكمش ويتقلّص في الطور الآخر. إن قيام الحياة الاجتماعية على أسس صحيحة مرتبط في الدرجة الأولى، **بمقدار تنازل الفرد عن أثرته وجشعه، وتعلّقه بمبدأ الإيثار**. والعلّة في ذلك أن الحياة الاجتماعية متشعبة عديدة النواحي، تقتضي أول ما تقتضي اتحاداً في القوى العاملة وائتلافاً في الجهود من أجل القيم الأخلاقية والعلميـة والحاجات الاقتصادية، التي لا تفلح حياة الجماعة بدونها. فإذا لم

تتوفر تلك الروح بين أفراد المجتمع الواحد لم يسد بينهم النظام وكانت **شريعتهم أقرب إلى شريعة الغاب** منها إلى شريعة الإنسان.

ففي الناحية الأولى - أي **في شريعة الغاب - الغلبة للأقوى** لأنه أقدر على الظلم وتكون التضحية من الضعيف، الذي هو ألصق بالعجز. أما في الناحية الثانية حيث تسود الروح الإنسانية فالغلبة ليست للقوي أو الضعيف وإنما هي للأجدر الذي هو أكفأ، بما يبدي من مجهود وبما يظهر من نشاط.

في حياة الغاب سيطرة للحيوانية التي تعتدّ بمبدأ القوة الجسدية. وفي حياة المجتمع سيطرة للتقدمية التي تأخذ بمبدأ التعاون. ولا تعاون بلا إخاء ولا إخاء بغير محبّة، ولا محبّة بدون تضحية.

كيف أدَّعي أنني أخ لك، وأنا لا أوثرك على نفسي، إذا لم يكن في هذا الإيثار ما أتضرّر به؟ وكيف أدعي أنني أحبك إذا لم أقم دليلاً على حبّي أياك، بالبذل والعطاء والتنازل عن قدر ممّا فاض عن حاجتي في سبيل إسعادك، والشعور الأكيد بأن سعادتك جزء من سعادتي، وأن طمأنينة عيشي وعيشك واستقرار حياتي وحياتك جزء لا يتجزأ من طمأنينة مجتمعنا واستقراره؟

لنتمثل ذلك كلّه في حياة العائلة: أن دواعي **النجاح في الأسرة الواحدة** مردّها أولاً وآخراً، **مبلغ توفر روح التضحية بين أفرادها. أما إذا كانت الأم تحرص أول ما تحرص، على إرضاء حاجتها دون أبنائها. أما إذا كان الأب يصرّ أول ما يصر، على أن ينال النصيب الأوفر من متطلباته دون سائر أعضاء أسرته. أما إذا كان الكبار من الأبناء يشدّدون أول ما يشددون على تحقيق رغائبهم دون إخوتهم وأخواتهم من الصغار. وأما إذا كان الأمر على هذه الصورة فالتفكك**

سيتسرب عاجلاً أو آجلاً إلى هذا الكيان العائلي وينذره بالتهدم والتصدّع.

ولننتقل بعد ذلك إلى الأمة حيث يتسع ميدان التضحية ويشتد خطر الأثرة، وتعظم بلوى الأنانية، ويتفاقم شر الفردية، لأن هذه كلها جراثيم تعوق جريان الحياة في شرايين المجتمع.

وأول مظاهر التضحية في الحقل الاجتماعي، رضوخ الإنسان للأنظمة المرعية إذا كانت هذه الأنظمة دعامة في إراحة الحقوق على أهلها، وأساساً في منح المهضوم حقه، والانتصاف للمظلوم من الظالم.

وعلى أساس هذا الخلق النبيل شادت الأمم، قديمها وحديثها، صرح سيادتها وبنيان عظمتها، وأقامت دلائل فخرها، وآثار عزها، وسيطرت ولم يُسيطَر عليها، وحكمت ولم تحكم، وكان لها في كل ميدان من ميادين الاختراع والاكتشاف، راية ترفع ولواء يخفق وعلماء ومشاهير يعتدُّ ويقتدى بهم.

إذا أردت أن تضع يدك على أسباب انهيار مجتمع من المجتمعات سواء في الغابر أو الحاضر، فلا شيء أدل على ذلك من انعدام روح التضحية بين الأفراد، الأمر الذي يدل على الطمع وحب الأخذ دون العطاء، وحيث يؤخذ ولا يعطى، يعاجل الخراب وينشر الدمار جانحيه الأسودين. وحيث يعم القلق ينعدم الأمن ويعيش الناس في فوضى، والفوضى بدورها أولى الخطوات نحو الانهيار.

ولا شيء يرد إلى المجتمع الإنساني حرمته وقدسيته، إلا مبدأ التضحية الذي يرفع من شأن القيم المثالية، ويسمو بالإنسان عن ترابية الأرض والتمرّغ في أوحال المادية إلى أجواء التعاطف وآفاق التحابب وسماء الإخاء.

الموضوع الثاني عشر

قال أحد المربّين:

الرفاهية مظهر الرقيّ في الأمة، ولكنّ الترفَ أشد أنواع البؤس خطراً على كِيانها» ناقش هذه الفكرة.

بَسْط الموضُوع

بين الرفاهية والترف ما بين الاعتدال والتطرف من علاقة. فإذا كان الاعتدال حدّاً معقولاً يأخذ به الإنسان، **فإن التطرف يخرج عن التوسط ويشدّ الإنسان إلى نوع من التهوّر**. ومن هنا قالت الحكماء: «**خير الأمور أواسِطُها**» فهم إذاً يستحسنون الاعتدال لأنه مظهر الأناة وطابع التعقل. ويكادون يذمّون التطرف لأنه مظهر العجالة وطابع الاستهتار.

الرفاهية مظهر الرقيّ:

للرقي مقياس في الأمم فلئن كان رقي الفرد يتمثل لنا في مدى انسجامه مع بيئته، والعمل مع المخلصين فيها للنهوض بها فإن مقياس الرقي في الأمة هو أن تقيم نوعاً من التوازن بين أفرادها بحيث تؤمن لكل مخلوق فيها أكبر قسط ممكن من سلام العيش، وأمن الحياة وطمأنينة الفكر، الشيء الذي نُعبر عنه غالباً برفاهية الشعب. فنحن

نقول إن هذا البلد ـ مثلاً ـ من أرقى بلاد العالم لأنه يتيح لأفراده أن ينعموا بالطمأنينة المنشودة. ولا طمأنينة إلا بتوفر متطلبات العيش والحياة معاً. ففي مثل هذه البيئة يجد كل مواطن رغيفه المادي ورغيفه الروحي. أما الرغيف المادي فهو الذي يقيم أوده ويوفر له حاجاته الأولية التي يرتكز عليها كيانه من الوجهة المعاشية. فترى المواطن بذلك غير مدفوع للإخلال بسلامة المجتمع سعياً وراء هذا الرغيف. أما الرغيف الروحي الآخر، فهو الذي يؤمن لهذا المواطن المتطلبات التي تُرقّي تفكيره، وتصقل مواهبه، وتغذّي وجدانه، وتلهم روحه أنبل المعاني وأسمى المشاعر. وهو الذي يتيح لهذا الفرد أن يشعر بإنسانيته وأنه مساوٍ للآخرين في العدالة الاجتماعية، وإن كان يقوم بأعمال لا تتطلب نفس المهارة.

في مثل هذا البلد الراقي لا يُحرَم أي كائن اجتماعي من تذوّق الجماليات التي لا غنى للكائن المتحضر عنها كالموسيقى والرسم والتمثيل.. كذلك لا تجد في حياته ظاهرة الشكوى والتذمر، لأنه ليس بالبائس المحروم، ولا بالفقير المعدم. لأن بيئته تعنى بشؤونه وتجهد في رفع مستوى حياته.

وفي هذه البيئة أيضاً، لا تُعَد الكماليات من مظاهر الإسراف إذا كانت تؤدي وظيفتها في الترفيه عن الأفراد.

الترف وخطره:

في حالات معينة من حياتنا تستوي الأشياء، ولا تتباين في جوهرها وهذا شيء أثبته المفكرون من أقدم الأزمنة، فقد يكون البؤس في حالات معينة أكثر دلالة على الهناء من السعادة نفسها، كما تكون السعادة أحياناً أكثر دلالة على البؤس من البؤس نفسه. وكم نجد

صدق ذلك في حياتنا الشعورية فالأمل إذا تَطرَّف قد يكون يأساً، والفرح إذا بولغ فيه قد يكون أسى. كثيراً ما تنتهي البسمة إلى دمعة معه البسمة دمعة، وتتحوّل البهجة ترحاً. وقل مثل ذلك في سائر المشاعر حين تتداخل فيما بينها.

ولئن كانت الحاجة المُدقعة مظهراً للبؤس في الأمة **فإن الترف، الذي هو مغالاة في ترف العيش، بؤس هو الآخر ولا فرق في نظري بين بائس يكاد يموت جوعاً، وبين غنيّ يكاد يموت تخمة**. فالميتة واحدة وإن اختلفت أسبابها.

في الحالة الأولى الشقاء عائد إلى تَدنّي مستوى الحياة. وفيَ الحالة الثانية، الشقاء راجع إلى الخروج عن هذا المستوى. في المظهر الأول نقول أن الشعب بائس لأنه محروم. وفي المظهر الثاني نقول أن الأمة بائسة، وكيانها في خطر، لأن أفرادها يعيشون في جوّ من المجون والاستهتار. فقد فقدوا كل فضيلة، وأصبحت حياتهم أقرب ما تكون إلى **حياة البهيمة التي لا تعرف سبباً لوجودها، إلا سبب اللذة وإشباع الغريزة**.

وأي فارق بين هذا الإنسان الذي يوشك أن يهدم حضارة العالم، تلك الحضارة التي بنتها الإنسانية خلال أحقاب من الزمن، بمكافحة الطبيعة والانتصار عليها بالإرادة العاملة، التي هي الدليل الأوفر على الفضيلة والخلق الرفيع، نعم أي فارق بين هذا الإنسان الذي انقلب مفهوم الحضارة في نظره كليّاً، فأصبحت عنده شيئاً لا مقياس له سوى أنانيته ولذائذه الرخيصة. أي فارق بينه **وبين الإنسان الأول الذي لم يعرف إلا** شريعة القوة الجامحة، **شريعة الغاب** إذا صحّ القول.

لا يعوزنا الدليل على صحة ما نقول فقد طالعنا التاريخ بسير أمم بنت صرح أمجادها بالنضال المتواصل، ثم هدمت كل شيء بالكفّ عن هذا النضال، لأن أفرادها شغلوا بالعبث واللهو، ولم يعد شيء يستويهم سوى حاجاتهم الجسدية التي فقدوا معها السيطرة على أهواء النفس، فانساقت عندئذ في طريق الضياع والانحلال.

هكذا ضاعت حضارة اليونان الأقدمين ومجد روما العظيم وكذلك ملك العرب الشاسع الواسع ولم يكن شوقي يتكلم عبثاً عندما قال:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإن همُ ذهبتْ أخلاقُهُمْ ذهبُوا

إن أهم ما في فضيلة المحافظة على روح الخير، التي هي نتيجة الاعتدال في أكثر جوانب الوجود، الأخذ بالسهم الضروري من اللذائذ والهناءات إبقاء على روح العمل البنّاء الذي يحفظ ما شيّده الإنسان بدمه ودموعه وخفقات قلبه وأنسام روحه.

الموضوع الثالث عشر

ناقش هذا القول: «قد يكونُ استئصالُ عادةٍ في النفس من الصعوبة بقدر، ولكن ليس من المستحيل أن ننتصر أخيراً».

فسّر هذا القول وبين أثر الإرادة القوية، في التغلب على أهواء النفس وأثر ذلك في خلق الذات الفاضلة.

بَسْط الموضُوع

إن سلوك الفرد في مجتمعه، هذا السلوك الذي يقرّر إلى حد بعيد العلاقة بينه وبين هذا المجتمع، إنما هو نتيجة **لتداخل عاملين رئيسين** هما: **عامل الفطرة** ويسميه علماء الاجتماع عامل الوراثة، **وعامل الاكتساب أي ما اكتسبه الإنسان من محيطه بتفاعله معه.**

على أن علماء النفس يؤكدون أن بعض ما يكتسبه الفرد قد يغدو مع الزمن في منزلة الفطري الموروث. ومن هنا **قد تشكل بعض العادات السيئة خطراً على حياة الفرد** الذي يصعب عليه، بل يستحيل أحياناً أن يتخلص من سيطرتها فيصبح عبداً لأهوائه تتحكم فيه، وتسيره، بل قد تسخّر كلّ مقومات ذاتيته لتنتصر على حساب وجوده.

لهذا كان من **الضروري أن يقوي الإنسان إرادته العاملة**، حتى

تصبح فاعلة وتخوّله التخلص من تأثير العادات والأهواء ليؤكد ذاتيته. ونحن لا نشكّ إطلاقاً في أثر الإرادة في تحقيق هذه الذاتية، فلنا عليها شواهد كثيرة يمدّنا بها تاريخ العظماء في القديم والحديث. ولعل ما قاله أحد الحكماء: «إنني أعرف أن الحديد يقطع الحديد، ولكن لا أعرف شيئاً يقطع قوة الإرادة». لعلّ هذا القول يبيّن لنا مدى ما تخلقه الإرادة القوية في النفس الإنسانية، من عوامل الصبر والجلد والثبات، هذه العوامل النفسية التي لا غنى عنها في تحقيق سلامة الفرد وبالتالي سلامة المجموع.

أما الشواهد على أثر العادات السيئة فكثيرة تراها حيث أجلت النظر أو إذا تأملت في حياة الأفراد. بوسعنا دائماً أن نلمس تحكم العادات السيئة في النفوس ولا داعي لتعداد هذه المظاهر لأن كلاً منا يستطيع أن يكتشف في ذاته إذا ما انطوى عليها، ما يثبت صحة ما نقول.

فما هو منشأ تلك العادات وكيف السبيل إلى محاربتها والانتصار عليها؟

إن العادة في نظر العلم ارتباط في الجهاز العصبي، ينشأ عن مزاولة عمل ما أو تكراره. من أمثال ذلك، **العادات الإيجابية** التي تخلق المهارات المختلفة كالضرب على الآلة الكاتبة، والقيام بالألعاب الرياضية التي تتطلب الخفة والرشاقة، وكذلك القراءة أو الكتابة، وغيرهما من مظاهر التعلم عند الإنسان.

وهذه الاكتسابات الجديدة تبدأ بطيئة ثم تشتد، إلى أن تقف عند حدّ معين. وكما يتعلم أحدنا قيادة السيارة أو ممارسة هواية رياضية كذلك يتعلم هواية سيئة، كشرب الخمر والإدمان عليه، واللعب

بالميسر، والتدخين وغير ذلك من هذه العادات المتحكمة فينا.

إن هذا الارتباط في الجهاز العصبي يظل قوياً ما دامت العادة مستمرة، فقد تبلغ سرعتك في الضرب على الآلة الكاتبة مثلاً ستين حرفاً في الدقيقة أو ما إليها، ولكنك لا تحافظ على هذه النسبة ذاتها إذا انقطعت عن الضرب مدة من الزمن، لأن **ارتباط العادة بالجهاز العصبي عندئذ يتراخى** ويضعف عمّا كان عليه.

لكنّ خطر العادة، لا يبرز أو يتفاقم إلا عندما تصبح متأصّلة فينا وتغدو من الأشياء التي لا غنى للجسم أو النفس عنها. بكلمة ثانية عندما تشكل ضرورة أساسيّة في إشاعة الطمأنينة أو الهدوء النفسيين. فالذي يدمن على شرب الخمرة يجد بالإضافة إلى لذة الشراب لذة إشباع الرغبة فهو إذا لم يشبع هذه الرغبة يعاني ألماً، لا يختلف عن أي ألم ينشأ من عدم تحقيق الرغبات الطبيعية.

تبعاً لما تقدم يصبح استئصال عادة ما أحياناً من الصعوبة بقدر، غير أننا **لا نعتقد أن الانتصار على هذه العادة أمر مستحيل**، لأن كل شيء ممكن مع المثابرة والإرادة. والمهم في هذا السبيل أن لا يقع الإنسان في اليأس الذي يولد الاستسلام والإحساس بالعجز عن التخلص من العادة، أو استحالة الانتصار عليها.

إن وجود إشخاص من هذا النوع يقوون على كبح أهواء نفسهم لمن أعظم عوامل النجاح في مجتمع ما.

الموضوع الرابع عشر

قيل: «العبقريةُ صبر طويل».

اشرح وناقش معتمداً على بعض الشواهد التاريخية، أو المستمدة من حياتك اليومية.

بَسْط الموضُوع

معنى العبقرية:

العبقرية لفظ مشتق من «عبقر»، مكان وهمي اعتقد العرب الجاهليون بأن شياطين الشعراء تسكن فيه، وإلى هذا المكان نسبوا كل شيء دقّ في صنعته وظهر فيه عمل الإبداع. **وهكذا تؤدي لفظة العبقرية معنى** البراعة وعلى وجه التحديد معنى النبوغ المذهل في شيء. فهي لذلك صفة للأشخاص الذين امتازوا عن غيرهم بتفكيرهم أو معالجتهم للقضايا والمشاكل المستعصية..

قد نطلق لفظة العبقرية على كل مظهر من مظاهر النشاط الإنساني سواء كان نشاطاً في الفكر أو الخيال أو اختراعاً أو استنباطاً.

فبين الفلاسفة عباقرة لنبوغهم في التفكير. **وبين أصحاب المواهب الفنيّة عباقرة** لنبوغهم في تصوير الأشياء وتخيلها، **وبين**

أصحاب الصناعات المختلفة، **عباقرة** كذلك لنبوغهم في الكيفية التي يستخدمون بها المادة ليسخّروها في خدمة الإنسان ـ بل إن العبقرية لتتجاوز هذه المظاهر إلى حقول الإدارة والقيادة وغيرها.

مصدر العبقرية:

لكن، ينبغي لنا أن نتساءل عن مصدر العبقرية ونتبين العلّة الرئيسة التي تجعل بعض الناس أكثر عطاءً وإبداعاً من البعض الآخر.

إن الجواب على ما تقدم لا يمكن أن يحصر في نقاط معينة لأن **العبقرية سرٌ لم يتوصل علماء النفس حتى يومنا هذا إلى اكتشاف كنهه ومعرفة حقيقته**. غير أننا نستطيع على وجه الترجيح أن نرجع العبقرية إلى مصادر ثلاثة هي: الوراثة، وتأثير البيئة، والمواهب الخاصّة.

فما لا شكّ فيه أن كل كائن إنساني خاضع لتأثير هذه العوامل، على أن للمزاج الذاتي ـ وهو في الواقع نتيجة تداخل العاملين السابقين، ونريد بهما تأثير الوراثة والمحيط الاجتماعي ـ أثره الكبير في العبقرية وما ينتج عنها من ضروب المهارة وأنواعها.

وإذا أمعنا النظر في أي مظهر من مظاهر الإبداع استطعنا أن نتلمس **سِرَّ التفوق عند صاحبه**، ولا ريب أن مجالات الخلق المبدع تعود إلى خاصة أولية هي البصيرة الثاقبة العميقة:

إن الحكمة العميقة التي يكشف عنها عقل الفيلسوف، **واللوحة الجميلة** التي تخطها ريشة الرسام، **واللحن الموسيقي** الذي توقعه أنامل الموسيقى، **والقصيدة الشعرية** التي تنثال من وجدان الأديب وأعماقه، وأنواع الزخرفة التي يوشيها النحّات أو المثال، والخطة البارعة التي ينفذها القائد الجريء، وسائر الأعمال الناجحة التي يفخر

بها العلماء وتزهو بها الإنسانية عندما تدخل في نطاق الخلود. . . إن هذه الشواهد العديدة قد صدرت في الدرجة الأولى عن الأناة والروية، وكانت مظهراً من مظاهر الانسحام بين العقل المبدع والحياة. فلا عجب **أن تكون العبقرية** في ناحية من نواحيها نتيجة الصبر الطويل والتؤدَة والقدرة على اكتشاف المجهول بالدأب المتواصل.

والمفهوم بالصبر الطويل، ليس مقصوراً على معنى الانتظار وإنما هو انتظار مع العمل، وجلد مع السعي، وثقة مع المثابرة.

قد يفشل أحدهم قبل أن يتذوق حلاوة الفوز، فلا يوهن هذا من عزمه، ولا يضعف من همته، وتراه غير متواكل أو يائس أو متهافت، بل ربما كان الفشل حافزاً له على معاودة الكرة أو الجولة. **وهكذا تتميز العبقرية بروح الأناة لأن مزاج العبقرية الذاتي يتميز بروح الصبر.**

أما الشواهد على ذلك فأكثر من أن تحصى نراها في حياة الأنبياء لأن عبقريتهم قائمة على صبرهم في الدرجة الأولى وتقبلهم الأذى بابتسامة مطمئنة. والفلاسفة ـ وهم أنبياء الحكمة وإن لم ترسلهم السماء ـ لم يفلحوا في هداية العقل البشري إلا معتمدين على كفاح العقل مع غياهب الجهل. وإن المخترعين العظام لم يولّدوا من مواد الطبيعة الجامدة، حضارة ومدنية إلا لأنهم كانوا أعند من الصخر وأشدّ صلابة من الفولاذ، وأمتن عوداً من أي مظهر في الطبيعة القاسية. وناهيك بما أكتشفه كولمبس وباستور وغليلي، وما أوجده هؤلاء جميعاً من وسائل الارتقاء، دليلاً على أن العبقرية صبر طويل.

الموضوع الخامس عشر

إن الحياة أوقيانوس ضخم، لا يتعلمُ المرءُ فمن سواه إلا الجرأةَ على خوضه. فسّر وناقش.

بَسْط الموضُوع

لا شيء يثير اهتمام الإنسان أكثر من التفكير في حياته، سواء منها الحاضر أو المستقبل. أما في الحاضر فغاية الإنسان أن يحقق ما يكفل له نعمة الاستقرار. وأما في المستقبل فهدف الإنسان أن يحقّق أحلامه ومطامحه وأن يجعل وجوده زاهياً مشرقاً موّاراً بالأمل مليئاً بالسعادة.

فلا عجب إذا كان **الحاضر نقطة الانطلاق إلى الغد**. وكل إنسان لا ينظر إلى حاضره تلك النظرة الإيجابية عاجز كل العجز عن أن يرى مستقبله على الشكل الذي يحب أو الصورة التي يرغب فيها.

إن الغد شيء مجهول، ولذلك يصعب التكهن بما يحمل لنا في طياته. والذي تسعى به قدمه في هذا الوجود لا يدري حق الدراية أين يحطّ رحاله في الأيام المقبلة. **إذ لكلٍ من الأحياء بين الناس زورق مشحون بالرغائب** قد تسعفه عوامل الوجود، **فيشق طريقه إلى الشاطىء**

الأمين، **وقد تهبّ عليه الأنواء والأعاصير**، فتصرفه عن وجهته المرسومة وتحول بينه وبني المحجة فإذا هو حائر في عرض اليم عرضة للهلاك وغنيمة للنوائب والمصائب.

فما الذي يتحتم علينا فعله، إزاء هذه الظاهرة الحياتية، أمن الواجب أن ندع القلق يداخلنا فنتورع عن الإقدام ونتردد دون متابعة السير، أم أن الواجب يقتضي منّا اقتحام عباب الحياة بجرأة ودونما خوف أو تهيب؟

قد يرى فريق من الناس، ضرورة التوقف عن المسير حتى نهتدي بخطوات الذين يسبقوننا. وحجتهم في ذلك أن الإنسان يجب أن يتعلم من غيره وأن يستفيد من أخطائهم وينتفع بنتائجهم في البحث والكشف والاستقصاء والتنقيب. فهم يقولون أليس الطفل يتعلم من أبيه، والابنة تتلقن من أمها والطالب يتدرب على يد معلمه، والعامل يجد المنفذ إلى الغد عن طريق التمثّل بصاحب العمل؟

يقولون هذا ويوجبون على الإنسان أن يكون متئداً حكيماً في تصرفاته متبصّراً في ما يقدم عليه متخذاً لنفسه مثلاً أعلى يسعى وراءه.

لا شكّ أن **حجة هذا الفريق صائبة ورأيه سديد**. ولا شك أيضاً بأن كلاّ منا يفيد من أخطاء غيره، فيكون له بذلك ما يدفعه إلى تجنب المخاطر والحؤول دون الوقوع في المعاطب. غير أننا نتساءل كيف نتمكن من تشييد صرح آمالنا وإقامة أسس غدنا وتثبيت دعائم مستقبلنا إذا نحن وضعنا الحذر دائماً نصب أعيننا وتمثلنا الاحتراس عند كل منعطف في درب أيامنا، وتوجسنا خيفة من الشرور وذعراً من المكاره.

نعم كيف نكون كما نتصور أن نكون، ونحن على هذه الصورة من **التداعي والتهافت؟**

إن الحياة بملابساتها وظروفها المتقلبة وأحوالها التي لا تثبت على حال ولا تطمئن إلى وجهة، ولا تركن إلى قرار، أشبه ما تكون بصحراء بعيدة المرامي ذاهبة إلى اللانهاية، يضيع فيها البصر ويختلط إزاءها الأمر على البصيرة، **فكيف نتمكن من اجتياز صحراء الحياة، إذا نحن أردنا أن نسير مع القافلة دون أن نوطّد عزمنا على تحمّل مشقاتها والتجلد** أمام أهوالها. إن القافلة تهدينا وترشدنا وتبعث فينا الأنس والسلوى ولكنها لن تحمينا إذا هبت علينا صروف الدهر ورياح الزمن، ما لم نكن أقوياء غير ضعفاء حازمين غير خائرين، منطقيين غير خياليين، عمليين بعيدين عن الوهم.

إن كل كائن مدفوع لأن يخوض بذاته هذا الأقيانوس الرحب الذي لا حدود له تعرف، ولا نهاية يتوقف عندها حتى يتمكن من الوصول إلى جزيرة السلام التي يقصدها ويسعى إليها. فهذا الذي اندفع في تلك الفلاة من الصحراء المحرقة، لا بدّ له أن يكافح طويلاً حتى يطمئن إلى الواحة التي تريحه من وعثاء الطريق ومشقة السفر.

وبكلمة أجمع، إن كل فرد يتعلم من تجربته الخاصة: فإن قفز زميلك في الماء فعام، لا يعني ذلك أنك إذا قفزت ستعوم مثله، ما لم تكن عارفاً كيف تطوف ولا تغرق. وإنك لن تكون كذلك إلا إذا تدربت تدرباً صحيحاً، وذقت مشقة التعلم. إن القفز إلى الماء والعوم على وجهه، شبيه بالقفز في معترك الحياة، والنجاح في خضمه. فقد يشجعك الذين غامروا وفازوا، وقد يجرئك الذين نشطوا فعملوا، راغبين في الجد حاصدين الهناء ولكن لن تحصد مثلهم **ولن تنال الفوز الذي نالوه إلا إذا كافحت ونشطت وعملت، كما كافحوا ونشطوا وعملوا**. ليس النجاح في الحياة مجرد تقليد. وليست الحياة

بالشيء السهل حتى يكون التقليد هو الباعث على النجاح، لأنك قد تسير في طريق فتهلك وينجو غيرك مع أن الوسائل كانت واحدة.

وخلاصة الكلام **النجاح الحقيقي لا يكـون إلا بالاعتمـاد على النفس** وما قيمة الذي نتعلمه من الآخرين إلا في أنه قدر يسير ينير الطريق.

الموضوع السادس عشر

«إن معرفةَ النفسِ أساسٌ في كل إصلاح، يقتضي معرفةَ الآخرين».

اشرح وناقش.

بَسْط الموضُوع

الإصلاح رسالة خطيرة الشأن بعيدة الأهمية في حياة كل مجتمع إنساني. والسبب في خطورة كل رسالة إصلاحية أنها ذات تأثير كبير في تبديل الأوضاع الاجتماعية وتكييف عقلية الأفراد بشكل يتفق وأهدافها البعيدة. وبالإضافة إلى خطورة هذه الرسالة نشير إلى أنها من الصعوبة والتعقيد والمشقة بمكان، ذلك لأن الإصلاح في مجتمع ما، إنما يتناول كائنات حيّة ذات طبائع متباينة وقابليات مختلفة وعندها قوة الامتناع الناتجة عن نزوعها الإرادي.

لئن كان من السهل جداً أن نكيف البيئة الطبيعية التي نعيش فيها من نواحيها العمرانية، كأن نقيم في جنباتها مظاهر التقدم في البناء والزخرفة والنقش، وما إليها من وسائل التجميل، فإن **من الصعب جداً أن نكيف النفس الإنسانية لأنها تختلف عما في الكون من حولها، بانفعالها وتأثيرها فهي سلبية بقدر ما هي أحياناً أيجابية.** ولئن تجلت

إيجابيتها فيما تتقبل من زاد الفكر، وغذاء القلب والضمير وغير ذلك من الأوضاع، **فإن سلبيتها تظهر أيضاً في رفضها لكثير من النواحي الفكرية والوجدانية والاجتماعية.**

وهكذا نرى أن رسالة المصلح أياً كان موقفها بالنسبة للبيئة الاجتماعية، تقتضي في الدرجة الأولى معرفة النفسية الإنسانية. فماذا نعني بمعرفة النفس الإنسانية، وما هي الوسائل التي يستند إليها في الوصول إلى ذلك؟

إن الإجابة على ما تقدم تقتضي أولاً تفهم طبيعة هذه النفس. ولعلّ أبرز صفات طبيعتها، أنها من الغموض والتركيب، إلى حدّ يصعب معه التمييز بين ظاهرها وباطنها، وعلانيتها وسرّها، وما توحيه ملامحها الخارجية، وما تخفيه تلك الملامح. فقد ترى أحدهم ضاحك الأسارير ولو كشف لك عن حاله لألفيته حزيناً يملأ الأسى جنباته ولعلّ الشاعر حين قال:

ولا تحسبوا أن رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

لعله حين قال هذا قد صور لنا بصورة غير مباشرة، النفس البشرية في خفائها وغموضها.

لذلك يتحتم على المصلح قبل أن يتحمل مشقة الإصلاح أن يدرس النفسية التي هي أساس كل صلاح. إن حياتنا مرتبطة بنوع العمل الذي يصدر عنّا. وإن عملنا بالتالي انعكاس أمين لنفسيتنا **فما لم نصلح نفوسنا لا نقدر على تحسين عملنا، ورفع مستوى وجودنا.** ألسنا على حق إذاً أن نرى صحة هذا القول: «إن معرفة النفس أساس في كل إصلاح يقتضي معرفة الآخرين»

إن مؤدب النفس لا يستطيع أن يعلّمني الصدق أو الأمانة مثلاً، إلا إذا عرف طبيعة كل منهما وأدرك ماهية الصدق أو الأمانة في قرارة ذاته وبالتالي في ذات الآخرين. وهو لا يدرك كيف يحملني على الصبر إلا إذا لمس تخاذلي. وهو أيضاً لا يستطيع أن يغرس فيّ هذه الفضائل جميعاً، إلا إذا كان هو فاضلاً. **أليس ادعاء الإصلاح عن طريق رجالات فاسدين من الأمور التي تثير الضحك والاستغراب؟** من أين لرجل تستعبده نفسه وتتحكم فيه شهواته، وتسيطر عليه أهواؤه، ويتمشى مع عواطفه، ولا يصغي لنداء العقل، من أين له القوة التي يسيّر معها نفوس الآخرين، حتى يكشف عن مكامن ضعفهم وأسباب تخاذلهم ووهنهم فيعمل على رفع نفوسهم والسمو بها!؟ إنّ كل كائن ينظر من خلال ذاته فإذا كان المنظار الذي يتطلع المصلح من خلاله، منظاراً عابساً متجهماً فهو يكون بعيداً عن النجاح فيما أقدم عليه بل قد يفسد الصالح فيزداد الأمر تعقيداً.

بالاستناد إلى التحليل المتقدم نخلص إلى القول **بضرورة انعكاف كل إنسان على نفسه والنظر في عيوبها وخصالها السيئة ويحاسبها على كل ظاهرة** وخفية مما تفعله أو تعقد النية على فعله، وبهذا وحده تتحقق الفضيلة في الأفراد ومن ثم تعم السعادة المجتمع. ألم يكن سقراط من أحكم الناس حين قال: «اعرف نفسك»، ألم يرسم بذلك طريق الإصلاح الحق؟ ألم يكن اليونان يهدفون إلى الإصلاح حين نقشوا على باب معبد «دلفي» تلك الحكمة الجليلة.

إن كل مصلح وكل من يرغب في أن يصلح نفسه ويصلح غيره مدفوع للتمثل بهذه الحكمة.

الموضوع السابع عشر

قيل: «لا تنشأ عظمةُ الذّات إلا إذا فنيت في شخص عظيم».

اشـرح وبيّن إذا كان هـذا الكـلام ينـطبق على حقيقـة المثـل الأعلى.

بَسْط الموضُوع

العظمة ضروب وألوان. وهي بصورة عامة **تضمّ كل مظهر من مظاهر التفوّق.** فالعظيم من الناس أيّاً كانت عظمته هو الذي يفـوق الآخرين، وربما كان مضرب المثل في المضمار الذي تفوّق به. فحين يقال إن هذا الفنان عظيم في فنّه معنى هذا أنه قد برع في اتجاهه حتى أصبح **دليلاً على السمو والإبداع فيه.** وكل إنسان يسمّى مبدعاً حين يبرع في مهنته أو عمله سواء تعاطى المهن اليدوية التي تعتمد في الدرجة الأولى على الطاقة الجسمية، أو المهن العليا أو العقلية التي تستند في الدرجة الأولى على مبدأ التفكير.

والحياة مدرسة كبيرة، كل إنسان طالب أو تلميذ في مجالاتها الرحبة، وكما أن التعليم في المدارس يعتمد فيه على التلقن والتوجيه، **كذلك نجد التعليم في الحياة يعتمد هو الآخر على التلقن والتوجيه.**

وعلى نحو ما يتتبع الابن خطوات أبيه والابنة نهج أمها، وكما أن الطالب قد يتأثر بأسلوب معلّمه كذلك كل **كائن اجتماعي يميل حسب أغراضه في الحياة** وحسب أهدافه ورغباته إلى أن **يتمثل بكائن اجتماعي آخر** يكون قد سبقه في السبيل التي يريد هو أن يسلكها..

إن الجندي الذي يجد ويثابر على التزوّد بالخبرة الفنية حتّى يصبح ضابطاً خبيراً لا بد له، من ترسّم **خطوات قائده الأعلى**. وقس على ذلك مختلف النشاطات الإنسانية.

تصور الطبيب الناشىء والتاجر المبتدىء والموظف المتمرن، والمهندس الذي استجدّ في حقله، تصوّر هؤلاء جميعاً، قبل أن يتوصلوا إلى ذروة النجاح في ميادينهم المتضاربة، يحتاج كل واحد منهم، أن يتخذ لنفسه مثلاً أعلى بارزاً في شخصية فذّة استطاعت أن تنال التفوق الكليّ في الميادين نفسها: الطب والتجارة والإدارة والهندسة...

هكذا نستنتج إن كل فرد مدفوع بميوله الطبيعية، إلى أن يحاكي شخصية ما، في طريقة عيشها، وعملها واتصالها بالآخرين، وبناء وجودها الإنساني.

ولكننا نتساءل ما هو **السر في هذه المحاكاة**؟ إنه ولا ريب **نوع من الإعجاب**:

قد يعجب الطفل بإشارة من إشارات أبيه فيحاول تقليدها وهو ينجح في ذلك عندما يروّض نفسه على المحاكاة.

إن تلك العملية صورة بدائية للمثل الأعلى. إنها محاكاة آلية تعتمد على شبه حركة عضلية، فإذا أردت مثلاً لتطور هذا التقليد

العضلي تصوّر الطالب في المدرسة الابتدائية أو الثانوية حيث يحاول أن يؤدي أحد التمارين الرياضية متخذاً طريقة مدرب الرياضة نموذجاً يحتذيه.

وبالطريقة نفسها تتعقد عملية المحاكاة في حياة كل إنسان بحيث تسلتزم منه الدقة والمهارة، كما تتطلب في الأعمال السامية التضحية والجرأة والمثابرة. وإن المثل القائل كم من تلميذ فاق معلماً ليدلّ دلالة صريحة على أثر المحاكاة وقيمة المثل الأعلى في الحياة.

غير أننا نعتبر اتخاذ الإنسان مثلاً أعلى شيئاً لا يستغرق كل مراحله وإنما يستغرق طوراً من أطواره. لأن الإنسان عندما يحقق أهدافه يتنازل باختياره أو عدم اختياره عن وسائل المحاكاة، فيكوِّن لنفسه أسلوباً في ممارسة عمله. كالكاتب الناشىء الذي يعجب بأساليب الكبار البارعين فما يفتأ يجري على سننهم في فن الكتابة حتى تستوي له طريقة خاصة، فيصبح بدوره أديبًا بارعاً. وهكذا صح القول بأن عظمة الذات لا تتكون إلا إذا تتبعت تلك الذات خطوات شخصية عظيمة.

يجدر بنا، ونحن بصدد البحث في ماهية المثل الأعلى أن ننوه بأن عملية المحاكاة الإنسانية أساسية في سائر الاتجاهات الفردية والجماعية، فسواء كانت الأهداف والمطامع نبيلة شريفة أو وضيعة دنيئة. لا بد من هذا الفناء أي الاقتداء بسيرة عظيم والاهتداء بشخصيته المرموقة التي هي محطّ الرحال ومتّجه الأنظار.

الموضوع الثامن عشر

الاستمتاعُ بالحياة لا يتوفرُ إلا بشيءٍ واحد هو راحةُ الضمير أو بتعبير أدق، السلامُ الروحي». إشرح هذا الرأي.

بَسْط الموضُوع

تـزخـر النفس الإنسـانيـة بحشـد عجيب من الميـول والأهـواء والرغائب وهي جميعها تشكل في نظر علماء النفس، حاجات حياتية لأنها صورة لقوى الإنسان الباطنة. يظلّ الكائن في حـالة من القلق والاضطراب طالما أن هذه الحاجات لم تتحقق.

إن كلّ رغبة تتوفر للإنسان تورثه طمأنينة وتشعره بالأمن والسلام، سواء في ذلك الرغبات المادية أو المعنوية، فإذا كان الجسم بحاجة إلى الطعام ليسدّ جوعه، فإن التوازن يظل مفقوداً طالما المعدة فارغة لأن الجسم الإنسـاني وحدة متكـافئة في العمـل تـربط بين جميـع أعضائه. وقل مثل ذلك بالنسبة للحاجات المعنوية التي يهدف إليها المرء. فإذا كان راغباً في النجاح فإن هذه الرغبة تخلق عنده نوعاً من القلق النفسي يظلّ يتغلغل في أعماقه حتى ينجح.

ولا شكّ في أن الإنسان مدفوع بحكم طبيعته، وبحكم فطنته

وذكائه، إلى أن يسعى إلى تلبية حاجاته المتباينة حفظاً لذاته من الأذى الذي قد ينتابها إذا لم يحقق ما يريد. وتشاء الطبيعة الإنسانية أن تجعل في نفس الإنسان مركزاً من مراكز الحيوية من شأنه أن يدفعه لصون علاقته الطيبة مع الآخرين. **هذا المركز الحيوي يمكن أن يدعى الضمير**، فهو في الواقع رقيب على أعمال الإنسان، ووظيفته أن يقيم التوازن بين الذات الفردية والذات الاجتماعية وهو بذلك يقوم بدورين: دور المدافع، ودور المحارب.

أما الدفاع فيكون حين ينتاب الإنسان ظلم من ناحية المجتمع. عندئذ يتيقظ الضمير ويحاول أن يبعث حمية الإنسان ليناضل من أجل حقّه المهضوم حتى يؤمن السلامة التي يحتاج إليها.

غير أن دور المحارب عند الضمير شيء رئيس بالنسبة لوظيفته فهو يحافظ على أداء مهمته إزاء المجتمع في كل مرة يقترف فيها الإنسان خطأ بحق الآخرين أو يستهين نحوهم بواجباته. **وفي تلك الحال يعلن الضمير حربه على الإنسان بأن يثير المشكلة الاجتماعية في وعيه، بصورة من شأنها أن تشعره بفداحة إثمة وجسيم خطأه.** بكلمة ثانية يسلب الضمير الإنساني الكائن كل راحة فتراه منغص العيش منكد الخاطر يداخله اليأس فلا يشعر بالطمأنينة المتوخاة، وإنما يقضّ العذاب مضجعه، حتى يجعله نهبة للألم. وكما أن الإنسان مدفوع بحكم غرائزه لإشباع رغباته حتى يطرد القلق عن نفسه كذلك **هو مدفوع بحكم طبيعته الإنسانية، لأن يستجيب لنداء ضميره حتى يحقق سلامه الروحي.**

فالضمير إذاً وسيلة من وسائل الاستمتاع بالحياة لأنه يقوم بنوع مزدوج من العمل فهو يحافظ على الإنسان تجاه الأخطار المحدقة به

من الخارج، كما يحافظ عليه تجاه الأهواء النابعة عنده من الداخل. وعندما يكون الضمير في حالة من الارتياح يتاح لهذا الكائن أن يتمتع بالحياة. وهذا ما نعبر عنه بالسلام الروحي.

فالسلام الروحي مرتبط براحة الضمير، وكلاهما مرتبطان بأداء الإنسان لواجباته، من غير تقصير، يجعله مسؤولاً أمام وجدانه وأمام الآخرين. ويخطىء الذين يعتبرون السلام الروحي ناشئاً من توفير الرغبات المادية للإنسان. فهو ليس منوطاً بالثروة ولا السيادة، وإنما هو منوط، وفي الدرجة الأولى، بهذا الشعور بالقناعة الناتجة عن إقرار بالواقع ورغبة في الاستمرار بالسير نحو غد أفضل. لهذا صحّ قول أحدهم:

«الاستمتاع بالحياة لا يتوفر إلا بشيء واحد هو راحة الضمير أو بتعبير أدق السلام الروحي».

الموضوع التاسع عشر

إذا أنيط بك أمر إصلاح قريتك فما هي الوسائل التي تعتمدها لذلك؟

بَسْط الموضُوع

لا شيء أشق من رسالة المصلح أياً كان لون إصلاحه: سواء تناول البيئة أو أفراد البيئة. على أن أهم خطوات الإصلاح الرئيسة هي هدم الفاسد ليقوم البناء الجديد على أسس قويمة.

فالهدم إذاً ضروري لأنه تمهيد لكل مظاهر التجديد في الخلق والمجتمع والسياسة والاقتصاد...

فلو أنيط بي أمر إصلاح قريتي، فسيكون الهدم في طليعة الأمور التي أقدم عليها. وعملية الهدم هذه ستكون واسعة شاملة ستتناول التقاليد التي أصبحت نوعاً من الرجعية المقيتة كما تتناول العادات البالية التي لا تتفق وروح التطور، يضاف إلى ذلك هدم روح التفرقة التي تباعد بين المواطنين وتجعلهم أحزاباً وفرقاً تتناحر، فيؤدي تناحرها إلى تأخر البلدة وتنغيص عيش سكانها. ولكن ما هي الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في هذا السبيل؟ يمكن تلخيص هذه الوسائل بما يلي:

أولاً: توفير العلم:

لا شك أن التقدم، ومسايرة روح التطور مرتبطان ارتباطاً كلياً بمدى انتشار المعرفة في محيط ما. فالعلم المثمر من شأنه أن ينير العقول بحيث تتقبل مطالب الإصلاح عن رغبة لا عن إكراه. وتوفير العلم يكون عن طريق مدرسة القرية أو مدارسها، بالنسبة لعدد سكانها. على أن تطبق في تلك المدارس وسائل التربية الحديثة التي تجعل من ابن القرية مواطناً صالحاً، لا ينفر في المستقبل من خدمة بلده والعمل على تحسين شؤونه.

أما برامج التعليم فبعيدة عن تلك التي تطبق عادة في المدن، لأن حاجات القرية تختلف عن حاجات المدينة. ففي مدرسة القرية يجب أن ينشأ التلامذة على حب أرضهم وأن يوجهوا توجيهاً زراعياً، يهدف إلى إنعاش الحياة الريفية عن طريق إنشاء المزارع التي تعنى بتربية الطيور وإنماء الحياة الاقتصادية فيها.

طرق الانعاش الاقتصادي:

ومن متطلبات إنعاش القرية اقتصادياً مضاعفة غلالها ومنتجاتها، وفي هذا السبيل يمكنني الاعتماد على وسائل إيجابية منها حثّ القرويين على استعمال آلات الزراعة الحديثة التي تعطي نتائج أفضل وأسرع. وهذا يساعد من ناحية ثانية على زيادة نسبة الأراضي المزروعة في القرية، واستخدام الإمكانيات التي تهيأت لأهلها، عن طريق المدرسة الريفية. هذا جانب من الإصلاح الاقتصادي في القرية الذي يقوم أولاً وآخراً على الإكثار من اليد العاملة باعتماد وسائل الزراعة وطرق الري الحديثة، وزيادة المساحات المزروعة وتنويع الانتاج الزراعي ليستخدم في مجالات الصناعة المختلفة.

توجيه القرية اجتماعياً:

بقي أمر إصلاح القرية من الناحية الاجتماعية. وهذا يمكن أن يتوفر عن طريق التوجيه التربوي الذي يدفع أهل القرية لأن يشكلوا عائلة واحدة يتضامن أفرادها في سبيل الخير العام، والتنازل عن حزازاتهم الشخصية. ولهذه الغاية يمكن إنشاء هيئات عديدة في القرية بحيث يتولّى كل فريقٍ أداء مهمة إصلاحية: كالهيئة الصحية والهيئة التي تتولى توجيه المزارعين توجيهاً علمياً، يضاف إلى هاتين الهيئتين هيئة ثالثة غايتها فضّ سائر النزاعات بطرق الودّ والإخاء.

هذه هي أهم الوسائل لإصلاح القرية على أن تطبيقها يحتاج إلى التعاون مع الفئات النيرة من أبنائها الذين يمكن الاعتماد عليهم في هذا المضمار.

* * *
* * *

الموضوع العشرون

«سئل «لنكولن» عن أعظم كتاب قرأه فقال: «إنه أُميّ». بيّن أثر الأم خاصة، والمرأة عامة في حياة الفرد المجموع.

بَسْط الموضُوع

لئن أنكر البعض على المرأة أن تقوم بالوظائف التي قام بها الرجل منذ فجر العالم إلى يومنا هذا. لئن أنكروا عليها أن تكون أهلاً لمعالجة الأمور السياسية ومجابهة مشاكل المجتمع، وحلّ معضلات الفلسفة والضرب بسهم وافر في الحقل العلمي، فليس أحداً ينكر عليها أهمية الوظيفة التي تؤديها للإنسانية كربّة بيت، وكأم تسهر على راحة أفراد مملكتها الصغيرة.

ليس من شأننا أن نناقش رأي الذين لا يحبذون اشتغال المرأة في حقول الحياة العامة، لأن هذا شيء منوط بالواقع والتاريخ، غير أننا نستطيع أن نناقش بجرأة ووضوح عظم المسؤولية الملقاة على عاتق المرأة في حقل الأمومة.

إن حياة البيت التي يقضي فيها الكائن الإنساني، أدقّ وأخطر مراحل وجوده، بعيدة الصلة في نجاحها وفشلها بالدور الذي تلعبه الأم في غضونها. فالبيت إحدى حلقات الحياة، بالنسبة لكل فرد من أفراد

المجتمع بل هو أهم حلقة بالنظر لوضعية هذا الكائن نظراً لتأثير جوّ العائلة على سائر ملكاته وميوله واتجاهاته في الحياة. من هنا كان دور الأم رئيساً بالنسبة لأطفالها وبالنسبة لسائر أفراد الأسـرة، التي تهيمن هي على شؤونها. فالحياة العائلية هي التي تساعد على نموّ الطفل ونضوجه في تلك الحقبة الأولى، أي في فترة الطفولة. فالطفل إنما هو نواة لمستقبل المجتمع وبقدر ما تغرس في نفسه الصافية وفي وجدانه الحرّ، بذور الفضيلة والخيـر بقدر مـا يجني المجتمع ثمـار التقـدم والفلاح. فلا شيء إذاً يتيح لأمة من الأمم أن تسير في معارج الرقي وتتبوأ مكانتها المنشودة فوق قمم التاريخ، وذرى الزمن، سوى التربية البيتية الصالحة. فالطفل يفتح عينيه للمرة الأولى على صورة أمه فأول صوت يسمعه هو صوتها وأول توجيه أخلاقي يعيه هو توجيهها، وأول مظهر من مظاهر المحبة والعاطفة يتحسسه هو حنانها وإشفاقها. فلا عجب إذا كان البيت مدرسة وكانت الأم هي المعلمة الأولى في هذه المدرسة. وكانت تعاليمها هي الدروس الأولية والأساسية بإزاء دروس الحياة الاجتماعية، التي يتلقنها الكائن فيما بعد. ففي مدرسة الأمومة يطالع كل مخلوق أول كتاب من كتب العلم والتوجيه، كتاب لم يسطر بحبر، ولم يرصف بحروف، وليس هو مجموعة أوراق كثيرة أو قليلة، وإنما هو كتاب إنساني صفحاته من قلب ووجدان، وحروفه من محبة وفضيلة وغلافه من نور، وكل ما فيه جوهر. إنه الكتاب الذي يستوحي منه الموهوبون فنَّهم ويستلهم منه الأدباء شعرهم، وهو كذلك السفر القيِّم الذي يخلق الفلاسفة ويبعث العباقرة وينتج الرجال العظام، إذا أدت الأم وظيفتها كاملة لا منقوصة ورسالتها تامة غير مشوّهـة. وإذا تعاونت مدرسة الحياة مع مدرسة البيت، في تقويم النفس الإنسـانية وصقل مواهبها وبثِّ أسمى العادات في تربتها.

ما من كتاب يعلّم الإنسان أسمى المثل وأنبل القيم كالأم. فهي رمز التضحية وعنوان الإيثار وصورة مجسدة لكل معاني الخير. فمن يعرف كيف يطالع في هذا الكتاب، يدرك أن التضحية عطاء من غير أخذ وبذل من غير ربح، وتعب من غير راحة، ومحبة بدون ثمن. هذه هي الأم وتلك هي رسالتها وهذا هو كتابها سطرته العناية الإلهية، وبعثته رحمة للإنسان. ولا عجب بعد ذلك أن يقول **لنكولن بأن أعظم كتاب قرأه هو أمه.**

أما إذا أردت أن تحدد أثر الأم في حياة الفرد أو أثرها في حياة المجموع أمكننا القول بإيجاز كلّي بأنها تقوم بأعظم دور في التعليم هو دور التهذيب الأخلاقي، الذي عليه المعوّل في نجاح حياة الفرد، وبناء صرح المجتمع. فعندما تستهين المرأة بواجبها لا تهدم حياة أبنائها وحسب وإنما تهدم كذلك حياة مجتمعها، وتسيء إلى أمتها أيضاً. ولقد صدق الشاعر العربي حافظ إبراهيم عندما قال:

الأمُ مدرسةٌ إذا أَعدَدْتَها   أعدَدْتَ شعباً طيّبَ الأعراقِ

فلنحسن تربية فتياتنا نحسن بذلك تربية الأجيال الطالعة.

الموضوع الحادي والعشرون

«ليس العارُ أن يسقطَ المرء، ولكنَّ العار أن يبقى حيثُ سقط».

بَسْط الموضُوع

قـد يؤخذ السقـوط بمعنى الزلـل، وقد يؤخـذ بمعنى الفشل. ويقصـد بالـزلل الـوقوع في أخـطاء من شأنهـا أن تسيء إلى سمعة الإنسان: كأن يقترف إثماً أو يجنح عن جادة الصواب، ليقوم بأعمال ليست من النبل أو الشرف في شيء. أما الفشل فهو عدم الفوز في قضيـة من القضـايـا، والخيبـة في أمـر من الأمـور، أو مشـروع من المشاريع.

ونتساءل فيما إذا كان زلل للإنسان أو فشله، يسببان له العار بين الناس ويصمان اسمه ويلطخان شرفه؟

لا شكَّ في أن الزلل على النحو الذي فسرنـاه سابقـاً، يلحق العار بالإنسان لأن أول واجباته المحافظة على المثل الأخلاقية وعدم التردّي في مهاوي الرذيلة، أو الشطط عن طريق الفضيلة، لاسيما إذا كانت زلّة المرء نتيجة التهور، لأن العقل يقضي بأن يتبصر كل فرد قبل

أن يقدم على عمل ما، من شأنه أن يهدد طمأنينته الروحية بالقلق، أو يعرض سمعته إلى السوء والدنس.

غير أن الفشل يختلف عن الزلل، لأن النجاح، وإن كان مرتبطاً بإرادة الإنسان، إلا أنه **مرتبط كذلك بالظروف** التي ترافقه والملابسات الزمنية والمكانية، التي **تحيط** به. من المفروض أن يسعى الإنسان وأن يبذل كل جهده في إتمام ما يقدم عليه من مهمة وما يوكل إليه من مسؤولية. ولكن ليس مفروضاً عليه أن ينجح لأنه لا يستطيع دائماً أن يتغلب على كل ما يعترض سبيله من عقبات، وما يقف في وجهه من حواجز، وما ينتابه من مصائب، أو ينزل به من شدائد. وهكذا نجد للإنسان عذراً إذا فشل ولم يوفق، أو إذا خاب ولم ينجح. إلا أننا لا نعطيه العذر دائماً إذا زلّ أو أخطأ، لأنه وهب العقل ومنح الضمير، وعليه أن يسترشد بهما في كل خطوة من خطواته، وفي كل مسعى من مساعيه. وهكذا نجد أن **السقوط ليس عاراً حين تخرج أعمال الإنسان عن نطاق قدرته فتصبح غير خاضعة لإرادته الذاتية**، مع اليقين بأن الكمال ليس في مقدور البشر لذا قيل: لكل لسان هفوة، ولكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة.

لئن وجدنا للإنسان العذر في أن يسقط فيفشل أو يقع في هفوات وزلات، **فلا عذر له إذا استسلم إلى اليأس، ولم يحاول أن ينهض من الهوة التي وقع فيها. فالفشل شيء واليأس من النجاح شيء** آخر. وقد لمسنا في حياة العظماء أن الخيبة قد رافقتهم جميعاً، ولكن ثقتهم بأنفسهم لم تضعف وإيمانهم بالفوز لم يضمحل. فاتخذوا من محنهم قوة على المضي في الطريق التي رسموها لأنفسهم، مجددين محاولتهم في الجهاد والنضال حتى كتب لهم النصر الذي يصبون إليه.

فاستحقوا عندئذ الثناء المضاعف، والحمد الأعم، لأنهم برهنوا عن رجولة وكشفوا النقاب عن مضاء وعزيمة قوية. إن الخطأ من طبيعة النفس البشرية لأن من لم يذق إثم الشرور لم يعرف فضيلة الخير. فبوسع كل امرىء إذاً أن يمحو ما يلحقه من العار في فشله، إذا هو برهن عن رغبة في إصلاح ما فسد وتحسين ما ساء وإلا فإن العار يلحق به أبد الدهر.

فاعمل أيها الإنسان جاهداً لكي تتقدم في مسعاك لأن العمل الطيّب كالثمرة الطيبة، وهو يمحو العمل السيء، ويجدّد الثقة بالنفس والحياة.

الموضوع الثاني والعشرون

اشرح وناقش هـذا القول: «الشـدائدُ جبـالٌ معنويـة، تتسلّقها النفوس لتقوى، وهي امتحان للرجولة، ومثار للهمة الإنسانية».

بَسْط الموضُوع

كما أن هناك رياضة للجسم، هناك كذلك رياضة للنفس: وإذا كان الإنسان قد عني برياضة الجسم، فأوجد لها وسائلها، وعمل على توفيرها في مناهجه التربوية، فهو لم يأل جهداً للعناية برياضة النفس، ومراعاتها في نظم التربية أيضاً. فحيث سادت النظم الحديثة، وجدنا لهذه الرياضة المعنوية آثارها، ولمسنا اهتمام المربّين بتدريب نفوس الناشئة عليها.

في المدرسة الحديثة، يحرص المسؤولون على إعداد الحدث للحياة، بإعداد نفسه إعداداً صحيحاً، **إذ يعـودونه على الثقـة بنفسه والاتكال عليها، ومواجهة الخطوب والصمود أمامها.** وفي هـذا كلّه دربة على الثبات والصبر والكفاح وكلها عوامل بعيدة التأثير في ترويض النفس وتقويمها.

ومع ترحيبنا بهذه الأساليب الحديثة، في التربية النفسية وإيماننا بضرورتها، وأنها المثل التـربوي الجـدير بـالتعميم، لا ننكر أن في

الحياة، ما هو أبلغ تهذيباً للنفس وصقلاً لمواهبها. فالشدائد خير مروِّض للنفس الإنسانية، تحدّ من طفرتها ورعونتها، وتزيد في مناعتها وصمودها، تحارب ضعفها، وتعلن الحرب على الغرائز التي أساء الإنسان في توجيهها. في الواقع جبال معنوية أو مفاوز صحراوية يذوق الإنسان فيها طعم الأذى والحرمان، فيتألم ليتطهر ويشقى ليسعد. وإذا كان من غرائب صناعة الطب، انتصار الإنسان على الألم بالألم، فإنَّ من غرائب طبابة النفوس انتصار الإنسان بالشدّة على الشدائد، وما أصدق أبا نواس حين صوّر هذا بقوله:

دعْ عنْكَ لوْمي فإنَّ اللومَ إغراء   وداوِني بالَّتي كانتْ هيَ الدّاءُ

وإذ يقوى الجسد بضروب من رياضة العضلات، بارتياد مجاهل الطبيعة وتسلق جبالها. كذلك **تقوى النفوس بتسلق هذه الجبال المعنوية والسير في مسالكها الشائكة**، المحفوفة بالمخاطر والصعاب. لهذا رأينا أشدّ الناس قوة مراس، وأقواهم على تحمل مصائب الدهر، والصمود في وجه أحداثه الجسام، هؤلاء الذين أذاقتهم الحياة ويلاتها، وكان لهم من الإيمان بقيمة الكفاح، درع متينة تقيهم من التخاذل أمام زوابعها وعواصفها أو التصاغر إزاء قسوتها وجبروتها. إن الدهر لا يلتهم في الواقع إلا جبناء النفوس، الذين تهلع قلوبهم وتتهالك قواهم، لأقل ما ينتابهم من أذى الدهر وظلم الأيام.

وما أصدق من قال: «**العمل الشاق بوتقة لصهر الرجال**» وما أشبه هذا بقولنا: «**الشدائد امتحان للرجولة**». إن الحياة سلسلة من الاختبارات لا يكاد أحدنا يخلص من امتحان فيها حتى يتلقاه امتحان، وفي هذه كلّه معيار لرجولة النفس. فالنفوس كالمعادن لا يعرف نوع جوهرها إلا بالمصاعب فبواسطتها نقيس قواها، من إرادة وثبات،

وإقدام، وجرأة، وغلبة وكفاح. أليست الحياة بشدائدها مدرسة يتخرج فيها عظماء النفوس الذين هم عظماء التاريخ؟ فحيث قلّبت سفر الخلود، وجدت في شخصيات الخالدين معالم نفوس قوية، لم تعرف نعمة البقاء إلا بتطاولها على هوى النفس وميولها.

والشدائد أخيراً مثار للهمة الإنسانية. فالواقع لا يؤمن بنجاح الطفرة في الحياة، وهل يحتلّ قمة الخلود إلا من دفع ثمن الخلود؟!... إرهاق جسّم وجراح نفس، دموع عين، ودم أعماق...؟ وهل يدفع هذا الثمن إلا من تجلد فتحل لذع سياط الحياة!... فحيث تنبت الأرض خصباً، وترسل فيئاً يكون المحراث قد شقّ طريقاً وحفر أثلاماً،... وحيث تبدع الحياة رجالاً، يكون الألم قد فتح جروحاً والشدائد قد اعتصرت أعماقاً...

وكما يلذُّ للهواة ممارسة صنوف من الرياضة صعبة، تتطلب افتناناً في الممارسة ودربة واختباراً، كذلك **يلذّ لكبار النفوس، ممارسة الصعاب والشدائد.** ففيها مزيد من الدربة على الحياة والخبرة بصروفها، فكم خلقت المصاعب من أفراد تطاولوا على الشهب ببقائهم وقاربوا الشوامخ بصمودهم بعد أن أثارت الشدائد نواحي نفوسهم الإنسانية، فكانت لهم همم قعساء وكان لها بالتالي في البطولات سجل حافل بالمواقف الروائع.

إن العظمة الحقيقة هي هذه التي بنى صرحها رجال عظام رفعوا حجارته على سواعد الجد، ورصفوها على أسس الإيمان والكفاح ومن دماء نفوسهم التي أسالتها الشدائد زخرفوا جنباته، فكان كما يخلد الجمال، خلوداً في النفس وجمالاً في عطائها.

الموضوع الثالث والعشرون

قيل: «أبطىء في اختيار الصديق وأبطىء في تركه». ناقش هذا القول مبيناً على ضوء تحليله قيمة الصداقة في حياة الفرد.

بسط الموضوع

الأصدقاء هم الأعوان على الحياة، والمعتصم من الشرور، والرائد في الملمّات والمنتجع في العوز، وليس كمثلهم ملاذ في المصائب، وملتجأ في الشدائد، ومنار في ظلمة الأيام. وليس أدعى للتغلب على الصعاب والثبات للصروف، ومقارعة الخطوب، من تحابّهم وتواصلهم واجتماع آرائهم، واتحاد قواهم. **فالإنسان ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه**؛ وليس الأذى الناشىء عن ايقاع الدهر بذي شأن، إذا تقاسمه الأخوة المتوادون المؤاسي بعضهم بعضا في المكاره. وما أصدق الذي قال: «أعظم كنز في العالم صديق صادق»، فالصداقة تخلق المحبة، والمحبة تلاشي الحسد، وتقرب بين النفوس، فتنتزع منها نوازع الأنانية، لتقيم التضحية مكان الجشع، والبذل محل الإمساك، والنصح موضع الختل، والإيثار مكان الأثرة.

على أن الصداقة الحقّة أندر من الحب البالغ، لأنها تستلزم

التصافي بين قلبين، والتعانق بين روحين، والتآخي بين رأيين، **فليس كلُّ من جمل في عينك ودوداً، وليس من ملك عليك مشاعرك صدوقاً**، فنفوس الناس غوامض، ولا تعرف معادنها إلا بعد طول أناة، وكثرة اختبار.. لهذا وجب الإبطاء في إختيار الأصدقاء لعظيم خطرهم وخطورتهم في حياتنا: فالصديق مستودع السر، تكاشفه بما عندك من رأي، وتبوح له بنواياك، وتطلعه على دخائلك، وهو موضع المشورة، إليه يفزع في تحكيم الرأي، ومنه يطلب النصح، وبقوله يسترشد، وبحكمته يتعظ.. وهو كذلك الساعد في العمل ، تشدُّ به أزرك، وتتخذ منه عضدك، فتجعله قسيمك في أعمالك، كما هو شريكك في سرّك ورأيك. فكيف لا تبطىء في اختياره، وتتأنى في إنتقائه، وتستمهل في مصادقته، وتستأخر في معاشرته والإنقطاع إليه، وهو ينزل منك منزلة ذاتك؟ لذا يجب أن يتميز الصديق بصفات في الخلق والتفكير وأنِ يختار من بين الذينِ نبلت أخلاقهم وكثرت مكارمهم، وعمّت فضائلهم. ممن عرفوا بكرم المحتد، وصدق العون، واشتهروا بطيب الخلال، وبعد النظر، وشهد لهم بسعه التفكير وسداد الرأي، وقوة العزيمة وتصلب الإرادة.

فإن لم يكن الصديق كذلك أفشى سرّك، وباح بنجواك، ولم يدخر جهداً في الإساءة أليك، برأيه الفاسد، ونصحه الكاذب وعظته الباطلة. وقد يسبب هلاكك لأنه أعلم بمواضع الضعف فيك وخفايا الأمر عندك. وهو إن أمنته على مالك سرقك، وإن استعنت به في عملك أخسرك، وتراه في النائبات مزوّراً يعرض عنك، ولا يمدك بعونه، ويتركك تضيع في زحمة الخطوب ولا ينتشلك. فإن صار الأمر إليه وأعوزتك الحاجه له، اجاعك ولم يطعمك وتركك عاريا ولم

يلبسك، فلذَّ له ذلك وسرَّه ذهاب شأنك. **فأبطىء في اختيار أصدقائك فهم أخطر عليك من أعدائك:**

إحـذرْ عـدوَّكَ مـرة واحـذرْ صديقَـك ألفَ مـرّه
فلربّمـا إنقلبَ الصـديقُ فكـانَ أعـلمَ بـالـمَـضـرّه

الإبطاء في ترك الصديق:

وكما قضت الحكمة أن لا تتعجل في اختيار الأصدقاء، فإنها تستلزم كذلك عدم التعجل في تركهم لأقل ما يصدر عنهم من هفوات. فالصديق كغيره من الناس معرّض للخطأ، **وقد لا يكون له في ردّه يد، لهذا ينبغي أن لا تكثر من عقابك أصدقاءك، أو التشدّد في لومهم والتضييق عليهم، في أمور لا يطالك فيها أذى، ولا تنمّ عن إرادة مقصودة في الإساءة إليك. بل العذر هنا أولى من التعنيف، والتناسي خير من التذكير، والتسامح أوجب من المحاكمة. فالذي يمكن إصلاحه من خطأهم بالودّ والأناة قد لا تفلح في إصلاحه بالشدة. فإن انت تشددت في ذلك، وكنت متزمتاً، فإنك لن تجد الذي لا يخطىء.** وما أروع بشّارحين صوّر هذه الناحية من طبيعة الإنسان بقوله:

إذا كنْتَ في كـلّ الأمور معـاتباً صديقَك لمْ تلقَ الّذي لا تعاتِبُه
فعشْ واحـداً أو صِـلْ أخـاك فإنه مقـارفُ ذنبٍ مرّةً ومجـانُبه

وقديما قال النابغة مخاطباً الملك النعمان، في اعتذاريّاته:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لك لا تلمّه على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ؟

وهبْ أن صديقاً لك لم يرع عهد الصداقة، وتطرَّف في الإيقاع بك، فالتعقل يقتضي منك استمهاله وعدم الانقطاع عن موالاته فجأة،

وعدم مصارحته بوقوفك على دخيلة أمره، بل عليك أن تتدرج في الإبتعاد عنه مع الحذر الدائم والإحتراس الشديد، دفعاً لكل ما قد ينجم عن تركه السريع من عواقب يمكن تلافيها بالدراية وحسن التدبير.

إن ما للصداقة والأصدقاء من أثر قويّ في حياتنا يدفعنا إلى اتخاذ الأساليب الملائمة سواء في اختيارهم أو الابتعاد عنهم، **فالعجلة لم تدخل نفس إنسان إلا أورثته الندامة.**

الموضوع الرابع والعشرون

يقول نيتشه: «حيثُ توجدُ حياةٌ توجد أيضاً إرادة». حلِّل، وبيّن أثر الإرادة في حياة الفرد والمجتمع والإنسانية.

بَسْط المَوْضُوع

ماهيه الحياة:

إن تحليل قول نيتشه يتطلب أولاً، الوقوف على ماهيه الحياة، أي معرفة حقيقتها وجوهرها. وهنا نتبع طريقة البيانيين في تحديدهم طبائع الأشياء عن طريق المقابلة بأضدادها، وعلى الأخص إذا كان الضدُّ أكثر وضوحاً وأبعد عن الغموض والإبهام. فالحياة حسب الدلالة اللغوية، هي نقيض الموت. وصورة الموت أوضح في الذهن من معنى الحياة. ومات لغة بمعنى سكن وبلى، والشيء الموات مالا روح فيه. وهكذا يتضح أن الحياة مناقضة للعدم والفناء والسكون والجمود، فأخص مافي الحياة أنها وجود وحركة وفاعلية وبقاء.

هذا هو معنى الحياة من وجهة لغوية إشتقاقية، أما حقيقتها كجوهر أي من الوجهة الصورية المعنوية، فهي القوة الطبيعية التي تجعل الشيء قائماً بذاته، ولا يقوم شيء بذاته إلا إذا أثبت فعالية، فالحياة قائمة في كل صورة ناشطة ومتحركة.

الحياة والعيش:

على أن معنى الحياة، يجب أن يرتبط لا بالوجود وحسب، وإنما بالوجود الإنساني كذلك، أي أن تكون قائمة في كل صورة حركية تصرف طاقتها الكاملة إيجابياً، وفق أغراض إنسانية، بحيث تنسجم اتجاهات هذه الطاقة مع غاية الوجود الإنساني. وهذا يعني الإنسجام الكليّ مع مبدأ التصاعد نحو غاية مثالية.

ومن هنا اختلف معنى الحياة عن معنى العيش، ففي حال العيش لا يتطلب من الكائن تحقيق مثاليات، فالذي يعيش لا يتخطّى العتبة القائمة بين الوجود العفوي - الذي هو شرعة الطبيعة - وبين الوجود الحتمي الذي هو شرعة الإنسانية.

أما في حال الحياة، فتحقيق الغاية من الوجود شيء لازب، فالذي يحيا، يعوزه أن يعيش، لا للمحافظة على الوجود العفوي، وإنما لتخطي الوجود العفوي إلى وجود قائم على إثبات الذات. **وهنا نلمس ملازمة الإرادة للحياة،** ونفهم قول نيتشه: «**حيث توجد حياة توجد أيضاً إرادة**» وعلى أساس ماتقدم، ندرك ظاهرة ذات أهمية: كيف أن الذين يطلبون الحياة يستهينون بمستلزمات العيش، لأجل الغرض السامي الذي يهدفون إليه أو يسعون نحوه.

إن نقطة الإنطلاق نحو غاية الوجود، التي هي غاية الحياة، هي أيضاً نقطة الإنتهاء في دنيا العيش.

فحيث تنتهي أحلام الدنيويين، الذين يضطّرهم وجودهم العفوي، أن يعملوا ليكسبوا رغيفهم المادي، **تبدأ يقظات الإراديين،** الذين يدفعهم وجودهم الواعي، للعمل على كسب رغيفهم الروحي.

الحياة والإرادة:

قلنا إن الذي يطلب الحياة بالمعنى الذي وصفنا، عليه أن يستهين بمستلزمات العيش، فلا يعتبرها إلا وسيلة لغاية. ومثل هذا السموّ مرتبط كل الإرتباط بنقطتين متلازمتين: أولاهما هي الإنتصار على أهواء النفس وميولها ورغباتها الرخيصة، **وهذا يعني التضحية باللذة العابرة للحصول على لذات أبقى وأدوم**. والثانية هي قضاء الكائن على نزعته الفردية، والنظر إلى الحياة نظرة إنسانية، للعمل على تحقيق شرعته المثالية النبيلة. وفي تينك الحالتين تعتبر الإرادة محور الإنطلاق من سجن الذاتية إلى رحاب عالم الحياة، وبغير هذا لا نفهم قول نيتشه الذي بين أيدينا.

فعمل الإرادة بالنسبة للحياة التي يرسمها نيتشه يدور على عمليتين: الأولى عملية في الكبت، تكيف غرائز الكائن، وتستغل حيويتها الكامنة لخلق طاقة فاعلة تحول النار إلى نور، والجموح إلى جرأة، والجمود إلى حركة، والفتور إلى حيوية والتخاذل إلى مصابرة، والإستسلام إلى ثبات، والقناعة القائمة على رضى بالواقع ـ كما هو ـ إلى طموح قائم على رغبة في الواقع كما يجب أن يكون. **وتحوّل أخيراً كل معاني الضعف إلى معان في القوة**، وبذلك وحده تتوفر شروط النقلة من الرغبة في العيش وحده، إلى توقان للعيش من أجل الحياة.

وواضح أن هذه العملية الأولى حرب في داخل الذات الإنسانية. إنها معركة النفس ضد النفس. فإذا ماتوفرت في الذات المناعة، وضمنت عدم الإرتداد إلى الوضع الأول أي إلى طبيعتها الترابية، كان بوسعها أن تخوض العملية الثانية، المعركة الكبرى التي

هي حرب خارج النفس. وهنا تتجلى الإرادة بأروع صورها: فدرب الحياة محفوف بالظلمة، مملوء بالأشواك، وفي كل منعطف منه تتربص الدوائر، وتقبع شياطين الشدائد وتنفث افاعي الشرور سمّها. فالحواجز والعقبـات كثيرة لا تحصى، والإرادة عنـدئذ يجب أن تكـون أقوى، لإشاعة الصبر على الألم الناشىء، وخلق الجهد للمقاومة والجرأة على التحطيم والهدم، والقدرة على التشييد والبناء.

إن درب الحياة، هو درب العظمة الحقيقية، لا يقوى على السير فيه إلا الأبطال حقاً، الذين تعانقت في أعماق نفوسهم معاني الشجاعة مع وعي الفكرة الساطعة، والإحساس النبيل. فالإرادة بالنسبـة لقول نيتشـه، ليست قوة وحسب وإنمـا هي قوة واعيـة في الجسم والفكر والوجدان وهكذا يمكن القول حيث توجد إرادة من هذا القبيل توجد حياة بالمعنى الصحيح.

أثر الإرادة:

بالنسبة للفرد يتجلى أثر الإرادة في رفع الكائن من ضعة العيش إلى سمّو الحياة، فتجمل في عينيه الشدائد، وتشيع في جنباته الثقة بالنفس فينتصر بذلك على هواجسه ويندفع نحو العمل القـويم. فلا تجده ناقما على الدهر والأيام لأن الإرادة الحقة تعلّمه أن مصيره مرتبط بسعيه. وما أحوجنا كأفراد إلى أن نجدد نظرتنا إلى الوجود على هذا الأساس.

وبالنسبة للحياة العامّة **تحقق الإرادة مبدأ العمل للجماعة، لأن الذات الحيّة ذات إجتماعية لا حيـاة لها خـارج المحيط الجماعي**، فانتصار الإنسان على فرديّته أساس لخدمة أمته ومجتمعه. فلولا الروح

الإيجابية في نفوس عظماء الأمة لما كان لأمة ما تاريخها العظيم الخالد.

أما بالنسبة للإنسانية فسعي الفرد لأعمال تتعلق بالحياة، لا بالعيش، هو في الواقع عمل إنساني يقرّب بين الشعوب ويزيل عصبية الأجناس والأقاليم. فأمثال سقراط وغاليليه وباستور واديسون، ومدام كوري، وغوتنبرغ، في الغرب، وأمثال المعرّي والخوارزمي والرازي وابن سينا في الشرق - وغيرهم كثير - هم في الواقع ملك للإنسانية وعظمتهم قائمة على خدمة المبادىء الحياتية وهذا هو سرّ خلودهم.

الموضوع الخامس والعشرون

قال بعضهم: «إن ماربحه الإنسان بالعقل لا يعادِل ماقد يخسره بالعقل أيضاً». فسر وناقش.

بَسْط الموَضوُع

لكل مجتمع إنساني طوران: طور البداوة وطور الحضارة. أما طور البداوة فيشكل الفترة الأولى من حياة الأمم حيث تكون خاضعة لسيطرة الأساطير وهيمنة المعتقدات الخرافية. وحيث تكون مظاهر الحياة اليومية في غاية **السذاجة والبساطة وعدم التكلّف**.

وأما طور الحضارة فهو الذي تنتقل معه الأمة البدائية من حياة الإرتحال إلى حياة الإستقرار، ومن البساطة والسذاجة إلى التقدّم والازدهار، **فيرتقي بذلك مسلكها في الحياة الإجتماعية وتتعدّد طرائق أفرادها، لا** في اللباس والمأكل والمشرب والمسكن وحسب، بل في العمل والإبداع.

فما هي العوامل الفعّالة في هذا التطور؟

مما لا ريب فيه أن يقظة العقل الإنساني هي العامل الأول في هذه الناحية. فالعقل الذي يبحث عن وسائل استخدام مواد الطبيعة هو

الذي يهيء للجماعات البشرية أن تتقدّم في مضمار الحياة اليومية، وأن تسعى بقدم حثيثة نحو مجالات أوسع وأفضل من مجالاتها السابقة. ولولا هذا العقل الباحث، الذي وهبتنا إياه العناية الإلهية، لظلّت حياة الإنسان حيث هي من التأخر والإنحطاط، متعلّقة بأهداب الفطرة، بعيدة عن مراتع الإبداع. وهكذا نخلص إلى القول، بأن **كل مظاهر التفوق في حضارة العالم** سواء تلك التي تتعلق بتنظيم الحياة العقلية، في المدارس والمعاهد، والمكتبات، وسائر نواحي الثقافة، أو مظاهر التقدم في الإدارة وقيام حكومات تسهر على تنفيذ القوانين ـ التي من شأنها أن تحفظ القيم الإنسانية، من عوامل الإنهيار والهدم ـ، أخيراً تلك التي تتعلق بتأمين حاجاتنا المختلفة، على أساس صنع الآلة واستخدامها في حقول الصناعة والتجارة والاقتصاد التي لا قوام لأمة بدونها.

أليس كل ماتقدّم من آثار العمران، مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بيقظة العقل الإنساني؟ وهل كان باستطاعة الإنسان أن يبلغ مابلغه من شأن بعيد في مضمار الصناعة لولا هذا العقل، صانع الأعاجيب، المستنبط لمظاهر النشاط المختلفة، المكيّف للظروف المادية، المبتكر لضروب الجديد يسيّر بها عجلة الحياة؟ مابين آلة تبعث الحياة في الأرض المقفرة فتستنبت لنا منها خضارها وحبوبها وثمارها، وما بين آلة تصل بين المعمور وتربط مابين الأصقاع وبين آلة تخفف المتاعب اليدوية، وتريح جسم الإنسان من أعباء كثيرة. وهكذا نقيم الدليل على ماربحه الإنسان بالعقل.

ولكن أيصح أن ندّعي بأن ماربحه الإنسان بالعقل، لا يعادل ماقد يخسره بالعقل أيضاً؟ أيمكن أن تكون هذه الطاقة العجيبة

المستنبطة لكل مظهر من مظاهر الخير عاملاً من عوامل الهدم أو الشر؟ أيكون العقل البناء عقلاً هدّاما يحطم بيد مارفع بيد، ويزيل من جانب ماأوجده من جانب آخر؟

إن العقل قوّة قادرة على الخلق كما هي قادرة على الهدم. بالعقل كان الإنسان فيلسوفاً وعالماً وطبيباً وأديباً وفناناً، وبالعقل بدّد ظلمات العالم وشتّت غياهب الجهل وأحدث الثورة على الخمول. وبالعقل أيضاً كان الإنسان مجرماً لصاً أو قاتلاً، وكان حاكماً مستبداً، وقائداً خائناً. فالعقل إذاً قوة قادرة على الخير والشر، تعطينا كما تأخذ منّا وتجعلنا نربح كما تجعلنا نخسر. وهي تهدم وتبيد كما ترفع وتعمّر، وإنما الذي يعصمها عن السير في سبيل الشر، وبثّ مكامن الهلاك للإنسانية والحضارة، قوة أخرى، هي قوة الضمير. فالضمير الواعي والحيّ يوجّه العقل نحو الأهداف السامية، التي تخدم إنسانية الإنسان. فعندما يموت الضمير الإنساني يعمل العقل على غير قياس، ويتوجّه في عمله على غير أساس، فإذا هو بيد الأمم التي انهارت أخلاقها أداة للظلم والرذيلة، والإستبداد والتحكم بمقادير الناس . هكذا نرى صحة هذا القول، بأن العقل يُخسر بقدر ما يُربح. **أن الإنسانية اليوم على شفير الهاوية، تسير وراء مركبة العقل وحدها مخلفة وراءها مركبة الضمير.** فإذا هي لم تجهد في تصحيح مسارها بوحي المركبتين معاً وقعت في الهاوية وعادت حياة الإنسان سيرتها الأولى.

* * *

الموضوع السادس والعشرون

«الأمل أملان: بنّاءٌ وهدام»

ناقش هذا القول.

بَسْط المَوضُوع

ما أكثر الرغائب التي تجوب فكر الإنسان، وما أقل الغايات التي يحققها. وهو مع ذلك لا يشعر بالقنوط ولا يداخله اليأس ولا يستسلم نهائياً للخيبة والفشل. لأنه في مثل هذة الظروف العصيبة يداخلة الشعور بالأمل فيدفعه لأن يعمل ويكافح ويجدّد من عزيمته. وهو يسطع عليه وسط الظلمات التي تكتنفه، كما يشرق البدر المنير على الكون وقد شقّ لنفسه طريقاً بين السحب. هذا هو الأمل الدافع، الذي يحرك فينا الإرادة، والركيزة التي يقوم على أساسها كل عمل نبيل في العالم، لأن كل الفضائل إنما هي مشتقة عنه. فالإنسان لا يصبر ولا يثبت، ولا يجالد ولا يتمرد على الصعوبات، أو يستهين بالعقبات، إلا إذا كانت بوارق الأمل تضيء جنبات نفسه. فهذا اللون من الرجاء حقيق بأن يكون بناءً، **لأنه الدافع الأول لخطى الإنسانية نحو أهدافها النبيلة السامية**. والأمل على هذا النحو إذا أفل نجمه أفل

معه سعدنا وغابت وراء ضباب الوجود جهودنا وأتعابنا وما أصدق الذي قال: «ماأضيق العيش لولا فسحة الأمل».

إن البائس ليضيق ذرعا بهذه الحياة، فهي تبدو له صغيرة على اتساعها، متقاربة الأطراف رغم ترامبها. لا لشيء، إلا لأنه فقد كل عزاء يعزّية عن أتراحه ويسلّيه عن أحزانه. هذا النوع من الأمل نحن بحاجة إليه لنروض أنفسنا على تلقّي المصائب بجنان ثابت وإرادة قوية. فإذا مافعلنا شعرنا بتدفق الحياة في خوالجنا، وأقبلنا على دنيانا، كما يقبل المغامر على ميدان مغامراته، يفعل ذلك بلذة فائقة هي كل سعادته.

إن أهم ما نحتاج إليه في أعمالنا اليومية هو الإعتقاد بأن النجاح لا يعني دوما الإنتصار، بل الطريقة التي نعمل بها. وربّ فشل خير من فوز لأنه يعلّم الإنسان الاعتماد على النفس والثقة بها.

هناك فئة من الناس أذلها الخمول، وأفقدها التواني. فكحّل الكسل عينيها، وعانق الرقاد جفنيها، فهي قابعة لا تعمل، ومنزوية لا تناضل، وفاترة العزيمة لا تكافح. **وهي دائمة الاعتماد على القدر فالإنسان في نظرها ضعيف أمام قوة الغيب**، وعليه أن يستسلم لمشيئته! فعلام إذاً يسعى في طلب الحياة، وهو لا يدري مامصيره أو عاقبة عمله؟.

هذه الفئة من الناس هي جماعة الحالمين الذين يسرفون في الأمل وينتظرون أن يقوم القدر عنهم بالمعجزات الكبار، وهم يسترون عجزهم باسم التوكل على الله، اعتقاداً منهم بأن الله وزّع الخير على الناس، فإن كان لهم في ذلك قسط أو نصيب جاءهم دون تعب أو

مشقة. ونسوا أن شريعة الحياة هي العمل، وأن نظامها قائم على تنفيذ هذه الأعمال وتأديتها في أزمنتها المختلفة. **فما أتعس الإنسان عندما يسترسل وراء أحلامه فيبني مستقبله على الوهم ويشيد دعائمه على التواكل، فيرضى عن نفسه الذليلة**. وويل كذلك لأمة هؤلاء هم أفرادها ينتظرون لبلادهم الخير على يد أمة لا تدين بتقاليدها ولا تربطها بها رابطة من جنس أو أصل. إن الأمل الأول بناء، ولا ريب. أما الثاني فهدّم لأنه نذير الخراب والسوء.

الموضوع السابع والعشرون

«ليس كلُ الهمِ همُّ المالِ دائماً، فمن الهموم ماعلاجُها الفقر»

بَسْط الموَضوُع

ليس أثقل على الإنسان من الهم، تلقى الرجل من الناس فتراه كئيباً كاسف البال، قلقاً عابساَ، فتسأله عن سبب كآبته فلا تجد جواباً لذلك سوى أن هذا الرجل قد نزلت بساحته الهموم واعترته الهواجس، فإذا هو على هذه الحال، وإذا سألته عن سبب همّه، طالما أنك عرفت سبب كآبته، أجابك بأن ضيق ذات اليد وقلة المال هي مصدر كل متاعبه وشقائه. فترجو له الخير وتنصرف عنه وأنت تدعو له بالسعة في العيش والكسب. وتنتقل في تأملاتك الإجتماعية، فتجد نوعاً آخر من النّاس، النعمة لديه موفورة، فهو يعيش في شبه ترف ويرفّه عن نفسه بشتى الوسائل حتى إنه لم يدع الطبيعة تسيطر عليه في عواملها على اختلافها إذا لا يشعر بوطأة حرها وقيظها، كذلك لا يشعر بشدة برودتها وقساوتها.

ومع ذلك لا يفتأ هؤلاء الأثرياء من الشكوى فلن تجد واحداً بينهم راضياً أو مطمئناً فإذا بحثت عن السبب في هذا التناقض،

وجدت أن المال أساسه. **فهؤلاء لا يشكون قلّة في الغنى، وإنما هم في الواقع واقعون تحت تأثير الكثرة منه.**

نعم إن النعمة إذا فاضت وتفاقمت ولم تلق حسن تصريف من العقل، أصبحت نقمة على صاحبها. كالعالم إذا اشتدّ ذكاؤه، وغدا كثير التفكير يعظم الأمور الصغيرة إلى حدّ كبير، على نحو قول شاعرنا المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   وأخو الجهالـة في الشقاوة ينعم

حين قال أبو الطيّب هذا القـول، أدرك الحياة الإنسـانية على حقيقتها. وليست نعمة العقل وحدها هي التي تؤيد قولنا، **بل لعل أكثر مظاهر الهم عند الناس، إنما تعود إلى هـذا الازدياد في الثـروة أو طلبها.** هكذا يتضح لنا جانب الصدق في الموضوع الذي نعالجـه، ونرى أن لا علاج لبعض الهموم التي تأخذ على الناس طمأنينتها، إلا أن تخف وطـأة تلك النعمة التي لا تجـد سبيلها الصحيـح؟ أليست معالجة الهم الناشىء عن القمار مثلاً بأن تقل تلك المبالغ في أيدي المقامرين، فإذا تعقّل أحدهم وهو لا يملك إلا القليل ارتدع عن هذا الهوس، وتلك الرذيلة، فخفت بذلك همومه.

إن الطمع في المـال، واحد من الأسبـاب الذي يجعـل الفقر أحياناً، أشد سلامة، والقانع أهدأ حياة من الغني. **فالأول يعيش في ظلال القناعة، راضياً بما ينال من رزقه،** فلا يُظهر تأففه أو تذمره. أما الآخر فيعيش في جحيم من حب المال والسيطرة، فإذا بأعماقه تنتهبها آلاف الأسئلة وتحيط بها مئات الأفكار المضطربة.

لا شك في أن بعض الهموم ناشئة عن المال وحده ولكننا لسنا مع صاحب القول فهو مسرف فيما ذهب إليه إلى حد بعيد. إنه

لا شيء شديد الوطأة على الإنسان **كالفقـر فالمـال عنصر فعّـال في الحياة شرط أن يستخدم في النواحي الضرورية منها**. ولنسمع ما قاله عبد الله بن المقفع عندما بيّن أن قيمة المال في حيـاة كل إنسـان: «ماالإخوان ولا الأصحاب إلا بالمال، ووجدت من لا مال له قعد به العدم عما يريد كماء الشتاء لا يصل إلى نهر فيضيع في الأودية. . . ووجدت الرجل إذا قلّ ماله قلّ إخوانه، وإذا كان غنيا ثم افتقر سميت فصاحته هذرا وعطاؤه إسرافا واتهمه الناس في عقله وازورّ عنه أهله». في هذا الكلام دلالة واضحة على قيمة المال منذ القدم، وأنّه لمن الإساءة أن نوجه الناشئة نحو الزهد وطلب الفقر لأن الفقر مع الحاجة يـذل، وكم يضيع الإنسـان من كرم نفسـه وشرفـه إذا أصبـح ذليـلاً محتاجاً.

يجب أن لا يتبـادر إلى أذهـاننـا أن الحياة بحث عن المـال وحسب، ففي قولنا لا غنى للإنسان عنه لا نعني أنه يجب أن يكافح ويناضل من أجله دون غيره. فالكفاح الصحيح إنما يتناول مثل الحياة نعني بـذلك ضـرورة العمل الإنسـاني الذي يـرفع من قيمـة الأفراد والجماعات بحيث يسود بينهم الوئام وتصفو بينهم العـلاقة، فيكـون الإيثـار الرابـطة بينهم بدلاً من أن يكـون الطمـع دافعهم إلى الشـر وباعثهم إلى الرذيلة.

إذا كان الفقر معناه الفاقة والعوز الشديد فنحن يجب أن نعلن عليه حربنـا لأنه حيث يبنى **الفقـرأوكاره تقيم الجهـالة بيـوتها وتبني الأمراض سراديبها. فبالخير وحده يكافح الإنسان هذه الأعداء الثلاثة: الجهل والفقر والمرض**. ترى أليس مـايصبو إليـه كل مجتمـع يبغي الرقي هو أن يوفر لأفراده سلامة العيش وطمأنينته وبحبوحته.

شرح بعض الحكم

الحكمة الأولى:

«وما الحسنُ في وجه الفتى شرفاً له   إذا لم يكنْ في فـعلةِ والـخـلائِقِ»

الجمال: ظاهر وباطن. **أما الأول فمقياسه الحواس وأما الآخر فمقياسه النفس والوجدان.** ولا شـكّ أن جمال الـظاهر دون جمـال الباطن. والسبب في ذلك أن الانسان مخلوق اجتماعي، والمجتمـع قائم على التعاون ولا تعاون إلا بالتفاهم إلا مع الخلق الفاضل ولهذا كانت الصفات الحميدة والأعمال الصالحة أكثر زينة للإنسان من حسن شكله وجمال هندامه وما أصدق الشاعر حين قال:

«عليك بالنفس فاستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان»

الحكمة الثانية:

«وإذا أتَتْـك مذمّتي من نـاقصٍ   فهي الشهـادةُ لي بأَني كـامِـلُ»

●

لكل نفس جوهرها. **وجوهر كل نفس ماطبعت عليه من عادات وما تلقنته من تعاليم.** وكل إنسان يصدر في آرائه وأقواله وأفعاله عن جوهر نفسـه **فإذا سـاء هذا الجـوهر سـاءت تلك الأقوال، وهـاتيك**

الأعمال. وإذا صلح صلحت هي الأخرى. والناقص يعتبر نقصه كمالاً إذا لم يعرف حقيقة ذاته، وهو لذلك ينظر الى الآخرين بمنظاره الخاص فلا يراهم على حقيقتهم وانما يراهم على اساس حقيقته هو، لأن نفسه مقياس كل شيء بالنسبه اليه. فإذا الكمال في عينه نقص لأن النقص عنده كمال. **فعندما يذم الناقص أحدهم يكون في الواقع قد أعطى الدليل على كماله** وحسن فعاله أو جميل خلائقه، لذلك صدق المتنبي حين قال:

وإذا أتتْكَ مذمّتي من ناقصٍ   فهيَ الشهادةُ ليْ بأنّي كامِلُ

●

الحكمة الثالثة:

تريدين لَقْيانَ المعالي رخيصةً   ولا بدَّ دونَ الشَّهْدِ من إبرِ النَّحلِ

لكل شيء ثمنه، **وتتفاوت أثمان الأشياء بتفاوت قيمتها.** ولا بدّ للإنسان إذا تطلعت نفسه أو دفعته رغبته، لإمتلاك غاية من الغايات أو لتحقيق رغبه ما، من أن يدفع قيمة ماهو متطلِّع إليه أو راغب فيه. وغايات الناس متفاوتة بتفاوت مطامحهم. وإمكان الحصول عليها متفاوت هو الآخر بتفاوت مقدرتهم وطاقتهم. ولعل أعظم الأشياء واكثرها صعوبة أن ينال أحدنا رفعة الشأن وعلوّ المكانة، **لأن درب المعالي محفوف اكثر** من أي درب آخر **بالمخاطر والأهوال.** وكان حقيقاً على المرء أن يدفع ثمن السير فيه والوصول إلى منتهاه غالباً. وهكذا ليست المعالي رخيصة، فمن رام أن يقطف وردة فعليه أن يعزم على تحمل أشواكها. **فالكفاح والنضال وتقديم الجهد** والسعي الحثيث، وتحمل الأذى، **هذه جميعها مقومات المجد والعلا.** ولا بد لأحد من أن يقدمها حتى يحصل على آمانيه، ويصل إلى أغراضه.

وشاعرنا المتنبي يقرّع نفسه لأنها اعتقدت أن الوصول إلى المراتب السامية يتطلب ثمناً بخساً فبيّن لها أن الثمن ليس رخيصاً، وانه ربما ساوى حياة الإنسان وكل ما يملك:

تريدين لَقْيانَ المعالي رخيصةً ولا بدَّ دون الشهد من إبر النحل

الحكمة الرابعة:

وإذا كانتِ النُّفوسُ كِباراً تعبتْ في مرادها الأجسام

●

إن طموح كل إنسان على قدر عزمه، ولهذا تباين الناس فيما يرغبون فيه. فذوو النفوس الوضيعة يرتضون من الحياة الدنيا بالقليل، لأنهم لا يستطيعون الحصول على الكثير منها. ولذلك رأينا هؤلاء يعيشون في خمول، وقد ران عليهم الكسل، وداخلهم الفتور، وغلبت عليهم الدعة. **أما ذوو النفوس العظيمة، فدأبهم السعي والجهد المتواصل**، وهم لا بكتفون بالقليل، وإنما يرغبون في الكثير لأنهم لا يتواكلون، وليس للتداعي سبيل الى نفوسهم الكبيرة. هؤلاء لا يذوقون طعم الراحة إلا لماماً ولا ينعمون بالطمأنينة إلا قليلاً، لأن آمالهم الكبيرة **تتطلب منهم استمرار الجهاد ودوام الكفاح**. وقد عبّر أبو الطيّب المتنبي عن هذه الحالة الإنسانية **بقوله**:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

الحكمة الخامسة:

إذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا فَاهونُ مايمرُّ به الوحولُ

●

قد يستهين ذوو النفوس الكبيرة - حين يوطّدون عزمهم على نيل مآربهم - بسائر الأمور الجسيمة والمصائب الفادحة، فيعتادون على خوض الأهوال وتحمل المشاق، والسير فوق الأشواك. وقد تدمى أقدامهم بجراح الطريق فلا ينكفئون ولا يتراجعون، وإنما قد تزيدهم الأهوال إقداماً، ويحثهم الخطر المحدق بهم على التشبّث فيما عزموا عليه. وهكذا يكون لهؤلاء في كل خطوة من خطواتهم جولة مع الموت ووقفة مع الهلاك. **ولا شك أن من صارع الموت هان عليه أن يصارع ماهو أقل وطأة من الموت فتكون الوحول التي يمر بها شيئاً هيّناً في نظره،** لا يشعر معه بتعب، ولا يداخله إعياء، أو نصب. أما الذين رغبوا في المتاعب فلم تلامس أجسامهم إلا المضاجع الليّنة، ولم تعرف أصابعهم أو أقدامهم وخز الإبر **إن هؤلاء ليصعب عليهم أن تهب عليهم ريح باردة أو يلفحهم هواء ساخن أو تتعثر أقدامهم بحجر أو يطأون طريقا موحلة.**

فجاهد أيها الإنسان وتحمّل الشدائد تجد سهلاً عندئذ الأهوال والصعاب:

إذا إعتاد الفتى خوض المنايا　　　فأهون ما يمرّ به الوحول

●

الحكمة السادسة:

ومهما تكُنْ عند امرىءٍ من خَلِيقَةٍ　　　وإن خالَها تخفى على الناس تُعْلَمِ

●

إنّ ظواهر الأشياء ليست دائماً صريحة الدلالة على بواطنها، لا سيما في الإنسان الذي كثيراً مايعلن غير مايضمر، ويجهر بغير ما

يسرّ، فيلتبس الأمر عند من يحاول أن يتعرف إلى حقيقة حاله. وقد يعتقد منه المودّة وهو مخادع، والمحبّة وهو مبغض، والأمانه وهو خؤون.

غير أن الحقيقة، لا بدّ أن تظهر، فيكشف كل امرىء، بإرادته أو بغير ارادته عن جوهر ذاته. وهو إن لم يعلن عنها بأقواله، عبّر عنها بأعماله. فلئن خانت أحدنا فراسته، ولم يتعرف إلى مايضمره الناس بين جنباتهم من روح الحقد والبغضاء، أو عواطف الودّ والإخاء، **فإن الزمان كفيل بأن يهتك الحجب عن تلك المكامن النفسيّة** وما أصدق الشاعر حين قال:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول زهير هذا، قريب من قول أحد الشعراء المحدثين:

وكمْ مررتُ بذئبٍ خلتُه حملاً   حيناً من الدّهر حتى بانَ جانبُه
أغراهُ منّي أنـي لا أفاتُحه   بما علمتُ وأني لا أعاتبُه

هكذا يسترسل بعض الناس في إخفاء خبيئة نفوسهم حتى تعلنَها لنا الأيام.

●

الحكمة السابعة:

وأعلمُ مافي اليومِ والأمسِ قبله   ولكنني عن علمِ مافي غدٍ عَمِ

●

جهد الإنسان، في القديم والحديث، الاطّلاع على مخبآت الآتي ليعرف مافي المجهول، ويلمّ بما كتب له في غده، وما قدر له

في مستقبله. . وقد أعدّ لذلك عدّته من كهانة واستقسام بالأزلام وزجر للطير. . ولكن هذا لم يغنه شيئا. فالإنسان قادر على ان يحيا حاضره، وأن يتذكّر ماضيه، ولكنه عاجز كل العجز عن الإلمام بغده ومستقبل حياته.

لا شك أن بقاء الآتي مجهولاً كان لحكمة إلهية لأنه سرّ الحياه ومبعث الأمل، وعقدة الوجود. فكيف تكافح الإنسانية ويكافح معها الأفراد إذا كشف لهم الزمان القناع عن وجهه وتبيّنوا قسماته وتعرفوا إلى مايحمله لهم، في طياته من مسرة أو شقاء؟ فإن كانت المسرة، ناموا على الآمال. فما سعوا. وإن كان الشقاء تخاذلوا فما صبروا وتهافتوا فما جاهدوا.

غير أن الإنسان إذا أحسن التصرف في حاضره، وهيّأ للمستقبل عدّته، استطاع أن يواجه المجهول بشيء،**من الطمأنينة وقد يتلقى خطوب الدهر وهو راض عن نفسه** لانه قام بالذي كان قادراً عليه، فلم يجعل للمسرّة والندامة سبيلاً إلى أعماله.

فهرس الكتاب

القسم الثاني
في الزيادة بعامّة

القسم الثالث
في الإنقاص بعامّة

القسمُ الرابع
في الوصل والفصل بعامّة

● ● ●

الجزء الثاني: في الإنشاء

الموضوع	الصفحة